

بحوث ومقالات



المعجم الكبير

للدكتور إبراهيم مدكور

لا تخلو من عيوب مشتركة ، كالحشو والتكرار ، ونقص التعريفات أو غموضها ، وخطأ المعلومات وبخاصة ما اتصل منها بالتاريخ والجغرافيا ، أو الكيمياء والطبيعة . وتبويبها معقد ، وفي الرجوع إليها عناء لا يقوى عليه عامة الدارسين . ولا يتمشى الأساس الذي تقوم عليه مع سنة التطور ، فهي تضيق دائرة اللغة ، ولا تقبل إلا ما أخذ به في الجاهلية وصدر الإسلام ، وتقف بالاحتجاج عند القرن الثاني للهجرة . وقد ارحظ هذا عليها منذ زمن ، وأريد تداركه حديثا بوضع معجمات عزبية جديدة تتمشى مع المنهج السليم .

٣- ولا شك في أن فن التأليف المعجمي نما وتطور على مر الزمن ، وبلغ القمة في

قد لا يكون ثمة لغة توافر لها من المعجمات مثل ما توافر من قديم للغة العربية ، ففي القرن الثاني للهجرة افتتح الخليل بن أحمد عصر المعجمات الكبرى ، ووضع « كتاب العين » المشهور ، وتنافس الباحثون من بعده في وضع معجمات متلاحقة في أحجام مختلفة ، وفي تبويب متنوع . ولا يكاد يخلو قرن من ظهور معجم عربي ، وربما ظهر في القرن الواحد عدة معاجم . وقد وصل إلينا معظم المعجمات القديمة ، وبين أيدينا اليوم قدر منها لا بأس به ، ومنه ما ترجم إلى بعض اللغات الأوروبية . ٢- وللمعجمات القديمة قيمة تاريخية لا تنكر ، فهي غزيرة المادة ، وثيقة الرواية ، وفيها معين لا ينضب في شرح الألفاظ الغريبة والعبارات الغامضة . ولكنها

كلمة أقيمت في مؤتمر المستشرقين الثامن والعشرين الذي عقد في كانبرا بأستراليا في المدة من ٦ إلى ١٣ من شهر

يناير ١٩٧١

القرن التاسع عشر الذى ظهرت فيه معجمات هامة فى لغات شتى ، مثل : « لا روس » فى الفرنسية ، و « أكسفورد » فى الإنجليزية ، و « أدلونج » فى الألمانية ومعجم أكاديمية بطرسبورج فى الروسية . وهى تحرص جميعا على الدقة والوضوح ، وتعنى بترتيب المواد ، وتحديد مدلول الألفاظ ، وتجارى تقدم العلم والفن . ونحنا بعض المعجمات العربية الحديثة نحوها ، « كالمنجد » الذى ظهر فى أوائل هذا القرن ، وجاء محاكاة صادقة لمعجم « لا روس الصغير » .

٤- ويوم أن أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أريد به أن يضطلع ، بين أعبائه المختلفة ، بوضع معجم تاريخى للغة العربية . وشاءت الصدف أن يكون بين أعضائه المؤسسين لغوى أوروبى كبير ، هو المستشرق الألمانى فيشر الذى عنى بالمعجمات العربية منذ أخريات القرن الماضى ، ورغب فى أن يخرج معجما عربيا تاريخيا على غرار « معجم أكسفورد » ولم يتردد المجمع فى أن يوفر له أسباب

البحث ، وأن يتعاقد معه على نشر معجمه الذى كان يأمل أن يخرج به فى سبع سنوات ، ولكن حالت الحرب العالمية الثانية دونه وما يريد . وعبثا حاول المجمع أن يلم شعث ما تفرق من أصوله ، ولم يقف من جهود ٤٠ سنة إلا على جزازات غير مستوفاة

* * *

٥- ويوم أن يئس المجمع من إخراج معجم فيشر التاريخى ، أخذ نفسه بوضع ما سماه « المعجم الكبير » ، وأخرج منه عام ١٩٥٦ نموذجا فى نحو ٥٠٠ صفحة عده تجربة دعا المتخصصين إلى قراءتها وتسجيل ملاحظاتهم عليها . ثم استمر فى عمله ، واستطاع فى منتصف العام الماضى أن يخرج الجزء الأول من معجمه الكبير الذى أقدمه اليوم . وهو مقصور على حرف الهمزة ، ويقع فى نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير . وقد جاء كما ترون ثمرة جهود طويلة متصلة ، ووليدة خبرة واسعة . أعد ما ته محررون دربوا فى كنف المجمع وتحت إشرافه ، وراجعها خبراء متخصصون

في علوم اللغة ، وفي اللغات السامية
والفارسية والتركية . ثم عرضت على
لجنة المعجم الكبير من بين أعضاء المجمع ،
وهم من كبار رجال الأدب واللغة والعلم
والفلسفة ، ولم يتردد هؤلاء في أن يرجعوا
إلى زملائهم المجمعين الآخرين في نواحي
تخصصهم المختلفة .

٦- ونستطيع أن نقرر أن هذا المعجم
لون جديد في عالم المعجمات العربية ، فيه
تأصيل وتحقيق ، فذكر في صدر المادة
النظائر السامية إن وجدت ، وفي هذا
ما يربط العربية بأخواتها السامية ، وما
يفتح بابا لدراسة مقارنة . وأشار بعد
هذه النظائر إلى معاني المادة الكلية ،
متدرجة من الحسى إلى المعنوى ، ومن
الحقيقى إلى المجازى .

وفيه جمع واستيعاب ، ورجوع إلى
المصادر الأولى ، وتعويل ما أمكن على
النصوص الثابتة ؛ فلم يقتصر فيه على الأخذ
من المعجمات القديمة ، ومنها المطبوع
والمخطوط ، بل أضيف إليها كتب
الأدب والعلم والتاريخ . ولغة نطاق واسع
وميادين كثيرة يجب تتبعها والأخذ
عنها . واستشهد فيه ما أمكن على المواد

توضيحا للمعنى ، وتأيدا للاستعمال .
ورتبت الشواهد ترتيبا طبيعيا ، فبدأت
بالقرآن ، وتلاه الحديث ، ثم جاء
بعدهما النص المنثور ، ومنه المثل ، ثم
ختم بالشعر ، واستشهد بالقديم
والحديث على السواء ، واللغة كل متصل
الأجزاء ، يرتبط حاضره بماضيه ، ومن
التصور أن نقف بها عند حدود زمنية
معينة .

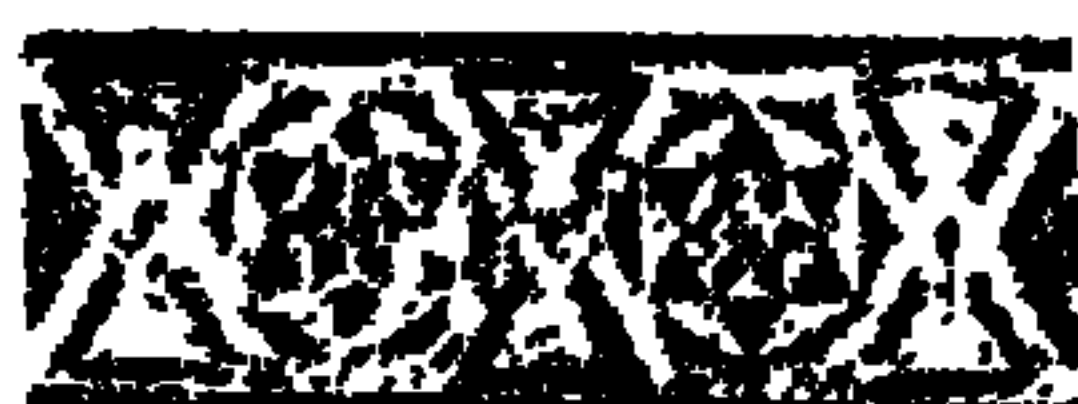
وعنى فيه عناية خاصة بالوضوح
والدقة ، فرتب ترتيبا دقيقا ، وبوب
تبويبا سهلا . بدأ فيه بالفعل الثلاثى ،
مع ضبط عين مضارعه وذكر مصدره ،
ثم تلاه الثلاثى المزيد بحرف أو أكثر ،
وجاء بعدهما الرباعى بأنواعه . ولم تذكر
المشتقات لأنها قياسية ، وختم بالأسماء
مشتقة كانت أو جامدة ، وذكرت معها
جموع التكسير وحدها في الغالب . والتزم
في كل هذا الترتيب الحرفى ، ولكن في
حدود المادة اللغوية ، تمشيا مع طبيعة
العربية وأنها لغة اشتقاقية . وصيغت
التعريفات في عبارة مختصرة وأسلوب
سهل ، ووضحت النصوص الماثورة
والشواهد المعقدة .

ولم يكن بد لمعجم القرن العشرين أن يتابع العلم في سيره وتطوره ، وأن يسجل لغته الخاصة ، وهي جزء من اللغة العامة فأورد من القديم اصطلاحات الفقهاء والمحدثين والمناطق والعروضيين . واكتفى من المصطلحات الحديثة بما شاع استعماله في الأوساط العلمية والحياة العامة ، أو كان وذيق الصلة بالاستعمال الأدبي واللغوي ، ووقف في ذلك كله عندما أقرد مجمع اللغة العربية ، وعرض المعجم أيضا لأعلام الأشخاص ، فعرف بها في اختصار وأنزلها منزلتها في تاريخ الفكر الإنساني . ولأسماء بعض الأماكن ذكر متصل في الأدب العربي ، ولا مناص من الإشارة إليها ، وإن عز تحديد مواقعها أحيانا . وأضيف إليها أسماء القارات والدول والمدن الشهيرة ، وما كانت له قيمة تاريخية ، أو نسب إليه علماء مشهورون .

* * *

ففي هذا المعجم جوانب ثلاثة أساسية : جانب منهجي هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب ، وجانب لغوي غني فيه بأن تصور اللغة تصويرا كاملا ، فيجد فيه طلاب القديم حاجتهم ، ويقف عشاق الحديث على ضالتهم . وفيه أخيرا جانب موسوعي يقدم ألوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام ، وروعي في هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن ، فذكرت منطبقات العلم العربي ، وأضيف إليها ما جاء به العلم الحديث . وفي هذا كله عمق ودقة ، وأصالة وتجديد ، ويسرًا وتيسير .

ابراهيم مدكور
الأمين العام للمجمع



أكثر من واحد ..

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

هل من الخطأ في اللغة أن يقال : كذا اسم لأكثر من واحد ؟
وهل يتعين أن يقال : كذا اسم لغير واحد ؟

فالمثال الأول يفيد أن زيدا وعمرا
كلاهما عالم ، وأن ما عند زيد من العلم
أعظم مما عند عمرو .

والمثال الثاني يفيد أن كلا من بكر
ونخالد كريم ، وأن بكرا أوسع كرما من
خالد .

قالوا : وهذا المعنى الذي يقتضيه
« أفعل التفضيل » لا يثبت في العبارة

التي هي موضوع البحث : « كذا
اسم لأكثر من واحد » فإنه ليس في الواحد
كثرة يشترك بها مع ما فوقه من الأعداد .

فلا يصح حينئذ أن يصاغ فيه « أفعل
التفضيل » من معنى الكثرة ، إنما الذي

يقول بعض العلماء : إنه يجرى
على ألسنة كثير من

اباحثين وأقلامهم - عندما يعرض لهم
في بعض المقامات علم من الأعلام ، قد
سمى به عدة أشخاص أو عدة أشياء -
أن يقولوا : إنه « اسم لأكثر من
واحد » وهذا تعبير خطأ لا تسمح
به قواعد اللغة العربية .

وذلك أن صيغة « أفعل التفضيل »
تقتضي زيادة المفضل على المفضل عليه في
المعنى المشترك بينهما ، كما يقال :
« زيد أعلم من عمرو ، وبكر أكرم من
خالد » .

يمكن أن يكون صحيحاً هو أن يقال :
« كذا اسم لغير واحد » أى لاثنيين أو
ثلاثة أو ما فوق ذلك .

هذا ما يقوله أولئك العلماء ، وهو
قول يدل على أنهم لم يعطوا مسألة « أفعل »
التفصيل « حقه من الدراسة المستوعبة ،
ولم يتبعوا الاستعمالات المختلفة التي
وردت بها صيغة « أفعل » في اللغة
العربية ، بل وقفوا عندما اشتهر من
أحكام هذه الصيغة .

إن دلالة الصيغة على المفاضلة بين
أمرين بزيادة أحدهما على الآخر في المعنى
المشترك بينهما ليست الحكم الوحيد
لأفعل التفصيل ، وإنما ذلك إذا لم يقصد
به شيء آخر غير تلك المفاضلة ، فإذا
قصد به معنى آخر غير المفاضلة - وذلك
كثير فيما ورد في اللغة - فإن غاية
ما يستفاد من الصيغة إنما هو ثبوت المعنى
للطرف الذي يطاق عليه اسم المفضل ،
ولا تفيد اشتراك الطرف الآخر في هذا
المعنى :

(١) فإذا قيل : « زيد أقصر من
عمرو » كان ذلك محتسلاً أرين .

« الأول » المفاضلة بين زيد وعمرو
في القصر على أساس اشتراكهما
في أصل هذا المعنى مع زيادة زيد
فيه على عمرو .

« الثاني » ألا يكون المقصود المفاضلة
بينهما على هذا الوجه ، وإنما يكون
المقصود إفادة ثبوت القصر لزيد ،
على حين أن عمرا يكون طويل
القامة ، وأن طول قامته بين
لا شبهة فيه ، ولكن لما كان الكلام
في معرض خاص هو بيانقامة كل
منهما جرى بالعبرة في صورة
المفاضلة ، أى أن المراد بها إفادة أن
قامة زيد قصيرة ، على حين أن
قامة عمرو طويلة بينة الطول ، وأنها
لا تشاركها في القصر .

(ب) وإذا قيل : « كل إنسان أحق
بماله » فليس المعنى فيه على أن
صاحب المال يشاركه غيره في ثبوت
حق له على هذا المال ، وأن حق
صاحب المال أكبر وأعظم من حق
غيره عليه .

ليس المعنى على ذلك ، فإنه ليس لأحد غير صاحب المال حق فيه أو عليه ، وإنما الحق كله لصاحبه .

(ج) ثم إنه لا ينكر في اللغة ولا في المنطق أن ينسب شيء إلى شيء آخر بالكبر أو الصغر أو المساواة ، فيقال : هذا أكبر من ذاك أو أصغر منه أو مساو له ، بل إن كل شيء يمكن أن ينسب إلى غيره على هذا الوجه ، وهو حينئذ لا بد أن يكون واحدا من هذه الثلاثة ، فهي لا تجتمع فيه جميعها . ولا اثنان منها ، كما لا يمكن أن يخلو منها كلها .

والواحد مع ما فوقه من الأعداد لا يخرج عن هذا القانون ، فهو لا بد أن يثبت له أحد هذه الأمور الثلاثة ، وينفي عنه الاثنان الآخرين ، فلا يمكن أن يقال : إنه مساو لما فوقه أو أكبر منه ، بل يتعين أن يقال : إنه أقل مما فوقه وأصغر منه ، وإذا صح أن يقال : إن الواحد أقل من الاثنين وأصغر منهما فإنه يصح بالضرورة أن

يقال : إن الاثنين أعظم من الواحد وأكبر منه وأكثر ، وذلك لا يوجب أن يكون هذا الواحد عظيما أو كبيرا أو فيه كثرة ، فإن وجوب مشاركة المفضل عليه للمفضل في أصل المعنى الذي تجرى فيه المفاضلة بينهما إنما يكون في « أفعل » الذي جاء على الوجه الذي اشتهر به كما قدسنا ؛ فلما إذا كان على غير هذا الوجه فإنه لا يوجب تملك المشاركة .

* * *

(د) هذا واستعمال « أفعل التفضيل » على هذا الوجه الذي ليس فيه مشاركة بين اثنين في أصل معنى الصيغة لا ينبغي أن يقال إنه شاذ أو ضعيف ، فإننا نجد قد ورد في آيات كثيرة من الكتاب العزيز كما يتبين مما يلي :

١- قال الله تعالى : « أفمن يَهْدِي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يَهْدِي إلا أن يَهْدَى » .
(٣٥ يونس) .

٢- وقال تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » (٢٢ الملك) .

ففي الآية الأولى إشارة إلى القول الذي يتعين أن يكون جوابا في هذا المقام إذا كان مما يطلب فيه جواب ، وذلك القول المتعين هو أن الأحق بأن يتبع إنما هو ذلك الذي يهdy غيره إلى الحق ، وليس هو الذي لا يهdy إلا إذا هداه غيره .

لكن ذلك لا ينبغي أن يفهم على أساس « أفعل التفضيل » الذي يقتضى المشاركة بين أمرين في معنى مع زيادة أحدهما على الآخر فيه ، فإن من لا يهdy إلا إذا هداه غيره ليس له جدارة أن يكون أو حقبة أن يكون متبوعا يهdy به غيره ، فليس هناك معنى مشترك بين الطرفين بزيد فيه أحدهما على الآخر .

فصيغة « أفعل » في قوله سبحانه « أحق أن يتبع » ليس المراد بها

إلا أن من يهdy غيره إلى الحق هو الجدير وحده أن يتبع وأن يقتدى به غيره

وكذلك الحال في آية الملك « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » .

فإن القول المتعين بإزاء هذه المقابلة - وهو ما ترشد إليه الآية الكريمة - هو أنه لا شك أن الذي يمشى سويا على صراط مستقيم هو الأهدى والأرشد ، وليس هو من يمشى مكبا على وجهه ، متخبطا في سيره ، لا يدرى أين هو ولا أين يذهب . لكن هذه الصيغة : « أهدى » لا يصح أن يفهم منها في الآية أن كلا من السائر على الصراط المستقيم والمتخبط الهائم على وجهه قد ثبتت له الهداية ، وأن حظ الأول منها أعظم من حظ الثاني ، فإن هذا الثاني ليس له حظ من الهداية أصلا .

(٥) وما وردت فيه صيغة « أفعل »
لغير المفاضلة التي تقتضي اشتراك
اثنين في معنى مع زيادة أحدهما فيه
على الآخر قوله تعالى :

٣- « أفمن يلقى في النار خيرا أم
من يأتي آمنا يوم القيامة » .
(٤٠ فصلت)

٤- وقوله سبحانه : « قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد
المتقون » (١٥ الفرقان)
واسم الإشارة في قوله سبحانه :
« أذلك خير » راجع إلى
السعير والعذاب به كما دل
على ذلك قوله تعالى : « بل
كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا » .

٥- ومن ذلك أيضا قوله تعالى :
« أذلك خير نزل أم شجرة
الزقوم » : (٦٢ الصافات)
واسم الإشارة في هذه الآية راجع
إلى أنواع النعيم التي فصلتها
الآيات قبل ذلك لعباد الله
المخلصين ، والتي أشير إليها

في قوله سبحانه : « إن هذا
لهو الفوز العظيم » لمثل هذا
فليعمل العاملون » .

٦- وكذلك قوله عز وجل : « أفمن
أسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان خير أم من أسس
بنيانه على شفا جرف هار
فانهار به في نار جهنم » .
(١٠٩ التوبة) .

ففي هذه الآيات وردت كلمة
« خير » ، وهي « أفعل تفضيل »
لكنها لا تفيد المفاضلة بين الأمرين
المتقابلين على أساس اشتراكهما
في أصل الخيرية مع زيادة أحدهما
فيها ، فإنه لا خير مطلقا في جانب
من يلقى في النار ، أو من يكون
جزاؤه عذاب السعير ، أو من يكون
طعامه من شجرة الزقوم التي تنبت
في أصل الجحيم ، أو من أسس
بنيانه على حافة جرف هار انهار به
في نار جهنم .

لا خير في شيء من ذلك ، وإنما
الخير كل الخير في الطرف الآخر

المقابل ، وهو من يَأْتِي آمنا يوم
القيامة ، ومن يكون جزاؤه جنة
الخلد التي وعد الله المتقين ، والتي
فيها نزله ومستقره الكريم ،
وكذلك من أسس بنيانه على تقوى
الله ورضوانه .

(و) وما يتضح فيه المعنى الذى قررناه -
وهو أن صيغة « أفعل » قد ترد
غير مراد بها المفاضلة بين أمرين
بحيث يكونان مشتركين في أصل
المعنى مع زيادة أحدهما فيه - قوله
تعالى :

٧- « الذين يحشرون على وجوههم
إلى جهنم أولئك شر مكانا
وأضل سبيلا » . (٣٤ الفرقان)
فإنه لا يمكن أن تكون
صيغة « أفعل التفضيل » هنا
في كلمتي « شر وأضل »
لإفادة المفاضلة التى تقتضى
الاشتراك في أصل معناه مع
زيادة أحد الطرفين في هذا
المعنى على الآخر ، فإن هذين
الطرفين أحدهما الكفرة الفجار
المنكرون للبعث وهم أصحاب

النار ، أما الطرف الآخر فهو
الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه المؤمنون الأخيار .
ولا شك أن « ضلال السبيل
وشر المكان » أمران مقصوران
على فريق الكافرين الذين هم
أصحاب الجحيم .

(ز) ومن هذا القبيل الذى يتضح فيه
المراد قوله تعالى :

٨- « أصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا وأحسن مقيلا » . (٢٤ الفرقان)
فإنه ليس المعنى على أن
أصحاب الجنة لهم في الآخرة مستقر
ومقيل خيرا وأفضل من مستقر
أصحاب النار ومقيلهم مع إثبات
أصل الخيرية والحسن لمستقر
هؤلاء ومقيلهم .

ليس المعنى على ذلك ، فإنه ليس
في مستقر أهل النار أو مقيلهم
شيء من الخير أو الحسن ، وإنما
ذلك مقصور على مستقر أهل الجنة
ومقيل أهل الجنة .

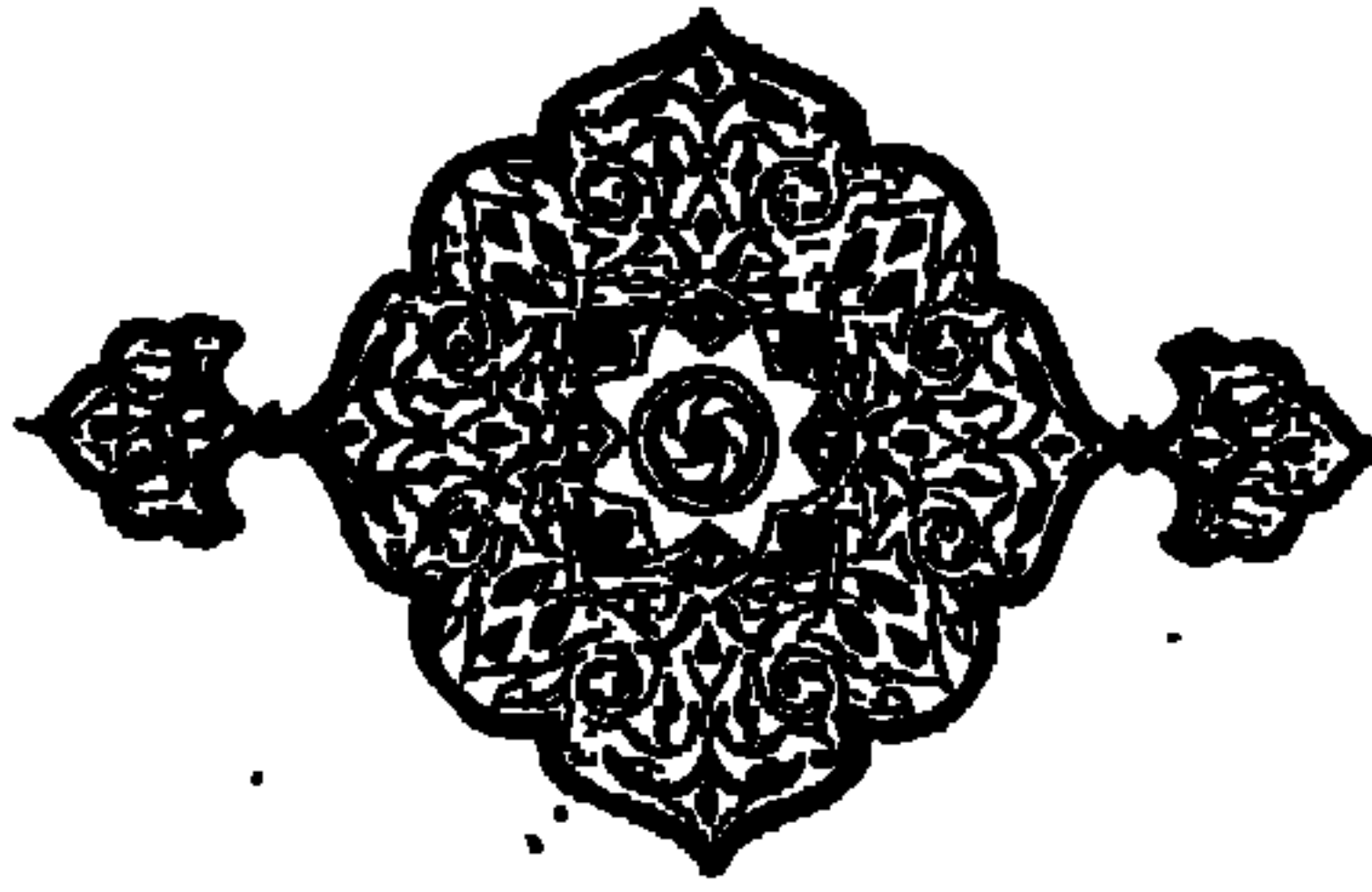
هذا - وإني أرى هنا أن أنهي القول
في هذه المسألة التي قام عليها هكذا
أكثر من دليل ، (ولا أحب أن
أقول : التي قام عليها غير دليل)
كما كان يريد المخالفون .

أرى أن أختم هذا القول بآية بيّنة
من الكتاب العزيز ، وهي الآية
الثانية عشرة من سورة النساء ،
التي يقول الله تعالى فيها : « وإن
كان رجل يورث كلالة أو امرأة
وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما
السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث » . فإن
قوله سبحانه : « فإن كانوا أكثر

من ذلك » معناه الذي لا يصح
خلافه هو : فإن كانوا أكثر من
أخ واحد أو أكثر من أخت واحدة .
ولا يجزئ أحد أن يقول إن معناه :
فإن كانوا أكثر من الاثنين :
الأخ والأخت معا ، وذلك أن كلمة
« أو » في الآية هي للدلالة على أحد
الشئيين ، وليست للدلالة على
الاثنين جميعا .

هذا لص قرأني فيه الدلالة الكافية
الشافعية ، التي تقطع الشك وتسد
باب الجدل ، والله وليّ التوفيق .

عبد الرحمن تاج
عضو المجمع



بكاء الشباب

للأستاذ علي الجندى

عمر بن أبي ربيعة - إذا رأى
شباباً شدَّ شعره ، وصاح :

واشباباه ! واشباباه !

ويقول الأصمعي : أفضل أنماط
الشعر : المرائي ، والبكاء على الشباب ،
ولقد بكت العرب الشباب ، وما وفته
حقه !

ومن الشعراء الذين بكوا الشباب بكاء
حاراً ! وتوجَّعوا للشيب توجُّعاً عميقاً ؛
الطائي الأكبر « أبو تمام »

وكان « أبو تمام » مخلصاً في بكائه
وتوجُّعه ؛ لأنَّ المشيب نزل به مبكراً قبل
الأوان ! ويكفى أن نعرف أنه مات

في نحو الأربعين من عمره ، ومعنى ذلك
أنه شاب في شرح الشباب ؛ إذ لا بدَّ أن
المشيب سبق وفاته بمدة طويلة .

فمن ذلك قوله :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس
إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بُؤس
ونعيم طلائع الأجساد

زارني شخصه بطلعة ضيم
عمرت مجلسي من العواد

نال رأسي من ثغرة الهم داء
لم ينله من ثغرة الميـلاد

ومعنى البيت الأخير : أنه لم يشب
شيباً طبيعياً ، بل وجد الشيب من الهم
فرجة نفذ منها إلى رأسه ؛ لأنَّ من شأن
الهم أن يُشيب صاحبه ؛ كما قال المتنبي :

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويُشيب ناصية الصبي ويهــرم

وفي معنى وفود الشيب المبكر ؛ يقول
أبونواس :

وإذا عددتُ سِنِّي كم هي لم أجـد
للشيب عُذراً في النزول براسي

. ويقول البهاء زهير :

وليس مشيبا ما ترون بعسارى

فلا تمنعوني أن أهيم وأطربا

فما هو إلا نُور ثغر لثمه

تعلق في أطراف شعرى فألها

وأعجبني التجنيس بينى وبينه

فلما تبدى أشنبا^(١) رحت أشيبا

وأراد أبو تمام « بشجرة الميلاد » :

الوقت المناسب الذى يهجم عليه الشيب

فيه ، لأنه يجد السبيل ممهدا حينئذ إلى

الحلول برأسه ، شأنه في ذلك شأن كل

إنسان تعلق به السن .

وزبدة قوله : أنه يعلن في شكوى مرة :

أن هذا الضيف غير المحتشم ، تسلل إليه

من ناحية الهموم والأحزان ، لا من ناحية

انصرام الشباب ، وتقادم العمر ، ومن

أجل ذلك حَقَّ له أن يتوجع ويتفجع !

وقد أخذ عليه القاضى الجرجاني قوله :

« شيب الفؤاد » فذكر : أنه مما استقبح

من استعاراته ، ثم قال : وزعموا أنه

لما أنشد ذلك بحضرة أحمد بن أبي دؤاد

قال من حضر : وكيف يشيب الفؤاد ؟

فقال أبو تمام مرتجلا :

وكذاك القلب — وبُ في كلِّ بؤس

ونعيم طلائع الأجساد

ونحن لا نقر هذا النقد ، ولا نقيم له

وزنا ، لأن القلب يصبح أن يوصف

بالشباب والشيخوخة تجوزا ، على معنى

التفتح للحياة ، والاستمتاع بمباهجها

ومسراتها ، وعلى معنى اليأس منها

والتجهُّم لها ، والصدِّ عن نعمائها وزهرتها ،

وكلُّنا يحس ذلك إحساسا واضحا ، ويلمسه

في تجاربه مع الناس ، فهذا فتى حزين

النفس ، حرج الصدر ، كاسف

البال ، لا يشعر بلذة العيش في ريق

العمر ، ونضرة الصبا ، لأن قلبه قد هرم

وشاخ ، وهذا شيخ بلغ أرذل العمر ، وهو

ضاحك الوجه والثغر ، متوهج النفس ،

كثير التفاؤل ، آخذًا من متع الحياة بحظ

موفور ، لأنه يحمل قلبا غضا فتيا ، واسع

الآمال ، ذاخرا بالعواطف الجياشة ، لا يبالي

(١) الشلب : ماء ورقة ويرد وعذوبة في الأسنان وبريق .

هذه الغضون التي رسمتها السنون على
الجبين ! وبخاصة إذا كان شاعرا ؛
لأن الشعراء لا يعترفون بشهادة الميلاد !
ولا يجاوزون سن العشرين أبدا .

وقد أخذ المتنبي قول أبي تمام ، فنقل
شيب الفؤاد إلى الكبد ؛ فقال :

إِلا يَشِبُّ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ
شَيْباً إِذَا خَضِبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(١)

وأخذه ابن زيدون فقال :

فشبت وما للشيب وَخَطٌّ بِمَقَرٍّ رَقِي

ولكن لشيب الهم في كبدي وَخَطٌّ

فاعترفنا بأن الكبد تشيب ، وأرادا
بالكبد : القلب ؛ لأن من عادة العرب أن
تستعير لفظ الكبد للقلب ، حتى لتنسب
إليها الخفوق ؛ كقول عروة بن حزام :

كَأَنَّ قَطَاةً عَلِقَتْ بِجَنَاحِهِمَا

على كبدي من شدة الخفقان^(٢)

ونخرج من هذا : على أن القلوب منها
ما يهرم والجسم في الرِّيعان ، ومنها

ما يظل أخضر فاضرا عامرا بالأحاسيس
المشوبة ، والأمانى الباسمة الناعمة ،
وصاحبه هامة اليوم أو الغد^(٣) !

وفي هذا المعنى يقول المتنبي - وقد
ذكر النفس بدل القلب - :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه
ولو أَنَّ مَاتَ الْوَجْهَ مِنْهُ حِرَابٌ

يُغَيِّرُ مَتَى الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
وَأَبْلَغُ أَقْصَى الْعَمْرِ وَمَتَى كِتَابٌ

وقال كاتب هذه السطور - في معنى
شباب القلب مع شيخوخة الجسم - من
قصيدة يصف بها شيخا متصابيا :

وَيْحَ الشُّيُوخِ مِنَ الْقَالِ

بِالْحَامَاتِ عَلَى الْغَدِيرِ

سَكَنُوا وَمَا بَرِحَتْ نَحْوًا

فَقَ بَيْنَ أَحْنَاءِ الصُّدُورِ

لَمْ يَنْضُبْ الزَّيْتُ الْمُضَى

بِهَا ، وَلَا نَحْمَدُ السَّعِيرَ

(١) نصل الحصاب ؛ : ذهب ؛ يريد أنه لا يكاد يسلو ؛ حتى يعود إلى حبه .

(٢) يرى بمفهوم : أن الشاعر يريد الكبد حقيقة للمبالغة ، لأن الكبد لا تخفق ؛ فلسبة الخفوق إليها ، أبلغ
من نسبتها إلى القلب .

(٣) هامة اليوم أو غدا ؛ أي يموت اليوم أو غدا .

منهومة بالحسن هـنا
زئة بأحكام الدهور

خرقاء تمضي لاتبـسا
لى بالعـُدُول ولا العـُدِير

وضعية الحَبَّات تحت
شغافهـا أسد هـصور

يبلى الشَّبَاب وتستجد
صباية بدوى الخـسـدور

سلب الكبير وقارـه
وقرارـه عبث «الصغير»^(١)

فليس أبوتـمـام إذا مخطئا فى قوله ،
ولا متجاوزا مايسلم به الألباء ، ولكن هذا
الشاعر قد سبق عصره فى كثير من
أخيلته ومعانيه ، فلم يفهمه بعض النقاد ،
ورمـوه بأنـه خالف عمود الشعر المعروف .

وقد أخذ عليه الآمدى أيضا قوله :
«عمرت مجلسى من العواد» - وكان
يتعصب عليه - فقال : لاحقيقة لهذا
ولامعنى ، لأننا ما رأينا ولا سمعنا : أن
أحدا جاءه عواد يعودونه من الشيب ا

ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزاه
المعزون عن الشباب ا
وهذا خلف من القول ا

وقد كفانا الشريف المرتضى ، مشونة الرد
على هذا النقد المغرض ، فقال : وهذا
من الآمدى قلة بصر. فى نقد الشعر ،
وضعف بصيرة بدقيق معانيه ، التى يغوص
عليها حذاق الشعراء ، ولم يرد أبوتـمـام
العبادة الحقيقية التى يغشى فيها
العواد مجالس المرضى ، وذوى الأوجاع ،
ولمّا هذه استعارة وتشبيه ، وإشارة إلى
الغرض خفية ، فكأنه أراد أن شخص
الشيب - لما زارنى - كثر المتوجعون لى ،
والتأسفون على شبابى والمتفجعون من
مفارقتـه ، فكأنهم فى مجلس عواد لى ،
لأن من شأن العائد ، أن يتوجّع ويتفجع ا
فكنى بقوله المذكور ، عن كثرة من تفجع
وتوجّع لمشيبه ، وهذا من أبى تمام كلام
فى نهاية الحسن والبلاغة ، وما المـعيب
إلا من عابه ، وطعن عليه .

(١) الصغير : كناية عن القلب الصبي .

ونزید علی ما قاله المرثی : أن الشعراء
صرّحوا : بأن تبكیر الشیب وذهابه
برسوم الشباب الناصر ، من الخطوب
الجسام ؛ كمصيبة الموت سواء بسواء .

وقد جرت العادة أن يعزّي الناس
بعضهم بعضا في ذلك !

وفي هذا يقول داود بن جهوة :

سأبكي بدمع أو دم أشتفى به
فهل لي عذر إن بكيت على نفسي
سلام على الدنيا ولذة عيشه —

سلام غدو أو رواح إلى رمس
وأنكرت شمس الشيب في ليل ليلى
لعمري لليلي كان أحسن من شمسى

كأن الصبا والشيب يطيش نسوره
عروس أناس مات في ليلة العرس
فهذا شاعر يبكي على نفسه قبل أن
يموت ؛ لأنه اعتبر الشيب موتا !

ثم هو يشبه صباه الذى طمس نوره
الشيب ، بالعروس ؛ تخترمه المنون في ليلة

زفاته ! فأين تجب التعزية ، إن لم تجب
في هذا الموطن ؟ !

ونجد شاعرا آخر ، هو محمود الوراق
يعجب من حمق الناس ، وغفلتهم في تعزية
من يفقد بعض جُطام الدنيا وعرضها ،
ولا يعزونه إذا بزّه المشيب حلة الشباب !
فيقول :

أليس عجيبا بأن الفسقى
يُصاب ببعض الذى في يديه
فمن بين باكٍ له موجع —
وبين معزٍ مُغذٍّ^(١) إليه

ويسأله الشيب شرخ الثيبا
ب فليس يعزى خلق عليه

وقد جعل ابن الرومي فقد الشباب ؛
نهاية البلاء ، وغاية المصائب ! فقال :

أرى المرء ما يلقي التراب بوجهه
إلى أن يوارى فيه رهن المعاطب

وإن لم يُصَبْ إلا بشرخ شبابيه
لكان قد استوفى جميع المصائب

وإذا كان العزاء واجبا في مصيبة واحدة ،
فكيف به في جميع المصائب ؟ !

(١) أغذ السير ، وفى السير : أمرع .

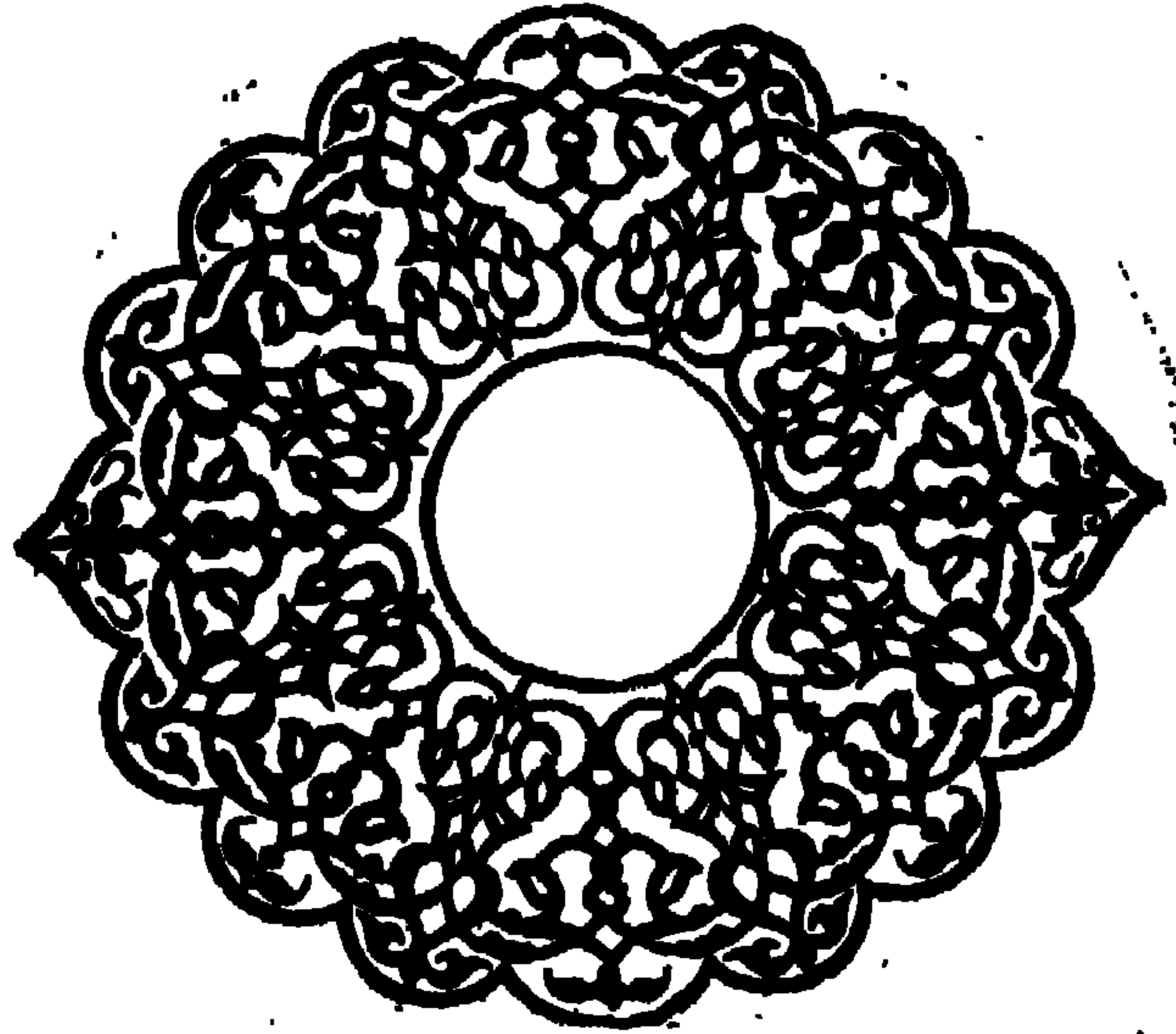
ولعل من الغريب أن نرى المتنبي يبكي
على الشباب ، وهو يرقل في وشبه ، ويمرح
في عنانه ، فيقول :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي
مشودةٌ ولما وجهي رونسقُ
حزناً عليه قبل يومٍ فراقٍ —
حتى لَكِدْتُ بماءٍ جفني أشرق

والعبرة فيما تقدم : أنه يجب أن
نتلقى كلام النقاد بالاحتراس في تناولهم
الشعر ، وألاً نلقى إليهم القياد المطلق
بلا تأمل وتمحيص ، وخاصة حين يتعلق
النقد بشاعر عالم مثقف فيلسوف كأي

تمام ، عدل عن نهج عصره في تعاطي الشعر .
ولا ريبة أن الآمدي والقاضي
الجرجاني من نقاد الأدب الحذاق
وقد عرفا بالذوق السليم ، وثقوب الفطنة ،
فسقطهما قليل ، وغير خطير ، ولكن
الاحتراس يكون أوجب ، حين يكون
الناقد من علماء النحو أو اللغة ، فقد
عرف هؤلاء من قديم بالتحامل على
الشعراء ؛ بحكم تزمُّتهم ، ووقوفهم عند
حدود الألفاظ ، وقصورهم عن متابعة
الشعراء في أخيلتهم المجنحة الموشية .

على الجندي
عضو المجمع



لغتنا



في عصر



للأستاذ أبيس المقدسي

يراد بعصر الانحطاط ،

وكيف كانت لغتنا فيه ؟

سؤال نحاول أن نجيب عليه بما يلي :



عدد كبير - خصوصا في مصر والشام
والأندلس حيث كثرت المدارس والمعاهد
واتسع مجال التعليم للطلاب . ومن يراجع
أسماء الأعلام الذين عرفوا في اللغة والأدب
والتاريخ وسائر العلوم مابين القرنين
السابع والعاشر للهجرة (أي مابعد سقوط
العباسيين حتى قيام الأتراك العثمانيين)
قد يأخذ العجب من صمود اللغة أمام
الزعازع السياسية التي قضت على سلطان
العرب وأقامت مكانهم أعاجم من مغول
وفرس وأتراك وسواهم - وإليك بعض
هؤلاء الأعلام مع سني وفاتهم بحسب
التاريخ الميلادي ^(١) .

في اللغة - ابن مالك صاحب الألفية
(١٢٧٧) ، ابن منظور صاحب لسان
العرب (١٣١٢) ، ابن هشام صاحب
المغني (١٣٥٩) ، الفيروز اباي صاحب
القاموس المحيط (١٤١٤)

في الأدب والشعر - التلعفري (١٢٧٦) ،
البوصيري (١٢٩٥) ، صفى الدين الحلبي
(١٣٤٩) ابن مكنس (١٣٩١) ، ابن
نُبَّاتة (١٣٩٦) ، اللوطواط (١٣١٨) ، ابن

بين مؤرخي الأدب العربي من يذهبون
إلى أن انقضاء العصر العباسي في بغداد
كان انقضاء لعصر الازدهار في اللغة
العربية وآدابها . والواقع أن الأمر لم يكن
كذلك ؛ فإن العربية برغم ما أصاب أهلها
من ضعف وتأخر في الحياة السياسية
ظلت قرونا بعد سقوط الخلافة العباسية
ساطعة الأنوار في شتى الأقطار . فقد نبغ
في تلك الأثناء من أهل الأدب والعلم فيها

(١) آثرنا هنا التاريخ الميلادي تسهيلا لكثيرين من القراء في العصر الحاضر

فهد. (١٣٢٤)، ابن حجة الحموى
(١٤٣٣)، الأبشيهي (حوالى ١٤٠٠)،
لسان الدين بن الخطيب (١٣٧٤).

في التاريخ والجغرافيا - ابن العديم
(١٢٦١)، ابن سعيد المغربي (١٢٧٤)،
ابن خلكان (١٢٨٢)، القزويني (١٢٨٣)،
ابن العبري (١٢٨٦)، ابن الطقطقي (١٣١٠)
أبوالفداء (١٣٣٤)، ابن شاکر الکتبی
(١٣٦٢)، صلاح الدين الصفدى (١٣٦٢)،
ابن خلدون (١٤٠٥) القلقشندي (١٤١٨)
المقريزي (١٤٤١)، ابن حجر العسقلاني
(١٤٤٨)، أبو المحاسن تغرى بردی
(١٤٦٩).

ومن أصحاب الموسوعات - النويري
(١٣٣١)، الطوسي (١٣٧٣)، العمري
(١٣٤٧)، جلال الدين السيوطي (١٥٠٥).
هذا فضلا عن أعلام عُرِفوا في سائر
مجالات العلم كالطب والفلك والرياضيات
والطبيعيات وسواها .

فالعربية في العصور التي تلت العصر
العباسي لم تفقد حيويتها ولم تعدم إقبالها
بل ظلت إلى أمد طويل الأداة المثلى
للأدب والعلم والتأليف . والحقبة أن

ما نسميه أو ما اصطلاحنا أن نصفه
بالانحطاط اللغوي لم يبرز ويشع في
اللغة إلا في ظل الحكم العثماني؛ أي ما بين
القرن السادس عشر للميلاد وأواخر
القرن التاسع عشر - وخصوصا في القرن
الثامن عشر إلى منتصف التاسع عشر -
ذلك بأن حكّام العهود السابقة للعهد
العثماني، وإن كانوا من الأعاجم، فإنهم لم
يحاولوا تجريد العربية من امتيازاتها
كلغة العلم والأدب والثقافة في زمانهم، بل
هم أنفسهم تعرّبوا؛ إذ جعلوا مراكز
حكمهم في قلب البلاد العربية واعتمدوا
لغة البلاد في معاملاتهم الرسمية وغير
الرسمية . أما الأتراك العثمانيون فقد
حكموا العرب من عاصمة بعيدة عن
مناطقهم هي القسطنطينية على البوسفور
التي عرفت لبّان حكمهم بالآستانة وتعرف
اليوم بـ استنبول . فلم يتعرّبوا بل ظلّوا
متمسكين بلغتهم التركية على أنها لغة الدولة .
ولم تكن العربية عندهم أكثر من لغة
الدين يدرسونها للتفقه في العلوم الإسلامية
والاستعانة بها على إدارة مصالحهم في
المناطق العربية من سلطنتهم الواسعة .
ولا ينكر أن بعضهم أتقنها، على أن الوسائل

في عهدهم لم تتوفر للنهوض بها ؛ إذ لم يكن في المناطق العربية التي يحكمونها إلا القليل بل النادر من المدراس ومعاهد العلم . فعمَّ الجهل تلك المناطق وخمدت فيها شعلة الأدب والعلم ، وهكذا أخذت اللغة تنحط تدريجياً . وظلت على هذه الحال حتى ظهرت حركة الانبعاث العلمية في أواسط القرن الماضي .

بيد أن الإنصاف يقتضينا أن نقرر أن العهد العثماني برغم تدهور اللغة والحياة الأدبية فيه ، لم يخلُ طوال قرونه الأربعة من أدباء وعلماء ظلت العربية حيّة على أقلامهم . يكفي أن نذكر من أسمائهم مايلي :

في اللغة والأدب - شهاب الدين الخفاجي (١٦٥٨) صاحب شفاء الغليل ، وشارح درة الغواص للحريزي - ويوسف البديعي (١٦٦٢) كاتب سيرتي أبي تمام والمتنبّي - وعبد القادر البغدادي (١٦٨٢) صاحب خزانة الأدب - والمرتضى الزبيدي (١٧٩٠) صاحب تاج العروس - وأبو العرفان الصبّان (١٧٩١) صاحب الحاشية على شرح الأشموني .

وفي التاريخ والرحلات - طاش كبرى زاده (١٥٦٠) صاحب مفتاح السعادة -

والحسن البوريني (١٦١٥) صاحب تراجم الأعيان - ونجم الدين العربي (١٦٥٠) صاحب الكواكب السائرة - وأبو العباس المقرئ (١٦٣٠) صاحب نفح الطيب - وحاجي خليفة (١٦٥٧) صاحب كشف الظنون - وابن العماد (١٦٧٨) صاحب شذرات الذهب - وعبد الغني النابلسي (١٧٣٠) الأديب الرحالة - والمرادي (١٧٩١) صاحب ملك الدرر .

فضلا عن عدد غير قليل من الشعراء والمغنيين بالعلوم الإسلامية أو الدخيلة . بيد أن هؤلاء الأعلام لا يعكسون لنا عكسا حقيقيا للحالة العلمية التي شملت الأقطار العربية إبان الحكم العثماني وخصوصاً في القرنين الأخيرين السابقين للنهضة الحديثة ، وإنما كانوا فيه أشبه بجزر قليلة متفرقة في بحر محيط واسع .

ولا بد لنا ونحن نتكلم على الانحطاط اللغوي في ذلك العهد من أن نفرّق بين (لغة التأليف) و (لغة الترميل) . فالأولى ويقصد بها اللغة التي كانت تستعمل في تصنيف الكتب لجمع أو عرض المعلومات والأخبار والبحث

في مختلف الشؤون ، ككتب التاريخ والأدب والعلم والقصص وما إليها . فهذه كانت منذ أقدم العهود يعتمد فيها على العموم الأسلوب السهل المرسل الخالي من التصنع الفني . وظلت كذلك حتى دخلت العهد العثماني . إلا أنها أخذت في هذا العهد تفقد ما كان لها سابقاً من جودة النسيج ومتانة التركيب ، وما زالت حتى وصلت في أواخره إلى دركة الركافة والثرثرة . وما نحن للتمثيل فنقل هنا بعض نصوص من كتب تاريخية أو جغرافية وضعت في عهود سابقة للعهد العثماني ثم نقابلها بأمثالها من مؤلفات العهد المذكور .

من كتاب (أحسن التقاسيم) لأبي عبد الله المقدسي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٨ م) قوله يصف دمشق :

«ودمشق هي مصر الشام ودارة الملك أيام بني أمية ، وثم قصورهم وآثارهم . بنيانها خشب وطين ، وأكثر أسواقها مغطاة . وهي بلد قد خرقتة الأنهار وأحدثت به الأشجار ، وكثرت به الثمار مع رخص الأسعار - لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فواراتها ، ولا أحزم من أهلها .

وهي طيبة جدا غير أن في هوانها يبوسة . إلى قوله يصف جامعها : « قد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كبارا مؤلفة ، وجعل عليها شرف هبة ، وجعلت أساطينها أعمدة سوداء ملساء على ثلاثة صفوف واسعة جدا ، وفي الوسط إزاء المحراب قبة كبيرة ، وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراخ فوقها ، ثم بُلُط جميعه بالرخام الأبيض ، وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزّع ثم إلى السقف بالفسيفساء الملونة ومن أعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزّع كل شامة إلى أختها . ولو أن رجلا من أهل الحكمة اختلف إليه سنة لأفاد كل يوم صبيحة وعقدة أخرى . »

ومن كتاب (المسالك والممالك) للإصطخرى وهو أيضا من أهل القرن الرابع الهجري ، وصفه لتجار فارس إذ يقول :

«وأما تجارهم فالغالب عليهم محبة المال والحرص . فأما أهل سيراف (ميناء على الخليج) والسواحل فلأنهم يسبغون في البحر حتى ربما غاب أحدهم عامة عمره في البحر . ولقد بلغني أن رجلا من أهل سيراف ألف البحر حتى ذكر أنه لم يخرج

من السفينة نحواً من أربعين سنة .
وكان إذا قابل البر أخرج صاحبه لقضاء
حوائجه في كل مدينة - يتحول من
سفينة إلى أخرى إذا انكسرت أو
تشعثت فاحتيج إلى إصلاحها . وقد
أعطوا من ذلك حظاً جزيلاً حتى إن أحدهم
يبلغ ملكه أربعة آلاف ألف دينار ، فتراه
في لباسه لا يتميز من أجيره .

وهذا نص من كتاب (مروج الذهب)
للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ . قال في وصف
له لأرض سبأ في اليمن : « ذكر أصحاب
التاريخ القديم أن أرض سبأ من أخصب
أرض اليمن وأثراها وأغلقها وأكثرها
جناناً وغيطاناً ، وأفسحها مروجاً ، على
بنيان حسنٍ مقيم وشجر مصفوف ،
ومسالك للماء متكاثفة وأنهار متفرقة .
وكان أكثر من مسيرة شهر للراكب
المجد على هذه الحال . فكان أهلها
في أطيب عيش وأرفهه ، في نهاية الخصب
وطيب الهواء وصفاء الفضاء ، وتدفق
المياه ، وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ،
وكانت بلادهم في الأرض مثلاً . فمكثوا
على ذلك ما شاء الله من الأعصار ،

لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافقهم
جبار إلا كسروه ، فذلّت لهم البلاد وأذعن
لطاعتهم العباد .

ومن كتاب (نزهة المشتاق) للشریف
الإدریسی المتوفى سنة (٨٥٤٨) ننقلها
النص من وصفه لمدينة المریة بالأندلس -
قال : « وكانت المریة قبل الآن تحوى
من صنوف آلات النحاس والحديد إلى
سائر الصناعات مالا يُحَدّ ولا يَكَيّف .
وكان بها من فواكه وادبها الشيء الكثير
الرخيص . . . وكانت المریة إليها تقصد
مراكب البحر من الإسكندرية والشام
كله . ولم يكن بالأندلس أيسر من أهلها
مالاً ، ولا أتجر منهم في الصناعات
وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً .
والمدينة في ذاتها كبيرة كثيرة التجارات ،
والمسافرون إليها كثيرون » ، إلى قوله :
« وموضع المریة من كل جهة استدارت به
صخور مكدسة وأحجار صلبة مضرسة .
لا تراب بها ، كأنها غربلت أرضها من
التراب . . »

وإذا تدرجنا في التاريخ إلى القرن السابع الهجري يطالعنا كتاب (الكامل) لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فنقرأ فيه مثلاً وصفه لزلزال في بلاد الشام إذ يقول : « في هذه السنة (أى ٥٦٥ هـ) كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلاً ، وعمت أكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها . وأشدّها كان بالشام ، فخرّبت كثيراً من دمشق وبعليك وحمص وحماة وشيزر وحلب وغيرها . فتهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك منهم ما يخرج عن الحد » - إلى قوله ذاكرة ما كان لحاكمها الأمير نور الدين من الاهتمام بتفقدتها : « وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج . ثم أتى حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد ، فلما كانت قد أتت عليها فأقام بظواهرها وبأشرف عمارتها بنفسه . فلم يزل كذلك حتى أحكم أسوار البلاد وجوامعها . »

ونص آخر ننقله من أواخر هذا القرن . وهو من وصف في (رحلة ابن جبير) لإحدى الأميرات الحاجات

حين وصولها إلى المسجد النبوى في المدينة . قال : « وصلت راكبة في قبتها وخولها قباب كرائمها وخدمها ، والقراء أمامها ، والفتيان الصقالب بأيديهم مقامع الحديد يطوفون حولها ويدفعون الناس أمامها إلى أن وصلت إلى باب المسجد المكرم . فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها ومشت إلى أن سلّمت على النبى (ص) ، والخول أمامها ، والخدام يرجعون أصواتهم بالدعاء إشادةً بذكرها . ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة التى بين القبر الكريم والمنبر ، فصلّيت فيها تحت الملحفة ، والناس يتزاحمون عليها والمقامع تدفعهم عنها » .

هذه نماذج من لغة التأليف في كتب التاريخ والجغرافيا وما إليها خلال العهدين العباسى والمغولى ، وهى على العموم من الأسلوب المرسل السهل المحافظ على أصالة التركيب وصحة اللغة مع تفاوت في درجات الجودة ، في سبك الكلام وبلاغة الإنشاء ، بالنسبة لاختلاف درجات المؤلفين .

والذى يبدو ، أو يمكن استنتاجه ، أن لغة التأليف لم يطرأ عليها تغيير يذكر قبل العهد العثماني (أى قبل القرن السادس عشر للميلاد) . ففى أوائله يطالعنا ابن إياس بتاريخه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) وهو كتاب ذو أهمية وفائدة عظيمة من الوجهة التاريخية ، ولكنه من الوجهة اللغوية ركيك العبارة ، شأن بعض المؤلفات الأخرى فى ذلك القرن ، برغم أنه قرنٌ أنشأ عدداً غير قليل من أعلام المؤلفين واللغويين : وإليك مثالا من أسلوب ابن إياس - قال : « وفى صفراً رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار إلى القدس وقيم به . فلما خرج إلى سبيل ابن قايمار بعث السلطان إليه من فتشه فلم يوجد معه غير ثلاثمائة دينار وبعض فضة . وكان قد وثى به عند السلطان بأن معه مال . ثم رسم بإعادته إلى القاهرة وطلع إلى القلعة فأدخلوه البحرة ، وأحضر إليه السلطان فى يومه بالمعاصير ، وعصره فلم يقر بشيء من المال ، فأجاب بأن يبيع أوقافه ويرضى السلطان . فتكلم ناظر الخاص يوسف بأمره وأحضر بين يدي السلطان . وقيل إن السلطان لم يعصره

فى هذه المرة بل ضربه بالدهيشة فلما حضر بين يديه تكلم له تميز الدوادار الثانى ، فأخلع عليه السلطان وأعادته للاستادارية . وفى نص آخر يقول : « وفى جمادى الأولى رسم السلطان للعسكر بأن فى يوم الجامكية يصعدوا إلى القلعة بالشاش والقماش لقبض الجامكية (ما يترتب لهم من مال) . وأراد أن يمشى على النظام القديم . فدارت الطواشية على الممالك السلطانية وأعلموهم بذلك ، فما وافق العسكر على ذلك وبطل تلك الإشاعة عن قريب . وأكثر لغته على هذا النسق .

ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا استدللنا على ذلك من مؤلفات أديب من أبرز أدباء ذلك القرن هو عبد الغنى النابلسي . ففى كتابه (الرحلة القدسية) نلمس تكلفاً مع هلهلة فى العبارة لم نعهدها فى كتب السابقين من كتاب العصرين العباسي والمغولي ، كما يظهر لك من النص التالى ، إذ يصف خروجه من بيت المقدس . قال :

«عزمتنا على الخروج من هاتيك البلاد والتوجه إلى الأهل والاولاد ، فحضر

لوداعنا جملة من أصحابنا، فسرنا على
بركة الله تعالى . وخرجنا من باب العمود ،
وخرج معنا إلى مقام الشيخ جراح
سادة من أهل الكرم والجود ، وفات
معنا صاعدا هاتيك العقبة الكدود ، بعض
الأصحاب إلى أن وصلنا إلى خان البيره ،
فنزلنا هناك على مياه كثيرة ، ورياض
نضيرة . ثم سرنا إلى قرية سنجل ، وبتنا
وكانت ليلة عطره ، لكنها من اللصوص
خطرة . حتى انتفض الصباح عن صبغة
الليل ، وشمر الدجى لمسيره الليل .
ومنها يصف زيارته لقبر النبي موسى بعد
توديعه من كان يشيعه من الرفاق فيقول :
« فسرنا بعد طلوع الشمس بساعتين ،
حين انتهاء وداعنا وحصول أول البين .
ولم نزل في الطريق ، حتى وصلنا إلى
حامي ذلك الفريق ، بعد قطعنا كل فج
عميق . وكان دخل وقت الظهر وفات ،
وكادت أن تدرك المشاة الوفاة . من
شدة الدعر ، وكثرة الوعر . فأشرفنا
من ذلك الشاهق العالى ، ووجدنا ذلك
النور المتلالي . وأقبلنا على ذلك الكثيب
الأحمر ، وقد بنى حوله بالعص والحجر
الأخضر . ولم نزل نازلين ، وفي السير

مسرعين ، إلى أن وصلنا ذلك الحرم
الأمين . فدخلنا من الباب ، مع الجماعة
والأصحاب . وبدأنا بصلاة الظهر مع
الجماعة ، وبادرنا بأداء الفرض والطاعة ،
ثم قمنا إلى جهة المزار العظيم ، والقبر
الذى أشرقت عليه أنوار الكليم »

فالتأمل في إنشاء هذا المؤلف الذى
كان من أكبر أدباء القرنين السابع عشر
والثامن عشر لا يسعه إلا أن يرى فرقا
بين لغته ولغة المؤلفين ذوى الأصالة
السابقين . على أن النابلسى فى تأليف
كتبه لم ينحرف كثيرا عن الأصول ولم
ينحدر إلى الدركة التى انحدر إليها غيره
من مؤلفى العهد العثمانى ، وبخاصة بعض
مؤرخى النصف الأول من القرن التاسع
عشر ، كما سنرى بعد .

ومن هذا القبيل رحلة مصطفى البكرى
الصديقى المتوفى فى أواسط القرن الثامن
عشر دونها ولا تزال مخطوطة فى خزانة
الكتب الخالدية بالقدس بعنوان (الحلة
الذهبية فى الرحلة الحلبية) . وقد
لخصها المرحوم أحمد سامح الخالدى
فى مجلة الرسالة (مصر) مج ١٦ - ٩٧٦

وهذا مثال منها في وصف مدينة حمص .
قال : « ولم يعش لنا نصيب ، بدخول
مدينة حمص العجيب ، تكويننا ومزدرعا
وأموها ، لأن الخراب حتى في ظهوره
تباهى . وكان أكثر خرابها من قبيلة
(الموالى) ، الذين من والاهم لم يوال
الموالى . على أن فيها من المزارات
والسادات الكثير ، ويغلب على أهلها
البلاهة والتغفل مع الجد والتشمير .
ولقد دخلت جامعها الكبير ، فرأيت آية
في التعمير ، فصليت فيه الظهر والعصر
بنفر غير كبير » .

وما بين هذا القرن (الثامن عشر)
ومنتصف القرن التاسع عشر تزداد لغة
التأليف تدهورا وانحطاطا . ويظهر لنا
ذلك في مؤلفات الأمير حيدر الشهابي
والشيخ عبدالرحمن الجبرتي . حتى إن
الشيخ رفاعة الطهطاوى المتوفى ١٨٧٣
والذى يعد من كبار رواد نهضتنا كان
مع سعة معارفه يسفأ أحيانا فيخلط
في كتابته الكلام الصحيح الجيد بالعبارات
الساذجة العامية ، على أنه كان أفضل إنشاء
وأمتن عبارة من الجبرتي وحيدر الشهابي

وطبقتهما من المؤلفين - وهالك نماذج
من لغة التأليف في عصرهما .

فالجبرتي المتوفى ١٨٢٥ وهو من علماء
عصره . قال فيه زيدان : « أصله من
جبرت وهى الزيلع فى الحبشة .
وكان والده من كبار العلماء الفلكيين .
أما ابنه المؤرخ عبدالرحمن فقد درس
فى الأزهر وتمكن من علوم عصره » .
ولما جاء الفرنسيون مصر تعين كاتباً
فى الديوان . وانقطع بعدئذ إلى التأليف
وقد بلغ السبعين من العمر . وعاصر أهم
الحوادث التى جرت فى أواخر القرن
الثامن عشر وأوائل التاسع عشر .
وأهم مؤلفاته (عجائب الآثار فى التراجم
والأخبار) . وعنه ننقل النص التالى
للتمثيل على أسلوبه ذبل على أسلوب
عصره العام - قال فى ج ١ ص ٢٥٨ من
طبعة مصر ١٣٢٢هـ :

«ولما حضر حمزة باشا - سنة تسع
وسبعين ومائة وألف - المذكور واليا على
مصر ، وطلع إلى القلعة ، فعرضوا له أمر
صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع
الغلال والميرى ، وأخذوا فرمانا بالتجريد

(١) رجع كتابة آدا ، اللغة العربية ج ٤ ص ٢٨٢

عليه . وتقلد حسين بك كشكش حاكم جرجا أمر التجريدة ، وشرعوا في التشهيل والخروج . فسافر حسين بيك وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الازباوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه (أى صالح بيك) وعدى إلى شرق أولاد يحيى . وكان حسن بيك شبكة مملوك حسين بيك قد نفاه على بيك أمير الحج إلى قبلى (أى إلى الجنوب) . فلما توجه حسين بيك بالتجريدة ، وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى انفصل عنه (عن صالح) وحضر إلى سيده حسين بيك وانضم إليه كما كان . ثم يقول :

«ورجع محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك إلى مصر . وتخلف حسين بيك يريد الذهاب إلى منصبه بجرجا وأقام فى المنية . فأرسل إليه على بيك (أمير الحج المذكور) فرمانا بنفسه إلى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى ممالكه وأتباعه وأمرائه وحضر إلى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا فلم يفتحوه .

فكسره وذهب إلى بيته . وبقي الأمر بينهم على المسألة أياما « الخ الخ . .

وكتاب الجبرى معظمه على هذا النسق الركيك الإنشاء والذي يكثُر فيه الكلام العالى والتراكيب العامية ، مع أن المؤلف من أهل العلم ومن تلامذة الأزهر وكتابه من المراجع التاريخية التى يعتمد عليها فى الاطلاع على أحوال مصر السياسية فى ذلك العهد .

أما الأمير حيدر الشهابى فمن لبنان أو قل من بلاد الشام توفى ١٨٣٥م وتاريخه معروف ولغته أضعف من لغة الجبرى وأدنى إلى العامية . وهذا نموذج منه :

«ثم بعد ذلك حضر الجزار من الشام لعكا وترك متسلما بالشام محمد آغا أمينه ، الرجل الظالم ، حتى إنكان الجزار نسي أحدا من أهل الشام وما ظلمه ، يفكر فيه متسلما . ثم بعد وصوله إلى عكا بعشرة أيام خرج باكرا إلى باب السرايا قبل طلوع الشمس وأمر بتكسير أبواب المدينة ، وجعل يرسل غلمانه يقبضوا على من يأمرهم

(١) ص ١١٢ من النسخة التى صدرت فى بيروت سنة ١٩٥٥ للاب شيل والأب خليفة .

عنهم من العمال والكتّاب ، وأهالى عكا ،
ويحضرهم إليه . وبعد قليل استاقوا
لبين يديه أكثر من مائتين نفر ، فأرسلهم
جميعا إلى السجن ، ثم قبض على النواب
أيضا وحبسهم . وكان كلما رأى إنسانا
يدعوه إليه وينظر في وجهه ويكشف
رأسه وينظر به ، فالذى يقول إن به
نیشان يرسله إلى الحبس ، والذى ما يجد
به نیشان يطلقه . وبعده أحضر الفعالة
وعمل بهم كذا ، وقبض على جملة منهم
ومن النجارين وأرباب الصنایع الأخر
حتى أمتلات الحبوس من الناس .

وفى ثانی الأيام دعى عسكر المغاربة
وأمرهم أن يخرجوا جميع المحبوسين إلى
خارج البلد ويقتلوهم ، ففعلوا ما أمرهم به
حتى صار يوم مهول لا يسمع فيه غير
أصوات عويل وبكاء وندب من الأمهات
والعیال والأولاد والبناات والإخوة الذين
ترملوا وتیتموا ، ثم من المقتولين ، ولا
يرى فيه غير جثث القتلى كالغيم مطروحين
خارج البلد صایرين طعاما لوحوش
الأرض . ثم عند المساء أمر المنادی في
شوارع المدينة في عكا : أن كل من يخرج
يلفن ميتة على الصمت ، وأن المرأة
التي تبدى عويلا تقتل فضلا عن الرجال .

ثم بعد ذلك أرسل جنودا وقبضوا
على أهل البر من الفلاحين والمشايع
وأصحاب المقاطعات ، وهؤلاء قتل
البعض منهم ، والبعض كان يقطع
آذانهم وأنفهم ويطلقهم .

فمما ورد في هذين الكتابين وفي
سواهما من كتب هذا العهد لكتّاب
كانوا يعدّون من كبار المؤرخين والأدباء
نستطيع أن نرى إلى أية دركة وصلت
لغة التالیف قبیل الحركة التي قام بها
رؤاد النهضة الأدبية الحديثة .

هذا من حيث الأسلوب العام في تالیف
الكتب من تاريخية وسواها مما يراد بها
سرد المعلومات لا الأناقة الفنية . فإذا
تحولنا إلى الترسل الفني - أي كتابة
الرسائل والخطب الأدبية - وجدنا الأمر
نفسه ، بل ما هو أشد وأدهى . ولكي
نستجلي الفرق بين الترسل الفني في
عصر الانحطاط وما سبقه من العصور
الكتابية ، نستعرض الآن بلمحة خاطفة
الآطوار التي مر فيها عبر تاريخنا الأدبي .
وهي على العموم كما يلي :

الطور الأول - ويشمل صدر الإسلام إلى أواخر العهد الأموي . وينتظم ما نقله لنا الرواة من رسائل وخطب . وهي على العموم تنقسم بطابع خاص من الجزالة والإيجاز المُحكم الخالي من التصنع . فيجري الكلام فيها جريانا طبيعيا دون حشو أو تكلف أو تطويل .

الطور الثاني - ويشمل القرن العباسي حتى القرن الرابع الهجري . وفيه يتحول الترسل عن الإيجاز إلى التوسع والتبسط. فتطول الرسائل ، ويأخذ الكتاب بإنشاء الفصول في الأغراض . وأظهر مزاياه الإنشائية توازن العبارات وحسن النسج لدَيباجة الكلام ، ويمثله عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيدى وطبقتهم .

الطور الثالث - يبتدىء من القرن الرابع الهجري ويمتد إلى القرن العاشر فيشمل معظم العصر العباسي ثم العصر المغولي حتى صدر العصر العثماني ، وهو طور التأنق البديعي ويسوده التفنن في استعمال السجع وتكلف المحسنات اللفظية والمعنوية . ومن مشاهيره (وهم كثر) ابن العميد والصباي والقاضي الفاضل وابن الأثير والعماد الأصبهاني

وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وأمثالهم ، فضلا عن أصحاب المقامات ، ومن جرى محرامهم

الطور الرابع - ويمتد من نهاية الطور الثالث حتى ابتداء النهضة الحديثة في القرن السابق لقرننا الحالي : وهو الموسوم بطور الانحطاط . والانحطاط الترسل فيه مظهران : مظهر الزخرفة البديعية المستهجنة ومظهر الإسفاف المبتذل . وهالك أمثلة على كل من هذين المظهرين :

فمن تكلف الزخرفة المستهجنة ، ديباجةٌ مكتوبٌ إلى أحد الأكابر ننقلها من كتاب بعنوان (مجموع إرشادات في لطائف المكاتبات وتحائف المراسلات) (١) :

«إن أرضا تشرفت بمواطئ تلك الأقدام ، وتمسكت بأذيال ذلك الهمام ، لجديرة أن تقبل بسواد الأحداق ، دون بياض الأوراق وتلثم بالأفواه والمحاجر ، دون ثغور السطور والمحابر ، غبَّ إهداء لطايف نحيات نشرها فائح طيب الشميم ، وشراف دعوات ذكرها صالح مقرونة الإجابة من رب رحيم ، إلى جناب الولي الكريم ،

(١) مخطوطة في مكتبة عيسى اسكندر المعلوف . وكان قد تكرم رحمه الله وسمح لنا بالاطلاع عليها والاستفادة منها .

من اتخذ إفاضة المعروف وإغاثة الملهوف مذهباً ،
واختص بعموم النفع في الأرض مشرقاً
ومغرباً ، المشار إليه بالمعالي ، ولا زال كرمه
مختم آمال الراغبين ، ومحط رحال
الطالبين ، معروض العبد الدليل ، لحضرة
المولى الجليل ، هو أنه . . . الخ .

وعلى غرار هذه المجموعة (من القرن
الثامن عشر الميلادي) مجموعة «رسائل
سعيدية» نشرتها دار الطباعة المغربية
في تطوان^(١). ومنها هذه القطعة من رسالة لأبي
فارس القشتالي وزير السلطان المغربي أبي
العباس أحمد المنصور بعث بها إلى قائد
الأساطيل البحرية . قال فيها بعد مقدمة
طويلة كثيرة الزخرفة : «هذا ودرر ودكم
كانت تقدمها إلينا على البعد أمواج البحار
وعرف ولائكم ما زالت تهديه للقلوب على
شحط الدار نسيات الأسحار ، وعقائد
إخلاصكم بلسان الاشتهار هنا وهناك في
القديم تنلى ، وعقائل مصافاتكم على منصات
الوفاء تجلى » ، وهكذا إلى آخر الرسالة .
وهذه قطعة أخرى من إحدى رسائل ذلك
العهد تمثل ما وصل إليه من زخرفة مستهجنة

أسلوب الترسيل المتصنع في ذلك العهد^(٢) .
(وهي رسالة من أحدهم إلى رجل كبير) :

«يقبل الأرض المقبلة بشفاه المقل
لا بشفاه الثغور ، الضاربة سراق المجدفوق
هام النسرين وهالات البدور ، المتخذة
الجوزاء نطاقاً ، والثريا شفا وأقراطا
والنجوم قلائد وأعلاقاً » . . . إلى قوله :
«ووصف أشواق زنادهما له بين القلوب رى
وورى ، وعضبها الماضي الشبا له في أديم
القلب شق وفري ، وشكوى فراق نمته
الأعداء فجاء على وفق الاقتراح ، وعدم
المحب معه صبرا من حيث راح . قد حل
عري التجلد والاقتدار ، ودار بكؤوس
منونه فأزهق الأرواح من وقت دار . . .
إن المملوك منذ استولى عليه بعد مولانا وفراقه
وذاق صاب هجره وبعده المرير مذاقه ، ما
خيبط جفونه على سنة مع وجود إمبرأهاده ،
ولا ألف جنبه المضطجع منذ فراقه ظبي
الكناس وانجصر مع ليث الفراق في غابه . .
قد نبذ الإخوان والأخذان ظهرياً ، وهزليه
نخلة ودادهم فتساقطت عليه حشفا وكان
يجد بقرب مولانا رطباً جنيّاً » . وهي

(١) تحقيق الأستاذ عبد الله كنون .

(٢) راجعها وراجع أمثالها في كتابنا (تطور الأساليب الشعرية) ص ٣٤٥ - ٣٥٨

رسالة طويلة وكلها على هذا النسق المزخرف الذي أولع به مترسلو عهد الانحطاط تقليدا لمن اشتهر في العصور السابقة بالمقدرة على صنع الكلام، وتحليلته بأنواع السجع والبديع فأساءوا إلى اللغة من حيث أرادوا الإحسان.

فإذا قابلت بين هذا الأسلوب الغث الممل الذي كان يسود الترسل الأدبي إبان القرنين السابقين للنهضة، وما كان عليه الترسل أيام عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وأمثالهم منذ أواخر العصر الأموي حتى أواسط وأواخر العصر العباسي تبين لك إلى أية دركة بلغ الانحطاط في إنشاء المترسلين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وبعض القرن التاسع عشر من العهد العثماني .

وأحط من الترسل الأدبي في هذا العهد الترسل الديواني ؛ فالمراسلات الديوانية جمعت إلى غثائفة الزخرفة البديعية الإسفاف والابتذال العامي حتى على أقلام الخاصة من المراسلين . ومن أراد الاطلاع على ذلك بتفصيل فليراجع المؤلفات التالية حيث يجد المثات من الشواهد :

تاريخ الأمير حيدر الشهباني .

الأصول التاريخية لأسعد رستم وقد جمع فيه المؤلف عددا كبيرا من مراسلات الحكام.

كتاب الأنيس المفيد نشر دى سامى .
محركات سياسية لفيليب وفريد الخازن
مخطوطة مجموع إرشادات في لطايف
المكاتبات وتحائف المراسلات (في مكتبة
عيسى المملوف)

تطور الأساليب النثرية لأنيس المقدسى .
وسواها .

فلما حدث الانبعاث الأدبي على أيدي رواد النهضة الحديثة أخذت اللغة تخلع عنها أطمار عهد الانحطاط ، ثم خطت إلى الأمام فتخلصت تدريجيا من التكلف البديعي الغث والإسفاف المبتذل . ولم تكذبزغ شمس القرن العشرين حتى كانت قد جرت شوطا واسعا في هذا السبيل .

وها نحن اليوم في إبان هذا القرن وقد استطاعت اللغة أن تعيد مجدها الغابر في اختيار الألفاظ الحية الناصعة والتراكيب الحرة البليغة ، لا فرق في ذلك بين الترسل الفني ولغة التأليف العلمية على أنواعها . وقد كان لتقدم الصحافة شأن في هذا التجدد كما كان لرقى المعاهد العلمية وتقدم الحياة الحضارية في مختلف الأقطار العربية .

أنيس المقدسى
عضوالمجمع من لبنان

في تاريخ الطب عند العرب

للدكتور عبد الحليم منتصر^(١)

يعالج مرضا واحدا ، لا جملة أمراض ،
والبلاد تعج بالأطباء ، فبعضهم لأمراض
العيون ، وبعضهم لأمراض الرأس ،
وبعضهم للأسنان . . . وهكذا . ويذكر
أن قيروش ملك الفرس أرسل مرة إلى
مصر في طلب مختص بالعيون ليستخدمه
في بلاطه .

وتحتوي بردية « إمبرس » ويجمع
تاريخها إلى ١٥٥٠ ق . م . على كثير
من الوصفات الطبية ، مع ذكر مركبات^٢
مفرداتها ، وفيها ذكر لأسماء بعض
الأمراض مثل الرمد الحبيبي ، وأمراض
المفاصل والديدان وغيرها . كما ورد فيها
ذكر للمرض المعروف الآن باسم البلهارسيا

الحق أن نقول إن
المصريين القدماء ، كانوا
مركز الإشعاع الحضاري للعالم كله ، هم
واضعو أسس كثير من العلوم ، ومنها
الطب والكيمياء . ويعتبر « امحوتب »
أول طبيب ورد ذكره في التاريخ ، كان
وزيرا للملك زوسر من ملوك الأسرة الثالثة
منذ نحو خمسة آلاف سنة ، وقد اشتهر
امحوتب بمهارته في الطب والفلك والحكمة
والفلسفة ، حتى خلد عصر مليكه « زوسر »
بتشييده هرم سقارة ، وحتى رفعه المصريون
إلى مصاف الآلهة ورسموه إلها للطب .
ويروى « هيرودتس » أن الطب يمارس في
مصر على طريقة الاختصاص ، فالطبيب

(١) اتمدنا في هذه الدراسة على مصدرين رئيسيين هما: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
ومقدمة في تاريخ الطب العربي للدكتور التيجاني الماحي ، بالإضافة إلى مصادر أخرى وردت في المتن .

أما بردية « ادوين سميث » ويرجع تاريخها إلى ١٦٠٠ ق . م . ، فأغلب محتوياتها جراحية ، وفيها وصف شامل للجروح ، وطرق علاجها والكسور البسيطة والمركبة واستعمال الجبائر والختان وغيرها من جراحات بسيطة ، وفيها يبتدئ الطبيب وصف الأعراض والعلامات ثم ينتقل إلى تشخيص الإصابة ، ويختتم بالعلاج . وكذلك تحوى برديات « كاهون » وشستر بيتي « وبرلين » ولندن « وبردية أمراض النساء ، وصف كثير من الأمراض وطرق العلاج ، وتحديد تركيب وكمية الجرعة من الدواء ، وطريقة تناوله ، وكان القدماء يعتمدون كذلك على الرقى والعزائم والطلاسم السحرية . كما دلت دراسة هذه الوثائق كذلك على أن المصريين القدماء عرفوا استعمال المقيثات والأشربة والحقن الشرجية والغرغرات والمراهم ويستنشقون الأدوية والأبخرة وعرفوا كذلك الأقمعة واللبخ واللققات والأدوية المدرة للبول والمعركة ، ومارسوا الفصد ، واستعملوا الأفيون والأدوية المسكنة والمفرحة ، وخواص الشوكران (سم سقراط) وأملاح النحاس وزيت

الخروج والصبر والكزبرة والنعناع والمر والمصطكى والزعفران وحب الزلم والبيرورح وغيرها . كما عرفوا الرمد الحبيبي والالتهابات الرمدية الأخرى والشسعة والظفرة والمياه الزرقاء وكان لهم اعتقاد في الحسد ويتخذون لها الطلاسم والتائم . وعرفوا استعمال الجبائر واستخدموا الحجامة . وكان المصريون القدماء أول من عرف الخمائر واستعملوها في صناعة الخبز . وذكر هيرودتس أن قدماء المصريين كانوا يتعاطون الأدوية المسهلة مرة في الشهر ، ويتناولونها ثلاثة أيام متتالية وبالجمل ففقد وضع المصريون القدماء أساس الطب ، واقتبس منه اليونان والأشوريون والبابليون وغيرهم .

أما في بلاد اليونان ، فيعتبر «ابقراط» المعلم الإنساني الأول لمهنة الطب ولد عام ٤٦٠ ق . م . من أسرة تنتمى لطائفة اسقليبياد . وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وبناه على أسس علمية صحيحة ، وقد رفع من آداب المهنة ووضع تقاليدها الحسنة ، وهو أول من بنى الطب على أساس التجربة العلمية الصحيحة وطهره من الخرافات والأساطير ، وقد خلف

ابقراط سبعة وثمانين كتابا ورسالة في
شئون الطب ، وقد نقل العرب عددا من
كتبه ، منها «الفصول» و «عهد ابقراط»
و «الكسور» و «تقدمة المعارف» والأمراض
الحادة والاخلاط والأمراض الوافدة والماء
والهواء وطبيعة الإنسان . وكان يقول
لا تشرب الدواء إلا وأنت تحتاج اليه .
وأن الجسد يعالج على خمسة اضرب ، ما في
الرأس بالغرغرة وما في المعدة بالقيء ، وما في
البدن باسهال البطن ، وما في الجسد بالعرق
وما في العمق وداخل العروق بارسال الدم .

وفي جامعة الإسكندرية القديمة نبغ
عدد من أساتذتها في علوم الطب وخاصة
التشريح ، لأنهم وجدوا في كنف البطالة
ما يمنع العدوان الذي يناله من يقدم على
تشريح الموتى في تلك العصور ، واستطاع
علماء التشريح في الأسكندرية أن يسبقوا
غيرهم في وصف صمامات القلب والأثنى
عشر وبعض أجزاء الدماغ الهامة . كما
عرفوا الأعصاب بنوعيتها الحسية والمحرك ،
وميزوا بينها وبين الأوتار العضلية ، ومن
أشهر أطبائهم اوريباسوس وهيروفليس
واراسيترساتوس ، ولكن أشهرهم على
الإطلاق كان جالينوس ، الذي يختل

المكان الثاني بعد ابقراط ، وكان أحب
الأطباء إلى العرب ، وقد ترجموا من
كتابه بالإضافة إلى الستة عشر كتابا
المشهورة ، نحو ثمانية وخمسين كتابا ،
وأشهر تراجمه حنين بن اسحق ، وعيسى
بن يحيى ، أما ديسقوريدوس فهو أبو
الصيدلة ، وكتب ديسقوريدس موسوعة
نباتية ، نقلت إلى العربية تحت اسم
كتاب الحشائش ، ومنهم بولس الأيجنطى
(٦٢٥ - ٦٩٠ م) وأعماله الجراحية
مشهورة ، وقد وصف عملية ثقب الجمجمة
واستخراج حصاة المثانة بالشق ، كما قام
بإستئصال اللوزتين ، وبزل الاستسقاء ، وبتر
الثدى - يقول عنه القفطى كان مقامه
بالأسكندرية وكان خبيرا بعلم النساء
كثير المعاناة لهن ، والقوابل يلقينه ويسألنه
عن أمور النساء ، ولذلك سمي بالقوابلى ،
ومن تصنيفه كتاب الكناش في الطب
وكتاب علل النساء .

أما الطب الفارسي فقد بدا في عصر
جمشيد ، فهو الذى أظهر علوم الصناعة
الطبية وتعرف خواص الأدوية فشاعت
هذه الصناعة بين الناس في ذلك الزمان .
وفي عهد أسرة الكيانبيين استقدم دارا

عددا من الأطباء المصريين لبلاطه الخاص وكان عظيم الثقة بهم فنشروا وصفاتهم بين الفرس وفي عهد الأسرة الساسانية جمعت نصوص الزندافستا . وكان الطب عند الفرس خليطا من التقويم والرق وبعض المبادئ الطبيعية العلمية .

وقد نقل العرب أسس طبهم من الشعوب القديمة التي تجاورهم ، وخاصة الكلدان والفرس والهنود ، وأضافوا إلى ذلك من تجاربهم وكان لديهم في العصر الجاهلي طريقتان للعلاج ، تعتمد الأولى على الكهانة والعرافة . وتعتمد الثانية على العقاقير من نباتية ومعنوية ، وكذلك الكي والحجامة والفصد ومن أشهر أطبائهم في الجاهلية «ابن حزيم» حتى كانوا يقولون «أطب من ابن حزيم» ، ثم الحارث بن كلدة الثقفي . ومن أقواله ، من سره البقاء ولابقاء ، فليبادر بالغذاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء ، وللحارث من الكتب كتاب «المحاور في الطب» ومنهم النضر ابن الحارث بن كلدة .

ومنهم ابن أبي رمثة التميمي ، وكان طبيبا عالما بصناعة الجراحة . وكان في

زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبظهور الإسلام ، نشأ ضرب جديد من الطب ، يسمى بالطب النبوي ، يشتمل على مجموعة من الأحاديث الخاصة بالمرضى ، تحتوي على وصفات لعلاج بعض الأمراض . وقد ألف كتابين من الجزء السابع من البخاري يتألف الأول من اثنين وعشرين بابا تشتمل على ثمانية وثلاثين حديثا عن عيادة المرضى والدعاء لهم ، ويحوى الثاني ثمانية وخمسين بابا تشتمل على واحد وتسعين حديثا ، جاء فيها ذكر بعض العلل كالصداع والشقية والرمد والجذام والحمى واستطلاق البطن وذات الجنب (التهاب الرئة) والطاعون ولسعة الحية والعقرب . وفيها إشارات للمداولة بالعسل شرابا وبالكى والاحتجام من الشقيقة ، ووصف ألبان الإبل ، وإشارة إلى الأئمة وماء الكماء للرمد واستعمال الحية السوداء ، خمس أو سبع منها تسحق ثم تقطر في أنف المريض مع قطرات الزيت ، والعود الهندي سعوطا لذات الرئة ، وارقة الجسم بماء البارد للحمى . وقوله عليه السلام إذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخولها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها .

ومن الذين قاموا بدراسة موضوع الطب النبوى «الذهبي» وفيه يقول «أن قواعد الأطباء أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن، فكلما كانت أخلاق النفس أحسن كان مزاج البدن أعدل» والحموى، في كتابه الأحكام النبوية في الصناعة الطبية وابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوى، ويقول ابن خلدون في ذلك إنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات . فقد كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على وجهة التبرك . ويقول صاعد الأندلسي «كانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فأنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس إليها ولما كان عندهم من الأثر من النبي (صلعم) [حيث يقول : يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم .

وفي العصر الأموي اشتهر من الأطباء «ابن اثال» وكان طبيبا لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها . وأبو الحكم وحفيده عيسى ومنهم ابن ماسرجويه الطبيب البصري في زمن عمر بن عبد العزيز ، وله كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها ، ثم عبد الملك بن ابهر الكنانى ، وكان طبيبا عالما ماهرا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه في صناعة الطب .

ومنهم يتاذون الطبيب وقد اختص بخدمة الحجاج بن يوسف ، وقال ابن قتيبة إن الحجاج قال له مرة صف صفة آخذ بها نفسى ولا أعدوها قال يتاذون «لا تتزوج من النساء إلا شابة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ، ولا تأكله حتى ينعم طبعه ، ولا تشرب دواء إلا من علة ، ولا تأكل عليه شيئا ، ولا تحبس الغائط والبول ، وإذا أكلت في النهار فم ، وإذا أكلت في الليل فتمشى ولو مائة خطوة .

وقد اشتهر في أواخر عهد الأمويين «زينب» طبيبة بنى أود : يقول عنها

ابن أبي أصيبعة « كانت عارفة بالأعمال الطبية » خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك .

ويروى ابن النديم أن خالد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان كان شغوفا بالكيمياء ، استخدم عددا من العلماء ترجموا له الكثير من الكتب اليونانية والنجوم . وكانت الكيمياء قديما منصبة على الشرر على أكسير الحياة وحجر الفلاسفة . وبالرغم من ذلك يقول برثوليه « لقد بلغ جابر بن حيان في الكيمياء ما بلغه أرسطو في المنطق .

وكان الوليد بن عبد الملك أول من أنشأ المارسيطنات في الإسلام ، فقد أنشأ مارستانا بدمشق عام ٨٨ هـ ، جعل فيه الأطباء ، وذكر الطبري أن الخليفة المذكور أمر بحبس المجنومين وأجرى لهم الأرزاق ، وهذا أول محجرشيد في الإسلام

وكان يختيشوع ممن اشتهروا في الطب في عهد العباسيين ، وله كتاش التذكرة ثم ابنه جبريل وقدر ما جمعه جبريل في شتى خدمته في عهد الرشيد والمأمون

بمقدار ٢٥٠ مليون جنيه استرليني ، أكثرها من مال البرامكة ، وخلف جبريل ابنه يختيشوع بن جبريل وكان طبيبا حاذقا : وكان ابنه سعيد آخر أفراد هذه لأسرة الطبية العظيمة التي انفردت بخدمة بلاط العباسيين مدى قرون ثلاثة ، وأفرادها موضع تقدير الخلفاء ومحل ثقتهم .

وقدمت الترجمة في العصر العباسي بثلاثة أدوار ، الأول من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من عام ١٣٦ - ١٩٣ هـ . وقد نبغ في هذا العهد عدد من التراجمة ، نذكر منهم من عني بنقل كتب الطب خاصة من أمثال يحيى بن البطريق ، وجورجيوس بن بختيشوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم ، ويبتدىء الدور الثاني من ولاية المأمون ١٩٨ - ٣٠٠ هـ واشتهر من التراجمة قسطنطين بن لوقا البعلبكي ، وحنين بن اسحق ، وابنه اسحق بن حنين وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة الحراني ، وقد بذل المأمون جهده في استخدام التراجمة ، وكان ينفق في ذلك بسخاء ، وكان يحرض الناس على قراءة الكتب ويرغمهم في تعليلها ، واقتدى به

الكثيرون من أهل دولته في بغداد فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء جزيرة العراق والشام وفارس وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والنبطية واللاتينية وغيرها ، وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب وتعددت مجالس الأدب والمناظرة ، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة ، وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدة من خلفائه . أما ترجمة الدور الثالث الذي يبتدئ من ٨٣٠٠هـ وينتهي في منتصف القرن الرابع الهجري ، فكانوا أكثر اشتغالا بنقل المنطق والطبيعة ، منهم متى بن يونس ، وسنان بن ثابت بن قره ، ويعلم حنين بن اسحق العبادي (١٩٤ هـ - ٢٦٤ هـ) شيخ ترجمة العصر العباسي ، بلغ اهتمامه بترجمة الآثار اليونانية مبلغا عظيما ، فكان يجوب الأقطار في طلبها والحصول عليها ، مثال ذلك كتاب البرهان لجاليينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري ، والذي قال عنه حنين إنني بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى

الاسكندرية ولم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في دمشق ، وقد ترجم حنين إلى العربية سبعة من كتب أبقراط ، وترجم إلى السريانية من كتب جاليينوس «خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين ، كما راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه ، ستة إلى السريانية ، وسبعين إلى العربية ، كما ارجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التي كانت ترجمت إلى السريانية ، ونقل أيضا ثلاثة من كتب أوريبا سوس خلاف ما نقله من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسطو ، وبلغت تأليفه الخاصة نحو ثلاثين كتابا ، ومن أشهر تأليفه كتاب العشر مقالات في العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ما ألف في أمراض العين ، بطريقة علمية منظمة ، وقد نشره وحققه ما يرهوف ، ومن أخلد أعماله ترجمة كتاب التشريح لجاليينوس .

أما ابنه اسحق ، فقد كان أواخر عصره في علم الطب ، وكان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها ، ولاسحق بن حنين جملة تأليف في الطب والمنطق بلغت خمسة عشر ، خلاف ما ترجمه من كتب القدماء .

ومنهم أبو يعقوب يوحنا بن ماسويه ،
خدم الرشيد والأمين والمأمون وعاش إلى
عصر المتوكل ، وولاه الرشيد بيت الحكمة
وقلده ترجمة الكتب اليونانية التي حصل
عليها في حروبه بأنقره وعمورية ، بلغت
تصانيفه عند القفطى واحدا وعشرين
كتابا . ومن ضمن مؤلفاته كتاب في
الجذام ، وهو أول من كتب فيه .

ومنهم ثابت بن قرة الحراني (٢٢١٧ -
٢٨٨ هـ) وابناه ابراهيم وسنان ، وحفيده
ثابت و ابراهيم ، وكانوا نقله جيدين ، وبلغت
مؤلفات ثابت ثلاثة وعشرين ، منها
خمسة في الطب وباقيها في الحساب
والهندسة والفلك ، غير ما نقل للأوائل من
كتب المنطق والرياضيات والطب ، كان
يجيد اللغة اليونانية ، كما يجيد السريانية
والعبرية وترجم في المنطق والرياضيات
والطب والتنجيم ، ونبغ ابنه سنان بن ثابت
في صناعة الطب . ومنهم قسطا بن لوقا
البلبيكي . كان طبيبا حاذقا عالما باللغات
اليونانية والسريانية والعبرية ، نقل كتب
كثيرة من اليونانية إلى العبرية - أحصى
ما نقل وفسر وشرح - فبلغت خمسة
وثلاثين كتابا .

وفي أواخر عصر الترجمة - بعد منتصف
القرن الرابع الهجري - ظهرت بشائر
عهد جديد هو عهد التأليف ، واشتهر من
هؤلاء المؤلفين في الطب أربعة وهم :

علي بن سهل الطبري : صاحب كتاب
فردوس الحكمة وحفظ الصحة ، ومنافع
الطعمة والأشربة .

محمد بن زكريا الرازي : صاحب كتاب
الحاوي ، والمنصوري في التشريح ، ومحنة
الطبيب ومنافع الأغذية ، وقد اجمع
المستشرقون المشتغلون بتاريخ الطب على
أن الرازي أعظم طبيب أنجبته النهضة
الإسلامية . وقد تتلمذ على الطبري ، وله رسالة
في الجدرى والحصبة قال عنها المستشرق
« نيوبرجر » أنها حلية في جيد الطب
العربي . ويعد الرازي أول من ابتكر خيوط
الجراحة المسماة بالقصاب وأول من عمل
مراهم الزئبق وأول من أنشأ مقالات
خاصة في أمراض الأطفال وله كلمات
مأثورة في العلاج - منها ، مهما قدرت
أن تعالج بالأغذية ، فلا تعالج بالأدوية
ومهما قدرت أن تعالج بدواء مقرد فلا
تعالج بدواء مركب « ومنها » إذا كان
الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل
لبث العلة « ومنها ينبغى للطبيب أن يؤم

المريض بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس ، ومنها ينبغي للطبيب ألا يدع مسائلة المريض عن كل ما تتولد منه علته .

على بن العباس المجوسى : يقول عنه القفطى « طبيب فاضل كامل ، فارسى الأصل ، صنف كتابا أسماه الملكى » وهو المعروف بكامل الصناعة - اشتمل على علم الطب ، مال الناس إليه فى وقته ، ولزموا درسه ، إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا ، فمالوا اليه وتركوا الملكى بعض الترك ، والملكى فى العمل أبلغ والقانون فى العلم أثبت .

ولد المجوسى بالأهواز ببلاد فارس ، ولم يذكر أنه ألف غير كتاب الملكى المعروف بكامل الصناعة ، وهو مقسم إلى ٢٠ مقالة تحتوى على أبواب عديدة ، والمقالتان الأولى والثانية قاصرتان على فصول فى التشريح كانت المرجع الرئيسى لعلم التشريح فى سالرنو ، بايطاليا وفى غيرها فى المدة بين عام ١٠٧٠ - ١١٧٠ م وقد حوت مقدمة « الملكى » نقدا للأساطين فى الطب اليونانى والغربى مثل أبقرط وجالينوس وأوريباسوس وبولس الأيجنطى

والرازى فقال أن أبقرط يميل إلى الإيجاز والغموض وأن جالينوس يميل إلى التوسع والتطويل ، إلى قلة عناية ، وأوريباسوس وبولس الأيجنطى بالتشريح - وقال عن كتاب الحاوى للرازى أن ضخامته وتكاليفه تجعل الحصول عليه مطلباً وعراً ، ونعت المنصورى فى التشريح للرازى بشدة الاختصار ويقول ابن المجوسى فى كتابه الملكى « وما ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازماً للبيارستانات ومواضع المرضى ، كثير المداولة لأموالهم وأحوالهم مع الأساتذيين الحذاق من الأطباء ، كثير النقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم ، متذكراً لما كان قد قرأه من تلك الأحوال ، وما يدل عليه من الخير والشر . ويتألف كامل الصناعة من جزأين يشتمل الأول على عشر مقالات ، الأولى عن الأمزجة والطبائع والأخلاط والثانية والثالثة فى التشريح ، والرابعة فى الهواء والرياضة والحمام والأغذية ، والست الباقية فى أسباب الأمراض وأعراضها وعلاماتها . ويتألف الجزء الثانى من عشر مقالات ، قاصرة على المداواة وطرق العلاج . وتختص الأخيرة بالصيدلة وتقع فى ثلاثين باباً ويتميز بلغته وسلاسته ودقته .

ابن سينا يقول :

لما عظمت فليس مصر واسعى

لما غلا ثمنى علمت المشتري

يعتبر كتابه القانون في الطب أشهر

كتبه على الإطلاق وهو موسوعة علمية

ضافية ، وهو خلاصة الفكر اليوناني

والعربي، ويمثل القمة التي وصلت إليها

الحضارة العربية في فنون الطب تجربة

ونقلا ، تبلغ عدد كلماته قرابة المليون

كلمة ، واشتهر القانون في أوروبا شهرة

عظيمة في القرون الوسطى ، وبلغ من

المكانة ما بلغته كتابات جالينوس وأبقراط

وكان الكتاب المدرسي في الطب في

جامعتي مونبليه ولوقان في أواسط القرن

السابع عشر، وقد طبعت ترجمته إلى

اللاتينية ست عشرة مرة في الثلاثين سنة

التي كانت غاية القرن الخامس عشر ،

وأعيد طبعه عشرين مرة في القرن السادس

عشر ، وهذا لا يمثل إلا الطبقات الكاملة منه .

أما الطبقات التي تقتصر على جزء أو

أجزاء منه فلا حصر، لها وقد طبع القانون

بالعربية مرتين الأولى بروما سنة ١٥٩٣

والثانية بمصر (بولاق سنة ١٢٩٤ هـ)

وابن سينا أول من كشف ووصف عضلات

العين الداخلية وأول من حاول التفرقة بين

البرقان الناشئ من انحلال الكريات

الدموية وبين الذي ينشأ من انسداد

القنوات الصفراوية ، وسبق غيره إلى

معرفة بعض الأمراض التي تنتقل بوساطة

مياه الشرب، وأنه عزاها إلى حيوانات دقيقة

لا ترى بالعين يتعاطاها الإنسان في الماء

دون أن يحس بها . كما وصف بدقة

الحالات الإكلينيكية الخاصة بأمراض

الجلد والأجهزة البولية والتناسلية

والعصبية .

وأهم مميزات الطب العربي في ذلك

العصر .

تأثره بنظرية الانحلال الأربعة

Four Humours Theory واتخاذها أساسا

للباثولوجيا العربية، وتقول هذه النظرية أن

ظواهر الكون تتكون من عناصر أربعة، الماء

والهواء والتراب والنار، ولها صفات أربع -

الحرارة والجفاف والرطوبة والبرودة -

ويقابل هذه العناصر والصفات أخلط

أربعة في الإنسان، الدم والصفراء والبلغم

وإفراز الطحال (سوداء) والأخلط حسب

تعريفهم هي أجسام سيالة ، يستحيل لها

الغذاء، فالدم له خواص الهواء (حار رطب)

والصفراء لها خواص النار (حارة جافة)

والبلغم له صفات الماء (بارد رطب) والطحال
خاصية التراب (بارد جاف) . وتذهب
النظرية إلى أن الإنسان لا يكون في حالة
الصحة إلا بتعادل هذه الأخلط تعادلا
تاماً يكسر كل منها سورة الآخر بلاغلبة ،
وإلى أن المرض ينشأ من وفرة إحداها
وتغلبه على بقية الأخلط أو من ضعفه
وتغلب بقية الأخلط عليه ، فمن توفر
لدهم البلغم وغلب بقية الأخلط الأخرى
سموهم أصحاب المزاج البلغمي . والمزاج
السوداوي ينشأ من زيادة إفراز الطحال
ومثل ذلك المزاج الدموي والصفراوي .
وقسمت العلل إلى بلغمية وسوداوية
وصفراوية .

ويعتبر كتاب التصريف لمن عجز عن
التدليل لأبي القاسم الزهراوي أول كتاب
جراحي عند العرب .

كذلك تميز الطب العربي بإدخال الكثير
من الأدوية المفردة والمركبة وعمل الأقربازينات
وقد ساعد العرب معرفتهم للنبات ومهارتهم
في الكيمياء ، فأصبحت كتبهم تعج
بالمركبات والمستحضرات المعدنية والنباتية
والحيوانية ، التي أدخلوها لعلاج بعض

الأمراض ، وأدخلوا في الصيدلة ، الكثير من
مواد النبات ، السنامكي والجوز المقش ، والراوند
وخيار شنبور وغيرها وبرعوا في استعمال
الأشربة وتحضير المراهم والأدهنة واللحوق
وكان أول أقربازين ألف في العصر العباسي
ألفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ
وكان المعول عليه ، إلى حين ظهور أقربازين
أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ
ومن أطباء العرب المشهورين الكندي ،
وله واحد وعشرون كتاباً في الطب .

وأمين الدولة بن التلميذ - يقول
عنه ابن خلكان سلطان الحكماء ، مقصد
العالم في علم الطب أبقر أطباء عصره وجالينوس
زمانه ، له تصانيف منها كتاب الأقربازين
المشهور ، وسنان بن ثابت بن قرة وله
تصانيف جيدة في الفلسفة وعلم الهيئة
والفلك والهندسة ، واشتهاره بهذه العلوم
يضارع اشتهاره بالطب . وكان الخليفة
المقتدر أول من فرض على الأطباء تأدية
امتحان للحصول على أجازة تخولهم ممارسة
المهنة ، وأنط بسنان بن ثابت أن يقوم
بامتحانهم وتثبيت من يصلح منهم ، ومنع
من لا يصلح . وأحصى عدد الأطباء ببغداد
لأمين الدولة فبلغوا قرابة ثمانمائة وستين ،
وفي أيام المستنجد فوضت رئاسة الطب

ببغداد لأمين الدولة بن التلميذ ونيط به
القيام بامتحان المتطبيين .

ومنهم يوحنا بن سرافيون - يقول
عنه القفطى أنه كان طبيباً في صدر الدولة
العباسية ، وأبو الحسن أحمد بن محمد
الطبرى - من أهل طبرستان عاش في القرن
الرابع الهجرى كان فاضلاً عالماً بصناعة
الطب ، وكان طبيباً للأمير ركن الدولة ،
وله الكتاب المعروف بالمعالجات الابقراطى ،
يقول ابن أبى أصيبعة إنه من أجل الكتب
وأنفعها . فقد استقصى فيه الأمراض
ومداواتها على أتم ما يكون .

وعيسى بن على الكحال - قرأ على
حنين بن اسحق ، وكان مشهوراً بالحدق
في أمراض العين ومداواتها ، وكتابه
المعروف بتذكرة الكحالين ، كان يمارس
طب العيون في بغداد ويعتبره المستشرقون
أكبر طبيب للعيون أنجبته العصور الوسطى
وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية ومات في^{٣٦}
أواسط القرن الثانى عشر الميلادى. وتتألف
تذكرة الكحالين من ثلاث مقالات ، الأولى
في حد العين وتشريحها وطبقاتها وورطوباتها
وأعصابها وعضلاتها ومن أين نبات كل طبقة
ومن أين يأتى غذاؤها ، والثانية في عاد

أمراضها الظاهرة للحس ، وأسبابها وعلاماتها
وعلاجاتها ، والثانية في أمراضها الخفية
عن الحس وعلاماتها وعلاجاتها ونسخ
أدويتها . وقد أشار المؤلف إلى أنه اعتمد
على ما قرأه في كتب جالينوس وحنين بن اسحق
وغيرهم من الكحالين المشهورين مع يسير
بما شاهده من مشايخ زمانه في صناعة الكحل
أبو الحسن أحمد بن محمد .

الطبرى : من أهل طبرستان ، عاش في
القرن الرابع الهجرى كان فاضلاً عالماً
بصناعة الطب ، وكان طبيباً للأمير ركن
الدولة وله الكتاب المعروف بالمعالجات
الابقراطية ، استقصى فيه ذكر الأمراض
ومداواتها على أتم ما يكون كما يقول ابن
أبى أصيبعة ، وصف في مقدمته نوعين من
الأطباء الطبيب الذى ليس بفيلسوف ،
وهو الذى يقتصر علمه واهتمامه على علاج
الداء فحسب ، مع قلة المعرفة والبعد عن
الفلسفة ، والطبيب الفيلسوف ، هو من
يسمو بعلمه وإدراكه إلى طلب الغاية ، ولم
يقتصر من كل صناعة على أقل ما يمكن .
ويقع المخطوط في ٨٨١ صفحة ومقسم إلى
عشر مقالات الأولى في الفصول التى لا
يستغنى الطبيب الذى ليس بفيلسوف عن

معرفتها لثلا يكون غفلا إذا سئل عن شيء منها ويقول أنه ذكرها على وجه الإخبار بها والتعريف لا على جهة التعليم لأن التعريف لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه ، والتعليم يحتاج إلى ذلك .

ابن جزلة : أبو علي يحيى بن عيسى ابن جزلة ، ولد ببغداد سنة ١٠٧٤م ، يقول أنه كان يطب أهل محله وسائر معارفه بغير أجر ولا جمالة ، احتسابا ومروعة ، ويحمل إليهم الأدوية بغير عوض وله ، كتاب «تقويم الأبدان» وكتاب البيان فيما يستعمله الإنسان ، وله رسالة في مدح الطب ذكر ابن خلكان أنه أوقف كتبه قبل وفاته ، وكان يدرك عظيم فائدة الموسيقى في شفاء الأمراض وفي ذلك يقول «والموسيقى من الأدوات النافعة في حفظ الصحة وردها وتختلف بحسب اختلاف طباع الأمم ، وقديما وصفت هذه الصناعة لبحث النفوس إلى السنن الصحية ، استعمالها الأطباء في شفاء الأبدان المريضة ، فموقع الألحان من النفوس السقيمة موقع الأدوية من الأبدان المريضة ، وأفعاله في النفوس ظاهرة من مشى الجمال عند الحداء ، وشرب الخيل عند الصفير ، ومرح الأطفال لسماع

الغناء ، وهو يحدث أريحية ولذة ، ويعين على طول الصلاة والدراسة ، والأطباء يستعملونه في تخفيف الآلام على مثال ما يستعمله الحمالون لتخفيف الأثقال .

ابن أبي أصيبعة : هو موفق الدين أحمد بن أبي القاسم بن أبي أصيبعة ، ولد في دمشق سنة ١٢٠٣م ودرس الطب هناك ، ثم نرح إلى مصر واستزاد منه وتعلم لابن البيطار الملقب ، واشتغل في بياراتان القاهرة ، وألف كتابه المشهور «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ، يضم تراجم الأطباء من عهد اليونان إلى عصره ويعتبر مصدرا من المصادر الهامة في تاريخ الطب العربي .

ابن النفيس : علي بن أبي الحزم القرشي ، كان إماما في علم الطب الإيضاحي ، صنف كتاب شامل في الطب تدل فهرسته على أنه يكون في ثلاثمائة جزء ، أنجز منها ثمانين سفرا وهو الآن وقف بالبيارتان المنصوري في القاهرة وله أيضا شرح القانون لابن سينا في عدة أسفار ، وكتاب موجز القانون ، وكتاب شرح تقديمه المعارف ، وكتاب تشريح

القانون ، وفيه وصف للرئة وسبق غيره إلى كشف الدورة الدموية الرئوية .

سماه مادة البقاء ، بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي -

ولد في بغداد سنة ١١٦٢ م - ٥٥٧ هـ درس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حيناً من الزمان بدمشق وحلب ، ثم رحل إلى مصر حيث التقى بموسى بن ميمون وتمكن في مصر من دراسة العظام دراسة دقيقة واستطاع أن يكشف أخطاء

جالينوس التي وردت في وصفه للهيكل البشري . فمن ذلك عظم الفك الأسفل فالكل أجمعوا على أنه عظمتان بمفصل وثق عند الحنك ، وقولنا الكل إنما نعى هاهنا جالينوس وحده ، الذي شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل أصلاً ، واعتبرناه ما شاء الله من المرات في أشخاص كثيرة تزيد على ألقى جمجمة ، فلم نجده إلا عظماً واحداً .

التميمي : محمد بن أحمد بن

سعيد ، نشأ في بيت المقدس درس الطب ، وكان له غرام في تركيب الأدوية ، له عدة معاجين . له كتاب يقع في عدة مجلدات

أبو يعقوب اسحق بن سليمان الإسرائيلي :

ولد أبو يعقوب بمصر عام ٨٥٠ هـ ، يقول عنه ابن أبي أصيبعة « كان يكحل في أوليته ثم سكن القيروان ولازم اسحق ابن عمران طويلاً إلى أن نيف على مائة سنة » وذكر ابن جلعجل أنه كان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف الألحان والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة وعلم النجوم ، وله مؤلفات جليلة .

نجيب بن عمر السمرقندي : هو

نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي ، أرخ له ابن أبي أصيبعة ، قال إنه صاحب كتاب الأسباب والعلامات ، وكتاب الأقربازين ، مات مقتولاً في سمرقند عندما دخلها التتار (جنكيز خان سنة ٦١٧ هـ) قال السمرقندي في مقدمة لكتاب الأسباب أنه جمعه لنفسه مع القانون لابن سينا ومن المعالجات البقرائية للطبري ، وكامل الصناعة لعل ابن العباس المجوسي ، وقد اشتهر كتاب الأسباب من أجل شرح نفيس بن عوض

ابن حكيم الكرمانى له (٨٢٠ هـ) شرحا يقول عنه حاجى خليفة « حقق فيه فأجاد وأوضح المطالب فوق ما يراد » والباب الخاص بالمانخوليا من هذا الشرح أجود ما جادت به القرائح ، ولعله بحق أعظم ما كتب عن هذا الداء إلى ما بعد بداية هذا القرن .

ولنجيب السمرقندى كتابان فى الأقربازين ، وكتاب أغذية المرضى .

الطب فى بلاد الأندلس والمغرب العربى ؟

بلغت الحضارة الأندلسية ذروتها بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، واشتهر فى ذلك العهد عدد من أطبائهم فى الصناعة والتأليف وخاصة فى المدة من ابتداء القرن العاشر ونهاية القرن الثالث عشر الميلادى . وأضاف ، المؤلفون الأندلسيون إلى ما اقتبسوه من الحركة العلمية فى بلاد المشرق خلاصة تجاربهم ، وتحمل بعض مؤلفاتهم أثر الاستقلال والطابع الشخصى .

ويقول صاعد الأندلسى فى كتابه طبقات الأئمة ، إن أطباء الأندلس فى عهده . إنما عرض أكثرهم من علم

الطب قراءة الكناشين المؤلفة فى فروعه فقط دون الكتب المؤلفة فى أصوله مثل كتب أبقراط وجالينوس ليستعملوا بذلك ثمرة الصناعة ، ويستفيدوا به خدمة الملوك فى أقرب مدة ، إلا أفرادا منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة وقرأوا كتبها على مراتبها : ومن أشهر أطباء الأندلس وبلاد المغرب .

اسحق بن عمران - نشأ فى بغداد ورحل إلى أفريقيا فى أيام ابن الأغلب التميمى بالقيروان ، يقول ابن أبى أصيبه « وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة ، له كتاب فى المناخوليا لم يسبق إلى مثله .

ابن الجزار : أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد ، كان أبوه طبيبا وعمه كذلك ، عاصر اسحق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه وعاش نيفا وثمانين سنة ومات سنة ١٠٠٤ م . . وجد له خمسة وعشرون قنطارا من كتب طبية وغيرها ، له تأليف عديدة فى الطب ، ذكر القفطى أنه رأى له كتابا كبيرا فى الطب يقع فى عشرين مجلدا يسمى الفصول والبلاغات . ويقول ابن جلجل أنه لم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط ، كان

يترك لقلامه صرف الأدوية والأشربة
للمرضى نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد
شيئا .

ابن جلجل - هو سليمان بن حسان الطبيب
الأندلسي المعروف بابن جلجل ولد بقرطبة
سنة ٣٣٣ هـ عنى بعلم الطب فغلب عليه
وعرف به وبلغ منه الغاية ، طلبه وهو ابن أربع
عشرة وافتن فيه وهو ابن أربعة وعشرين
وكان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات جيد
التصرف في صناعة الطب ، وله بصيرة واعتناء
يقوى الأدوية المفردة .

وكتابه المعروف بطبقات الأطباء ،
والحكام من المصادر الهامة في موضوعه ،
نقل عنه القفطي وابن أبي أصيبعة ولابن
جلجل أيضا كتاب تفسير أسماء الأدوية
المفردة ، وكتاب مافات ديسقوريدوس من
أسماء النبات .

ابن وافد - هو ابن المطرف عبد الرحمن
اللمخي بن وافد ، ولد بطليطلة سنة ٣٨٧ هـ
يقول عنه صاعد في طبقاته : « أحد أشراف
أهل الأندلس ، عنى عناية بالغة بقراءة
كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة كتب
أرسطو وغيره من الفلاسفة ، وتمهر في علوم

الأدوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه
أحد في عصره ، ألف فيها كتابا جليلا لا
نظير له ، وله في الطب منزع لطيف ومذهب
نبيل ، وذلك أنه لا يرى التداوى بالأدوية
ما أمكن التداوى بالأغذية أو ما كان قريبا
منها ، فان دعت الضرورة إلى الأدوية
فلا يرى التداوى بمركبها ما وصل إلى
التداوى بمفردها ، فاذا اضطر إلى تركيب لم
يكثر التركيب ، وله نوادر محفوظة وغرائب
مشهورة في الإبراء من العلل الصعبة ،
والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه ،
وله خمسة كتب أخرى في الطب ذكرها ابن
أبي أصيبعة .

الشریف الإدريسي - هو عبد الله محمد
بن محمد عبد الله بن إدريس الحسني ولد
بقرطبة سنة ٤٩٣ هـ - وحل بصقلية في
كنف مايكها روجر الثاني ، وألف كتابا في
الجغرافيا سماه نزهة المشتاق في اختراق
الآفاق ، وصنع له كرة أرضية من الفضة
واشتهر الإدريسي بكتابه المسمى الجامع
لصفات أشات النبات ، يقول ابن أبي أصيبعة
كان فاضلا عالما بفوى الأدوية المفردة ،
ومنافعها ومنابتها وأعيانها ، وله كتاب
الأدوية المفردة ، أشار فيه إلى كتب النبات

التي استعان بها مثل كتاب الحشائش
لديسقوريدوس ، والمفردات لاصطفن
وجالينوس ، وكتاب الأدوية المفردة لحنين
ابن اسحق ، وغيرها .

أبو القاسم الزهراوى - ولد بقرطبة
سنة ٩٣٦ م اشتهر بممارسة الجراحة ،
وكتابه المسمى التصريف لمن عجز عن التأليف
موسوعة في الطب والجراحة - يمتاز بكثرة رسومه
ووفرة أشكاله للآلات التي كان يستعملها
وأكثرها من استنباطاته ، واستمر كتاب
التصريف العمدة في الأمور الجراحية مدى
خمسة قرون ، ترجم مرات عديدة .

ابن زهر - أبو مروان عبد الملك بن زهر ،
ولد بأشبيلية ودرس الطب عن أبيه ، يقول
ابن أبي أصيبعة كان جيد الاستقصاء في
الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة .

وقد شاع ذكره في الأندلس وفي غيرها
من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته ،
ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال
صناعة الطب ، واشتهر كتابه التيسير في
ال مداواة والتدبير ، وقد ضمنه وصف على
الجرب ولم يكن قد سبقه إلى وصفها غير
الإسكندر الطرولى ، كما أنشأ فصولا

في وصف التهاب التامور المصلى ، والتهاب
الأذن الوسطى ، وشلل البلعوم ، كما جاء
فيه وصف لعملية استخراج الحصى من
الكلية ، وفتح القصبة الهوائية ، وقد
أصيب ابن زهر بخراج الحيزوم

وترك وصفا شائعا للأعراض التي
كان يشكو منها وقد ترجم التيسير وطبع
مرارا .

ولقد أثر ابن زهر أثرا بليغا في الطب
الأوروبى ، وظل هذا التأثير بليغا إلى نهاية
القرن السابع عشر الميلادى .

وينتمى ابن مروان إلى أسرة عظيمة ،
كنى أفرادها جميعا « بابن زهر » ونبغ
منهم عدد ليس بقليل في المدة من القرن
الحادى عشر والثالث عشر ، منهم .

(أ) محمد بن مروان بن زهر توفى
سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) .

(ب) أبو مروان عبد الملك محمد بن
مروان .

(ج) أبو العلا زهر بن أبي مروان توفى
سنة ٥٢٥ هـ - ١١٣٠

(د) أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء

توفي سنة ٥٥٧ هـ - ١١٦١ م .

(هـ) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن

أبي العلاء (الحفيد) ٥٠٤ -

٥٩٦ هـ (١١١٠-١١٩٦ م) .

(و) أبو محمد عبد الله ابن الحفيد ولد

سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١ م .

ابن رشد - أبو الوليد محمد بن أحمد

ابن رشد أحد فلاسفة الإسلام المشهورين

ولد بقرطبة ودرس الفلسفة والطب وألم

بفلسفة أرسطو ، ألف في الطب كتابه

المشهور باسم «الكليات» وكان بينه وبين

أبي مروان بن زهر مودة وكان يقصد من أبي

زهر أن يؤلف كتابا في الأمور الجزئية

لتكون جملة كتابيهما مثل كتاب كامل

الصناعة . ومن ما أثور كلام ابن رشد قوله

من استقل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله ،

وقد خلف ضمن مصنفاته في الفلسفة مصنفات

عديدة في الطب .

ابن البيطار - كان رئيس العشابين في

مصر ، كان أوجد زمانه في معرفة النباتات

وكتابه الجاسع في الأدوية المفردة أشهر من

أن يذكر ، وهو يحتوى على وصف ١٤٠٠

نوع من العقاقير منها ٣٠٠ لم يسبقه إلى

وصفها أحد وترجم كتابه إلى اللغة اللاتينية

وكان عليه المعول حين عصر النهضة الأوروبية

ويعدا ابن البيطار بحق خليفة ديسقوريدوس

في علم الصيدلة وله كتاب المغنى بالأدوية ،

وكتابه الإبانة والإعلام بما في المنهاج من

الخلل والأوهام ، وكتاب الأفعال العجيبة

والخواص الغريبة ، وشرح كتاب

ديسقوريدوس .

ابن خاتمة - هو أحمد بن علي بن محمد

أبو جعفر بن خاتمة ، يقول المقرئ « كان !

أستاذا أديبا بارعا كاتبها بليغا حاملا ،

طبيبيا ماجدا فاضلا عدلا ، توفي ٧٧١ هـ

وقد كتب في الوباء وأثبت حصول العدوى

وتعتبر رسالته في الوباء خير ما كتب في

موضوعها إلى فجر القرن السادس عشر .

ابن ميمون - هو أبو عمران موسى بن

القرطبي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥م ، نزع

إلى مصر وواصل الدرس والتحصيل بهمة

لا تعرف الملل ، واحترف الطب ودخل

خدمة صلاح الدين وعينه الملك الأفضل

طبيبيا له - وتوفي سنة ١٠٢٤ م وألف ابن

ميمون عشرة تصانيف أهمها فصول القرطبي

وتسمى أيضا فصول موسى بن ميمون ومنها ،

المقالة الفاصلة وسماها «السموم والتحرز من الأذى القتالة» وقد أبرز فيها ابن ميمون الكثير من تجاربه الخاصة وله رسالة في الربو وأخرى في البواسير ، ومن أهم رسائله الرسالة الأفضلية وتبحث في الحالات النفسية المختلفة كالغضب والحزن والسرور وأثرها في الصحة وعلاجها برياضة النفس وتقويتها ، وتدل هذه الرسالة على أن موسى ابن ميمون كان عالما نفسانيا محنكا وأنه أدرك عظم الفائدة من تسخير قوى النفس في علاج أمراض البدن ، وقد اشتهر بذلك حتى مدحه الشاعر بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده -
وطب أبي عمران للعقل والجسم .
وقد ذكر أن بعضا من أطباء الغرب قد عرفوا مبادئ التحليل النفسي واستخدموها .

أبو عبد الله الحناط الكفيف - من أهل قرطبة وقد اشتهر بالطب وقد توفي سنة ٤٣٧ هـ ، وقد اشتهر من النازحين إلى مصر من الأطباء موسى بن ميمون وابن البيطار التميمي كما اشتهر من أطباء مصر رشيد الدين أبو خليفة وابن رضوان والشيخ السديد

وقد ترجم كثير من كتب الطب العربية إلى اللاتينية واقترن اسم جامعة ساليرنو بأسماء بعض التراجم المشهورين الذين نقلوا علوم العرب إلى اللغة اللاتينية وأهم هؤلاء التراجمة «قسطنطين الأفرقي» ترجم كتاب كامل الصناعة لعلي بن عباس المجوسي ، ونقل أيضا لأبي يعقوب اسحق بن سليمان وابن الجزار ، وتبع قسطنطين تلميذه يوحنا اقليطس - وخرج ابن تالم الذي أتم نقل الحاوي للرازي إلى اللغة اللاتينية .

ويعتبر الحروب الصليبية التي شبت ناراها عام ١٠٩٧ م وامتدت حتى ١٢٧٣ م من العوامل المهمة في نقل العلوم العربية وخاصة الطب إلى بلاد الغرب ، فقد حمل كثير من المرضى والأطباء وغيرهم من الراجعين إلى أوطانهم الكثير من الوصفات العربية إلى بلادهم ، وكانت ساليرنو أهم الثغور التي يرجع عن طريقها المحاربون العائدون إلى أوطانهم .

والخلاصة أن العرب أضافوا الكثير إلى علوم الطب والصيدلة والطب العام وأمراض العيون والبيمارستانات .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

تحقيق لسان العرب

لأستاذ عبد السلام محمد هارون

كما أن صواب عجزه :

* كانت له قُبَّةٌ سَحَقَ بجاذ *

كما في المراجع المتقدمة. وانظر تفسير البيت في اللسان (بني) .

٥٩٩ - (عرض) ٢٦ س ٢٣ وببيروت

١٦٥ والمخطوطة أيضا : «قال أبو ذؤيب

يصف برذونا» ، وهو تحريف عجيب ،

صوابه «يصف برقًا» ، وهو ما يقطع به

الشعر من قول أبي ذؤيب :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَبَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقِبُهُ

كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مَصْبَاحٌ

٦٠٠ - (عرض) ٢٨ س ١٨ وببيروت

١٦٧ والمخطوطة : «تعرض ، أي أقمه

في السوق» .

٥٩٧ (حمض) ٤١٠ س ١٣ قول

الأغلب :

* لا يحسن التحميص إلا سردا *

وفي تفسيره : «فإنه يريد التفخيد» ،

صوابه «التفخيد» بالذال . وبذلك

صححت في بيروت ١٤٠

الجزء التاسع

٥٩٨ - (خفض) ٤ - ٢٥

وببيروت ١٤٥ والمخطوطة ، قول الشاعر :

لو وصل الغيث لأندى امرئ

كانت له قُبَّةٌ سَحَقٍ بجاذ

لكن في المخطوطة : «امراً» بالنصب ،

وصوابه : «لأبنين امراً» ، كما في اللسان

(بني ١٠٣) والحيوان ٥ : ٤٦١

والمخصص ٥ : ١٢٢ والخصائص ١ :

٣٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٠٦ .

(١) متابعة لما نشر في الجزء ٢٦ من المجلة .

والعبارة مبتورة ، فالذى فى التهذيب
١ : ٤٦٨ : « تعرّض به ، أى أقامه
فى السوق » .

٦٠١ - (عضض) ٥١ س ٢٠-٢١
وببيروت ١٨٨ والمخطوطة أيضا : « وإذا
كان القوم لابنين لهم فلا عليهم أن يروا
عَضاضا » ، والنص بهذه الصورة محرف ،
صوابه : « لابنين فلا عليهم ألا يروا
عَضاضا » ، كما فى التهذيب ١ : ٤١
لابنين ، بكسر الباء ، أى أصحاب لبن ،
أى لو كان عندهم لبن لاستغنوا عن الطعام .
والعضاض ، بالفتح : ما يُعَض عليه من
طعام .

٦٠٢ - (عضض) ٥٣ س ١٢ وببيروت
١٩٠ والمخطوطة كذلك : « واللَّصَف
والكلبة والعِثْر والتَّغْر » ، وجاءت « التَّغْر »
بالتاء المثناة المضمومة ، وصوابها « الثَّغْر »
بالتاء المثناة المفتوحة ، كما فى التهذيب
١ : ٧٥ . وانظر اللسان (ثغر ١٧٣) .

ومنه قول كثير :

وفاضت دموع العين حتى كأنما
بُرَادُ القذى من يابس الثَّغْرِ يُكْحَلُ

٦٠٣ - (عوض) ٥٥ س ١٥ وببيروت
١٩٢ والمخطوطة : « وأعضته وعوضته ،

إذا أعطيته بدل ما ذهب منه ، وقد تكرر
فى الحديث ، والمستقبل التعويض » ،
صوابه : « والمستعمل التعويض » كما فى
مقاييس اللغة (عوض) . يعنى أن «عوضه»
أكثر استعمالا من «أعضه» .

٦٠٤ - (عوض) ٥٦ س ١٧

وببيروت ١٩٣ قول رشيد :
« حلفت بما ثرات حول عوض
اللسان » وأنصاب تُركن لدى السَّعِيرِ
إنما هو « السَّعِير » بهيئة التصغير ، كما
سبق فى التنبيه رقم ٣٨١ ، وكما ورد
[مضبوطة هنا فى النسخة المخطوطة .

٦٠٥ - (فرض) ٧١ س ١٢ وببيروت
٢٠٦ والمخطوطة : « ليس فيها إلا نوى
معلّق بالتفاريق » صوابه « بالتفاريق »
بالتاء المثناة . والتفاريق : جمع ثُفْرُوق ،
وهى أقماع البُسر والتعر .

٦٠٦ - (فضض) ٧٢ س ١٧ وببيروت
٢٠٧ والمخطوطة أيضا : « وفى حديث خالد
ابن الوليد أنه كتب إلى مروان بن فارس » .
وقد حار مصححو طبعة بولاق وقالوا : « كذا
هو بالنسخ التى بأيدينا » ، والصواب إن
شاء الله « إلى مرازمة فارس » كما فى اللسان

(خادم ٥٨) . والمرازبة : جمع مرزبان ،
وهو الرئيس من العجم .

٦٠٧ - (قبض) ٨١س ٨ وببيروت
٢١٥ قول الفقهسي :

* في هجمة يَغْدِرُ منها القابض *
وليس للغدر هنا معنى ، إنما هي «يَغْدِرُ»
من الإغدار ، يقال : أغدره ، أى تركه .
وكذا أنشده وفسره ابن الأنباري في شرح
السبع الطوال ٥٧١ . وجاءت رواية
في اللسان (عوض) :

* في هجمة يُشِيرُ منها القابض *
يُشِيرُ ، أى يُبْقِي ، من السور ، وهو
بقية الماء في الإناء .

٦٠٨ - (حطط) ١٤٤س ١٤ وببيروت
٢٧٥ والمخطوطة : جاء في تفسير قول
الشماخ :

وإن ضربت على العِلَّاتِ حطت
إليك حِطاط هادية شنون
«العِلَّات : الأعداء» ، صوابها
«الأعدار» . والعلة : العذر ؛ ومنه قوله :
* ما علتى وأنا جلدٌ نابِلٌ *

أى ما عذرى في ترك الجهاد ومعى أهبة
القتال .

٦٠٩ - (حطط) ١٤٥س ٨ وببيروت
٢٧٥ والمخطوطة أيضا :

كَأَنَّ مِحْطًا فِي يَدَيَّ حَارِثِيَّةٍ
صَنَاعَ عَلَتْ مِنِّي بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلٍ
بدون ضبط لكلمة «عل» ، ووجه
ضبطها «من عل» بالضم ، كما في جمهرة
أشعار العرب ١٠٩ وهو من قصيدة مرفوعة
الروى ، أولها :

تَأْبَدُ مِنْ أَطْلَالِ عَمْرَةٍ مَأْسِلُ
وقد أقفرت منها شِراءً فيذبِلُ

٦١٠ - (خبط) ١٥٢س ٢٣ وببيروت
٣٨٣ : «قال علقمة بن عبدة» يَلُ سَكَان
باء «عبدة» وأهمل ضبط الباء في المخطوطة
ووجه ضبطها : «عَبْدَة» بفتح الباء .
وفي الخزانة ١ : ٥٦٥ في ترجمة علقمة
هذا ، وهو علقمة الفحل : «وعبدة بفتح
العين والباء . وأما عبدة بن الطيب فهو
بسكون الباء ، كذا في الصحاح .
والعبدة ، محركة ، بمعنى القوة ، والسمن ،
وصلاصة الطيب ، والأنفه » .

٦١١ - (خبط) ١٥٣س ١٩ وببيروت
٢٨٣ والمخطوطة أيضا : «قال دُبَّاقُ الدَّبِيرِ»

صوابه «أَبَاق» . وفي اللسان (أَبَق) :
«وَأَبَاق : رجل من رَجَازهم ، ويكنى أبا
قريبة» . وفي تاج العروس : «وَأَبَاق
كشَدَاد : شاعر دُبيري مشهور ، كنيته
أبو قريبة» .

٦١٢ - (خط) ١٦٤س١٧ وببيروت
٢٩٤ : «قال بَسَامَة بن الغدير» وفي المخطوطة
«بَسَامَة» وكلاهما خطأ ، إنما هو -
«بَشَامَة» ، وهو من شعراء المفضليات .
والبشامة : واحدة البشام ، وهو شجر ذو
ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق
الصعتر ، ولا ثمر له . والغدير لقب أبيه
واسمه عمرو . وانظر المؤلف والمختلف
للأمدى ٦٦ وما سبق في التحقيق رقم ٥٦٧

٦١٣ - (خبط) ١٦٨س٦ وببيروت
٢٩٧ : «فإذا كان فيه طعم الحلاوة فهو
فُوْهَة» ، وفُوْهَة السكة والطريق والوادي
والنهر : فُوْهَة ، وهي غير مرادة بلا ريب .
وفي المخطوطة : «فُوْهَة» وانحرف الأول
غير منقوط فيها . وصوابه : «قوه»
بالقاف المضمومة وسكون الواو ، كما في
اللسان (قوه) والصحاح (خبط) .

٦١٤ - (رهط) ١٧٧س٣ وببيروت
٣٠٥ وكذلك المخطوطة : قول رؤبة :
* هو الدليل نفراً في أرهطه *
صوابه «الدليل» بالذال المعجمة ،
نظرفيه إلى قبل الله في كتابه : «أنا أكثر
منك مالا وأعز نفراً» .

وانظر ملحقات ديوانه ٨١ والخزانة
١ : ٢٢٤ وشرح شواهد الشافية ١٥٢

٦١٥ - (سجلط) ١٨٤س٨ وببيروت
٣١٢ قول الشاعر :
أحبُّ الكرائن والضومران
وشرب العتيقة بالسنجلاط

وفي المخطوطة : «والضومران» بالزاي
وبدون ضبط للنون ، والوجه «والضومران»
بالراء وبفتح النون ، ولا داعي لارتكاب
علة الحذف في هذه العروض ، وإن كان
فتح النون فيه زحاف القبض ، كما أن
«السنجلاط» صواب ضبطها كسر الطاء ،
كما في المخطوطة . وانظر ما سبق في
التحقيق رقم ٤٠٤ في مادة (ضمير)

٦١٦ - (شبط) ١٩٩ س ٢٢ وببيروت
٣٢٧ قول الشاعر :

من شبايط لُجَّة وسط بحر
حَدَّثَتْ من شحومها عجرات

وجاءت في المخطوطة : « حَدَّتْ » بإهمال
نقط الحرف الذي قبل التاء ، وليس
لإحداهما وجه ، إنما هي « حُدْب » كما
في الحيوان ٣ : ٤٦٨ جمع حُدْبَاء ،
وأصلها حُدْب بإسكان للدال ويجوز في
الشعر ضم عين فُعل كما هنا ، وكما في
قول أبي سعيد المخزومي .

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره
وأنكرتني ذوات الأعين النُّجَلِ

٦١٧ - (شرط) ٢٠٤ س ٢١ وببيروت
٣٣١ قول خالد بن قيس :

* ليتك إذ رَهَيْتَ آلَ مَوءله *

صوابه « رُهَيْتَ » كما في المخطوطة
واللسان (فعل ، وآل) ومجالس ثعلب
٤٥٠ يخاطب بذلك مالك بن بَجْرَة ،
وكان قد رهنَ عند بني موءلة بن مالك ،
في دية على قومه .

٦١٨ - (فلط) ٢٤٧ س ١٦ وببيروت
٣٧٢ قول الراجز :

* شَرِيتُ منه بين كُرِهٍ ونَعَط *

صوابه « ثَعَط » كما في المخطوطة
واللسان (ثَعَط) . والثعط . بفتح التاء
المثلثة والعين المهملة : إنتان الماء .

٦١٩ - (قبط) ٢٤٨ س ١٨ وببيروت
٢٧٣ والمخطوطة أيضا قول الكميت :

ليُباح كَأَنَّ بِالْأَتْحِمِيَّةِ مُسْبِغٌ

إِزاراً وفي قُبْطِيَّةٍ مُتَجَلِبِبٌ

صوابه « مُسْبِغٌ » كما في التهذيب ،
يقال : أَسْبَغَ إِزاره ، أى أطاله وأوسعاه

٦٢٠ - (قطط) ٢٥٦ س ٧ ، ٩
وببيروت ٣٨٠ وكذلك المخطوطة وتاج
العروس قول رؤبة :

* تَقْلِيلٌ ماقارعن من سُمِّ الطُّرْق *

صوابه « تفليل » بالفاء ، كما في
ديوان رؤبة ١٠٦ وكما يقتضيه تفسير
تاج العروس من قوله : « وتفليل فاعل
سوى ، أى سوى مساحيهن تكسير ماقارعت
من سم الطُّرْق . والطُّرْق : جمع طُرْقة ،
وهي حجارة بعضها فوق بعض » .
والتفليل : التكسير . وقبل الشطر :

* سوى مساحيهن تقطيط الحُقَق *

٦٢١ - (قوط) ٢٦٢ س ١٤ وببيروت
٣٨٦ والمخطوطة ، قول الراجز : ..

* إذا استمى ادبيها القظامطا *

وردت كلمة « ادبيها » بدون همز
في جميع النسخ ، وهو الأمر الذي أوقع
مصحح الطبعة الأولى في ريبة ، وكتب
« قوله ادبيها كذا بالأصل . وحرره » .
وضبطت بضم الهمزة « أدبيها » في نوادر
أبي زيد ١٧٣ . وقال أبو زيد : « يقال
استمى خيرها واستميت خيرها ، أى
اخترت خيرها » . والوجه عندي :
« أزيها » . والأزبي : الصوت . ويؤيده
ما في النوادر أن أبا حاتم رواد « أدبيها »
بالراء . أما الغظامط فكذا ورد ضبطه
بالفتح ، والذي في اللسان والقاموس
والتاج أنه بالضم صوت غليان ماء البحر .

٦٢٢ - (وسط) ٣٠٨ س ١ وببيروت
٤٢٩ والتاج ، قول القتال الكلابي :

من وسط جمع بني قزيظ بعد ما

هتفت ربيعة يا بني خوار

صوابه « يا بني جواب » كما في
ديوانه ص ٣٦ والخصائص ٢ : ٣٦٩

وأما ابن الشجري ٢ : ٢٥٨ كما أن
« قريظ » صوابها « قريط » بالطاء
المهملة كما في المراجع المتقدمة وفي جمهرة
ابن حزم ٢٨٢ أن قُرطاً وقُريطاً وقُريظة
بطون من بني كلاب يقال لهم القُرطاء .
وفي اللسان والمقتضب لياقوت أنهم :
قُرت وقُريط - كأمير - وقُريط كزبير ،
ويقال لهم القُروط . وانظر ما أثبت في
تعليقي على الجمهرة . وجواب هذا اسمه
مالك بن عوف بن عبد الله بن جعفر
ابن كلاب . وهو الذي نفي بني جعفر
ابن كلاب وطردهم حتى لحقوا باليمن
ببني الحارث بن كعب ، فحالفوهم مدة
ثم رجعوا إلى جواب وقومهم فاصطلحوا .
انظر جمهرة ابن حزم ٢٨٤ . ومن أنخوات
البيت هذا البيت المشهور :

ولقد لحت لكم لكيما تفهموا

أ وحيث وحيأ ليس بالمرتأب

٦٢٤ - (عظظ) ٣٢٦ س ٢٢ وببيروت

٤٤٧ قول العجاج :

* وعظظ الجبان والزئني *

صوابه « والزئني » كما في ديوان
العجاج ٧١ والمقاييس ٤ : ٥٣ والزئني

هو الكلب الصبني القصبير القوائم .
وانظر له الحيوان ١ : ١٥٧ ، ٣١١/٢ :
١٧٩/٦ : ٣٧٢

٦٢٥- (غنظ) ٣٢٩ س ٢١ - ٢٣
وببيروت ٤٥٠ والمخطوطة ، قول جرير :
ولقد لقيت قوارسًا من قومٍ نسا
غنظوك غنظَ جرادة العيسارِ
والصواب نسبة الشعر إلى ابن آدم
النعامي الكلي ، كما في التاج (جرد) .
والشعر ليس في ديوان جرير . وورد
في المقاييس (غنظ) وفي اللسان (غير)
بدون نسبة .

٦٢٦- (قرظ) ٣٣٥ من ١٣ وببيروت
٤٥٥ وكذا المخطوطة : « أن خزيمة
ابن نهد كان عشور ابنته فاطمة » .
صوابه « خزيمة » بالحاء المهملة المفتوحة
كما في تهذيب اللغة ٩ : ٦٧ ومختلف
القبائل لابن حبيب ص ٢٠ وجمهرة
أنساب العرب ٤٤٦ والمقتضب لياقوت
الورقة ١٠٧ نسخة دار الكتب المصرية .

٦٢٧- (بضع) ٣٦٢ س ٩١ وببيروت
٨ : ١٥ : « البضع ما لم يبلغ العقد
ولا نصفه » .

صوابه « العقد » بفتح العين كما
في المخطوطة ، والمعجم الوسيط (عقد) .
والعقد بالفتح هو العشرة والعشرون
والثلاثون إلى التسعين . وأما العقد ،
بالكسر ، فهو آحاد العقد من الواحد إلى
التسعة . وانظر حواشي نصر على القاموس
في مادة (بضع) والألف المختارة من
صحيح البخاري الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥

٦٢٨- (بضع) ٣٦٣ س ٤ وببيروت
١٦ والمخطوطة قول ساعدة الهللي :

ساد تجرم في البضيع ثمانيا
يلوى بعيقات البحار ويجنب

صوابه « يلوى » من ألوى ، كما
في اللسان (لوى) عند إنشاد البيت .
وانظر التحقيق رقم ٢٤٩

٦٢٩- (بلع) ٣٦٧ س ١ وببيروت ٢٠
والمخطوطة : « وبلعاء أيضا فرس لأبي
ثعلبة » ، صوابه « لأبي بن ثعلبة » ، كما
في المخصص ٦ : ١٩٧ . وانظر الخيل
لابن الأعرابي ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢

٦٣٠- (جبع) ٣٩٠ س ٦ قول
ابن مقبل :
وطيلة غير جبع ولا نصف
من دل أمثالهنسا باد ومكتوم

صوابه « وطفلة » بفتح الطاء ، وهي
المرأة الناعمة ، كما في ديوانه ٢٦٨
وتهذيب اللغة ١ : ٣٨٨ . ووردت بالضبط
الصحيح أيضا في بيروت ٤٠ أما المخطوطة
فلم تضبط فيها الطاء .

٦٣١ - (ج د ع) ٣٩٢ س ٥ وبيروت
٤٢ والمخطوطة قول ابن مقبل :
* وغيث مربع لم يجدع نباته *
عجزه ، كما في ديوان ابن مقبل ٨
واللسان (هـ) :
* ولته أهاليل السماكين مُعشِب *

٦٣٢ - (ج د ع) ٣٩٢ س ٢٢ وبيروت
٤٣ : « على سوء ولاته وعلى الإذالة
منك له » ، صوابه « على سوء ولاية »
كما في التهذيب ١ : ٣٤٧

٦٣٣ - (ج ز ع) ٣٩٨ س ١٨ ، ١٩
وبيروت ٤٨ : « قال المعري » ، و
« كما رواه المعري » ، صوابه « المِشعري » ،
كما في المخطوطة والتهذيب ١ : ٣٤٤

٦٣٤ - (ج ز ع) ٣٩٩ س ١٠ وبيروت
٤٩ والمخطوطة : « الجزعة والكُثبة
والغُرفة » وردت « الغرفة » بالفاء ،

وصوابها « الغُرقة » بالقياف ، كما
في التهذيب (ج ز ع) واللسان (غرق) ،
وفيه : « والغرقة » بالضم : القليل
من اللبن .

٦٣٥ - (ج م ع) ٤٠٦ س ٢٤ وبيروت
٥٥ قول ذي الرمة :

ورأس كجَمَاع الثريا ومشسفر
كسَبِت اليانِي قَدُّه لم يُجَرِّد

وضبط « اليانِي » بالتشديد فيه إخلال
بالوزن ، صوابه « الياني » ولا تشديد
في الياء . و « لم يجرد » بالجيم ، أي لم
يجرد من الشعر ، فيكون ذلك أليّن له .
وروى أيضا « لم يحرد » بالحاء المهملة ،
وكلاهما صحيح على أن تكسر قاف
« قده » في الرواية الثانية ، فيكون معناه :
مثاله لم يعوّج . نص على ذلك في اللسان
(قدد ٣٤٣) وإن كان قد ورد فيه
تحريف هناك لم أنبه عليه فيما مضى ،
إذ جاء قبله « كَسَبِتُ الياني قَدُّه » بجعل
كسبتُ فعلاً ، وقَدُّه منصوباً بعد الفعل ،
وصوابها « كَسَبِتُ الياني » بكاف التشبيه
التي يليها كلمة « سبت » . كسورة السين
بمعنى النعل .

٦٣٦ - (جمع) ٤٠٧ س ٤ وببيروت
 ٥٦ والمخطوطة : « قال قيس بن
 الأسلت » ، وإنما هو أبو قيس بن الأسلت
 وهو شاعر معروف من شعراء المفضليات .
 وأبو قيس هو كنية الشاعر ، واسمه
 صيفي بن الأسلت ، وهو ممن اختلف
 في إسلامه ، ف قيل إنه أسلم ، وقيل إنه وعد
 بالإسلام ثم سبق إليه الموت فلم يسلم .
 وترجمته وأخباره في الإصابة ٧ : ١٥٨ ،
 ٥ : ٢٥٧ ، ٤ : ٢٥٢ والأغانى ١٥ : ١٥٤
 وابن الأثير ١ : ٢٨٤ . والبيت الذى
 رواه ابن منظور هو فى المفضليات ص ٢٨٥

٦٣٧ - (جمع) ٤١٠ س ١٠ وببيروت
 ٥٨ والمخطوطة : « قال اللحياني : كان
 أبو زياد وأبو الجراح « بإثبات بياض
 بين هذين العلمين . والواقع أن الكلام
 ليس فيه انقطاع » كما فى المحكم لابن
 سيده ١ : ٢١٣

٦٣٨ - (خضع) ٤١٦ وببيروت ٦٤
 والمخطوطة أيضا ، قوله : « وغول خيدع
 منه ، وطريق خيدع » ، والخطأ فى ضبط
 الكلمة الأولى من هذا النص يخفى على
 كثير ، وليس المراد الغول ذاك الحيوان

الخرفاء ، وإنما هو « غول » بفتح الغين
 كما فى التهذيب ، والغول ، بالفتح :
 بعد الأرض والمفازة ، سميت بذلك لأنها
 تغول السابلة ، أى تقذف بهم وتسقطهم
 وتبعدهم . وانظر اللسان (غول ٢٢) . ١٩

٦٣٩ - (خضع) ٤١٩ س ٢٣ وببيروت
 ٦٧ والمخطوطة : « يقال للشواء المخدع
 والمغلّس » ، وردت الكلمة الأخيرة
 بالغين المعجمة ، وصوابها « المغلّس »
 بالعين المهملة كما فى التهذيب ١ : ١٦
 ونقله عنه صاحب التاج فى (علس) .
 وجاء فى اللسان (علس) : « والعليس :
 الشواء المنضج » . وأما مادة (غلس)
 فبعيدة كل البعد عن هذا الاشتقاق .

٦٤٠ - (خرج) ٤٢١ س ٢٢ وببيروت
 ٦٩ : « الجنون والطوفان والثول » .
 وضبطت « الطوفان » بفتح الطاء والواو
 فى النسختين ، ولكنها وردت مهمة
 الضبط فى المخطوطة ، وجاءت فى التهذيب
 بضم الطاء ، وهو الأقرب إلى الضواب ، إذ
 أن من معانيه البلاء والموت ، ومن معانيه
 أيضا ظلام الليل ، كما فى قول العجاج :
 « وعم طوفان . البلاء الألبابا » . . .

وللظَّوْفَانِ ، بالتخريك أيضا وجهٌ ،
إذ هو بمعنى الطَّوْاف والاستدارة بالشئ .

٦٤١ - (خشع) ٤٢٤ س ١٠ وبيروت
٧١ . جاء في التعليق على حديث :
« كانت الكعبة خُشعةً على الماء فدُحيت
الأرض من تحتها » ، « ويروى خَشَفَة
بالحاء والفاء » ، والصواب « حَشَفَة بالحاء
والفاء » ، أى بالحاء المهملة ، كما
في المخطوطة والتهذيب ١ : ١٥١ . ويؤكد
ما جاء في اللسان (حشف) : « والحَشَفَة :
صخرة رخوة في سهل من الأرض » ،
وجاء في الحديث أن موضع بيت الله
كانت حشفة ، فدحا الله الأرض عنها .

٦٤٢ - (خشع) ٤٢٤ س ١٣ وبيروت
٧١-٧٢ : « والعرب تقول للجثمة
اللاطئة بالأرض » . وردت « الجثمة »
بالجيم وفتح الثاء ، وجاء بعد ذلك أيضا :
« وهى الجَثْمَة » بالجيم كذلك وفتح
[الثاء ، ووردت الكلمتان في المخطوطة
بالجيم وإسكان الثاء فيهما . وصوابهما
« الحثمة » بالحاء المهملة كما في التهذيب
١ : ١٥١ واللسان (حشم) . وثاؤها
تقال بالإسكان كما يقال أيضا بالفتح .

٦٤٣ - (خضع) ٤٢٥ . وبيروت ٧٢
والمخطوطة ، قول الكميت :

إذ من لاخضع الحديد
ث ولا تكشفت المفاصل
وردت كلمة « المفاصل » بالصاد المهملة
وردد بهامش الأصل في نسخة « الثياب »
وصوابه « المفاضل » بالصاد المعجمة ،
كما في تهذيب اللغة ١ : ١٥٥ .
وفي اللسان : « والمفضل والمفضلة ،
بكسر الميم : الثوب الذى تتفضل به
المرأة » ، أى تلبسه وحده .

٦٤٤ - (خضرع) ٤٢٨ س ١٦
وبيروت ٧٥ وكذلك المخطوطة ، قول
الراجز :

خُضَارْعُ رُدَّ إِلَى أَخْلَاقِهِ
لَمَّا نَهَتْهُ النَّفْسُ عَنْ أَخْلَاقِهِ
صوابه « عن إنفاقه » أى إنفاقه للجمال
كما هي الرواية في جمهرة ابن دريد
٣ : ٣٩٤ والمخصص ٣ : ١٤ .
والخضارع : البخيل يتسمّع .

٦٤٥ - (درع) ٤٣٥ س ١٣ والمخطوطة .
« قال أبو الأخرز ، براعتين مهملتين .
وفي بيروت ٨١ والتاج : « أبوالأخرز »

راء بعدها زاي . وهذه طين على بلة ،
صوابهما « أبو الأخر » ، كما في الصحاح
واللسان (قمجر) . وأبو الأخر الحماني
راجز معروف ، ترجم له صاحب المؤلف
٥٢ وقال : « أحذني عبد العزى بن
كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .
وعبد العزى هو حمان ، راجز محسن
مشهور » . وذكر في اللسان (قمع ٤٢٨)
« أبو الأخر الحماني » فأصاب في الاسم
وأخطأ في النسبة ، إذ هو « الحيماني »
بكسر الحاء لاضمه . وأضاف اللسان أن
اسمه « قتيبة » . والأخر : الذي أقبلت
حدقتاد إلى أنفه .

« كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما
يجيب الآخر وهو يقول :

لا يزال حواري تلوح عظامه
زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
انظروا من هما ؟ قال : فقالوا : فلان
وفلان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
اللهم اركسهما ركسا ودعهما إلى النار
دعا .

وفي البيت المذكور ما يسميه العروضيون
« الخزم » .

٦٤٧ - (ذرع) ٤٤٨ م ١٩

وببيروت ٩٣ قول ابن قيس العدوي :

إن المدرع لا تُعنى خنولته
كالبغل يعجز عن شوط المحاضير
وفي كتاب البغال للجاحظ أنه عرهم
ابن قيس الأسدي . أما « تُعنى » فقد جانبها
الصواب ، إنما هي « تغنى » كما في
كتاب البغال . ووردت الكلمة مهمة
في المخطوطة . والمدرع هو الذي أبوه
عربي وأمه أمة ، فمن ذلك كانت خنولته
لاتغنى عنه شيئا .

٦٤٦ - (دع) ٤٣٩ م ١٧ وببيروت
٨٥ : حديث : « اللهم دعهما إلى النار
دعا » . وفي المخطوطة : « دعهما » ،
وتقرأ هذه في الكتابة القديمة « دعهما » ،
إذ كانوا لا يضعون الكسرة تحت الشدة
فوق الحرف ، إنما يجعلون الكسرة
حيثما كانت في أسفل الحرف . ومهما
يكن فإن صوابهما « دعهما » بضمير
الاثنين . والحديث بتمامه في مسند أحمد
٤ : ٤٢١ من حديث أبي برة قال :

وورد بعده في الصفحة نفسها :
« والمدرعة : الضبع لتخطيط ذراعيها » .
ومن الواضح أنه تحريف مطبعي صوابه
« المدرعة » بالذال المعجمة .

٦٤٨ - (ربيع) ٤٥٦ س ١٣ وبيروت
١٠٠ قول لبيد :

رابط الجأش على فرجه
أعطف الجون بمربوع مثل
والقصيدة مقيدة بالسكون في رويها ،
فالصواب « مثل » كما في المخطوطة
وديوان لبيد ١٨٦ والمعاني الكبير لابن
قتيبة ١١٠١ . ووردت الكلمة مهمة
ضبط اللام في مطبوعة الامان (تل) .
والمربوع : الرمح الوسط لا قصير ولا طويل
والمثل : الذي يتل به أى يصرع . والبيت
من قصيدة أولها

إن تقوى ربنا خير نفل
وبإذن الله ريى وعجل

٦٤٩ - (ربيع) ٤٦٤ س ٢٥ وبيروت
١٠٨ والمخطوطة : « وفي التهليل :
ما في بنى فلان أحد تغنى رباعته » ،
صوابه « يغنى رباعته » بالياء في يغنى ،
والنصب في رباعته : أى ليس فيهم

من يحسن القيام بأمور الرئاسة غيره .
ومنه قول الأخطل في ديوانه ١٤٥ يمدح
مصقلة بن هبيرة :

ما في معد فتى يغنى رباعته
إذا بهم بأمر صالح فعلا
والرباعه هنا الرئاسة ، أى لا يقيم أمر
الرباعه غيره . ووقع هذا البيت أيضا
في اللسان محرفا برواية : « تغنى رباعته »
فيكون هجوا لمعد كلها . والمراد أن ليس في
معد كفاء للرئاسة وضبط حالها وأمرها
غيره .

٦٥٠ - (ردع) ٤٨١ س ١٨ وبيروت
١٢٣ قول مجنون بنى عامر :

صفراء من بقر الجواء كأنما
ترك الحياة بها رداغ مقبم
وفي المخطوطة « الحياه بها رداغ » .
بإهمال كلمة « الحياه » وضبط « رداغ »
بالنصب . وصواب الكلمة الأولى
« الحياء » بالهمزة في آخره مع الرفع ،
كما أن صواب الأخيرة « رداغ » بالنصب
كما في المخطوطة والحماسة بشرح
المرزوقي . وقال المرزوقي : « وصفها
بأنهادرية اللون ، وأن فيها مشابه من

بقر الجِواء ، وأنها حبيبة قليلة الحركات
لنعمتها ، قليلة الكلام لفرط حياثها ،
فكان بها نُكُشٌ سَقَمٌ ، لما ألفتَه من
الكسل . انظر الحاشية رقم ٥٥٣ .

٦٥١ - (رقع) ٤٩٢ س ٢ وببيروت ١٣٢
والمخطوطة ، قول الشاعر :

وما تركَ الهاجونَ لي في أديمكم
مَصَحًا ولكنِّي أرى مترقعا

و «مَصَحًا» بفتح الميم والصاد لا وجه له ،
إنما هو «مُصَحًا» ، يقال أَصَحَّ : صار
صحيحا ، فهو مُصِحٌّ . وانظر الحيوان
١٣٨ : ٣ .

٦٥٢ - (رقع) ٤٩٢ س ١٤ وببيروت
١٣٣ وكذلك المخطوطة : «ويتال للذي
يزيد في الحديث» . وهو تبنيق وترقيع
وتوصيل ، والوجه : «تبنيق» بتقديم
الباء على النون ، كما في تهذيب اللغة
(رقع) . والتبنيق مأخوذ من بنيةقة
القميص ، وهي رقعة تكون في موضع
الجيب منه بحيث يدخل اللابس الرأس .

٦٥٣ - (ربيع) ٤٩٩ س ٢١ وببيروت
١٣٩ والمخطوطة ، قول ذي الرمة :

طراقُ الخوافي واقعا فوق ربيعة
لدى ليله في ريشه يترقرق

كذا وردت كلمة «لدى» ، وصوابه
«ندى ليله» بالنون ، أي مايسقط
في الليل من الندى والبلل ، ينعت بازيا .
ويقال : طائر طراق الريش ، إذا ركب بعضه
بعضا . وهذا الصواب مطابق لما في اللسان
(طرق ٨٩) وديوان ذي الرمة ٤٠٠
والمخصص ٨ : ١٣١ - ١٠ : ٨٣ .

الجزء العاشر

٦٥٤ (زيج) ٢ س ٥ قول متحم يرثي
أخاه :

وإن تلقه في الشرب لاتلق فاحشا
على الكأس ذا قازورة متزبعا
إنما هي «الشرب» بفتح الشين ،
وهو جماعة الشاربين . و «قازورة»
وردت في بيروت ١٤٠ : «قازوزة»
بزاعين ، وكلاهما خطأ ، والصواب
«قاذورة» كما في المخطوطة واللسان
(قدر) والمفضليات ٢٦٦ والاشتقاق
٢٧٨ ، ٣٧٦ . والقاذورة : الذي يتبرم
بالناس ويتقدر منهم ، لسوء خلقه .

٦٥٥ - (سبع) ١٣ س ٥ وببيروت
١٥٠ قول الراجز :

ياليت أني وسبيعا في الغنم
والعجرح متى فوق حرار أحم

وفي المخطوطة : « والمخرج منى فوق
حرار أحمر » بهذه الصورة المهمة ،
ولمّا هو « والخروج منى فوق كراز
أجم » كما في الصحاح وإصلاح المنطق
لابن السكيت ٤٥١ والمخصص ٦ : ١٥
واللسان (كرز) . والخروج هو جوالق
الراعى الذى يضع فيه رادّه ومتاعه .
والكرّاز ، كشّاد : الكبش الذى يضع
عليه الراعى كُرزه ، أى خُرجه . وأمّا
الحرار فليس له وجه . والأجم : الذى
ليس له قرون . وفي اللسان : « وكبش
أجم لا قرني له » .

٦٥٦ - (سر) ١٥ س ١٤ وببيروت
١٥٦ قول الراعى :

فلو أنّ حقّ اليوم منكم إقامة
وإن كان صرّح قد مضى فتسرّعاً
والصرّح لا يمضى ولا يتسرّع ، ولمّا
هو « صرّح » بالسّين كما في كتاب
سيبويه ١ : ٤٣٩ والإنصاف ١٨٠ .
والسرّح : المال الراعى .

٦٥٧ - (سفع) ٢١ س ٥ وببيروت
١٥٧ قول الشاعر :

كانّهم أسفع ذو حيدة
يمسّده البقل . . . وليل سدى

ووضعت في المخطوطة حاء تحت
« حده » تأكيداً لإهمال الحاء ، وهو
وهو خطأ صوابه « جدّة » بالجيم المضمومة ،
كما في البيان للجاحظ ٢ : ٢٨٨ والبيان
(سدا ٩٧) . والأفع : الثور الوحشى
الذى في خديه سواد يضرب إلى الحمرة
قليلاً . والجدّة ، بالضم : الخطّة في
ظهره تخالف لونه . والشاعر هذا هو
المثقب العبدى ، كما في البيان . والشعر
في صفة ناقة شبيهها بالثور .

٦٥٨ - (سلع) ٢٤ س ٣ وببيروت ١٦٠
والمخطوطة ، قول الشاعر :

بسلع صفّاً لم يبد للشمس بدوة
إذا مارآه راكب . . . أرعداً

بترك بياض بين راكب ونهاية البيت .
والبيت في الحيوان ٤ : ٣٠٨ منسوب
إلى عنتره بن شداد . وثمّام عجزه كما
في الحيوان :

* إذا مارآه راكب اليمّ أرعداً *
واليم هو البحر .

٦٥٩ - (سلع) ٢٥ س ٢ وببيروت
١٦١ : « قال الورك الطائي » ، وفي تاج
العروس : « قال وذاك » ، صواب هذا

كله « الوَزَل » باللام كما في المخطوطة
واللسان (بقر) والحيوان ٤ : ٤٦٨ .

٦٦٠ - (سمع) ٢٧ س ٧ وببيروت ١٦٣
والمخطوطة ، قول الشاعر :

سماحُ الله والعلماء أتى
أعوذ بخير خالك يا ابن عمرو
وصواب الرواية : « بحق خالك » ،
كما في سيبويه ١ : ١٧٠ باتفاق نسخه .
وكذا وردت على الصواب في اللسان (حقا
٢٠٦) مسبوقة بقوله : « والعرب تقول :
عُدْتُ بحقوه ، إذا عاذبه ليمنعه » .

٦٦١ - (سمع) ٢٩ س ٥ وببيروت ٦٥
والمخطوطة ، قول الشاعر :

وَمُسِمَعَتَانِ وَزَمَسَارَةٌ
وَحَصْنٌ مَدِيدٌ وَحَصْنٌ أَنْبَقُ
والبيت لأحد السجناء كما في البيان
٣ ٦٣٠ . وصوابه « وَحَصْنٌ أَمَقُّ » ، كما
في البيان ومجالس ثعلب ٥٤١ واللسان
(زمر ٤١٦ ومق ٢٣٣) . والرواية
في جميعها : « ولى مُسِمَعَانِ » . والمسمع :
القيد . وقال ثعلب : « المسمعتان القيدان ،
كأنهما يغنيانه . وأثَّثَ لأن أكثر ذلك
للمرأة » . . والزَّمارَةُ : الفلّ يوضح في

العنق . والأَمَقُّ : الواسع . ويعين هذا
التصحيح أن البيت الذي بعده :

وَكَمْ حَائِدٌ لِي وَكَمْ زَائِرٌ
لَوْ أَبْصَرْنِي زَائِرًا قَدْ شَهَقَ

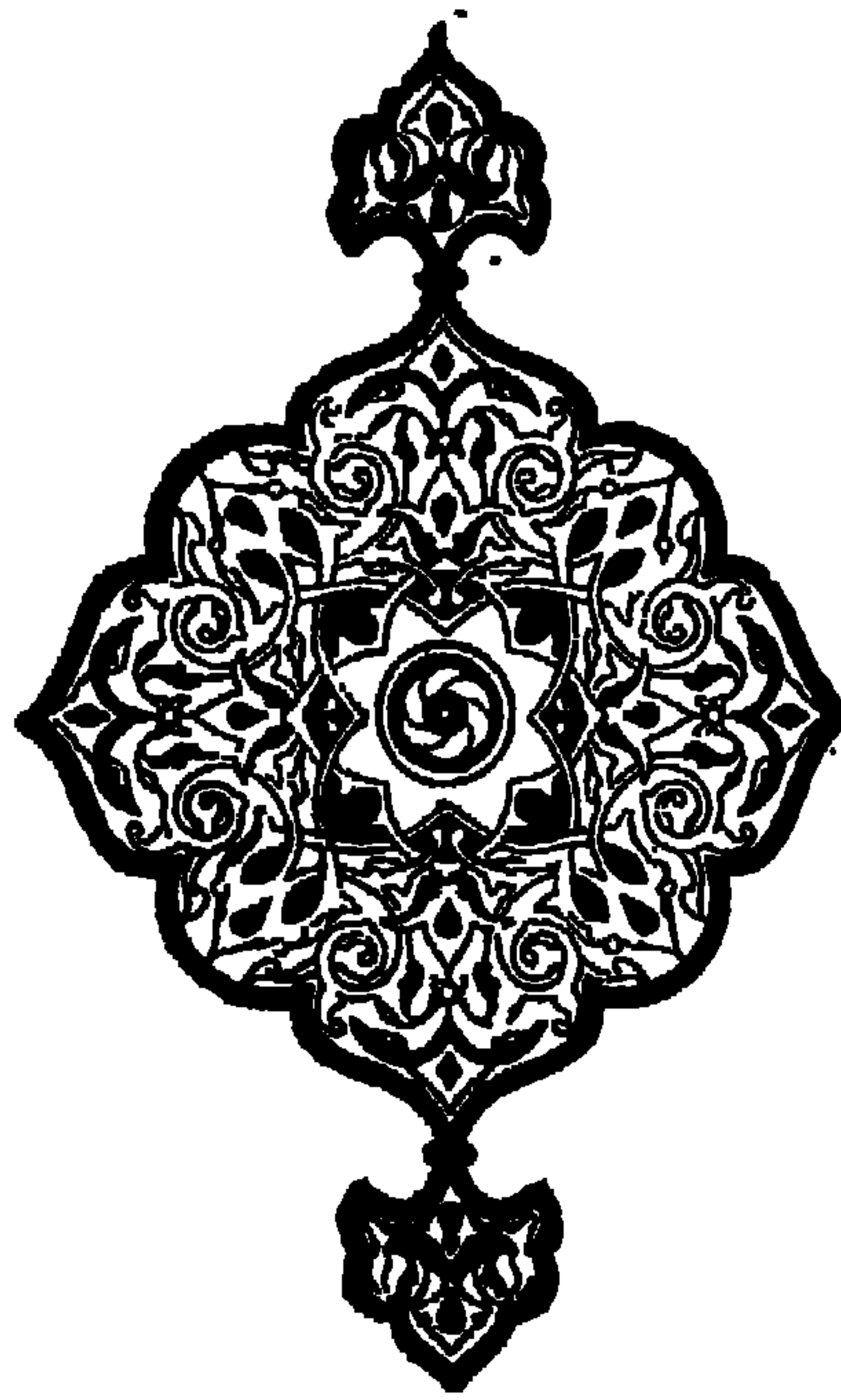
٦٦٢ - (شبع) ٣٦ س ٥-٦ وببيروت
١٧١ والمخطوطة : « وقول بشر بن
المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة » .
وهذا خلط ، وإنما هو « بشر بن المغيرة ،
في المهلب بن أبي صفرة » . وانظر
تهذيب اللغة ١ : ٤٤٧ والحماسة بشرح
المرزوقي ٢٦٥ .

٦٦٣ - (شجع) ١٧٣ س ٢٠ وببيروت
١٧٣ والمخطوطة ، قول الشاعر :

* على شجعات لاشحاب ولاعضل *
والشجعات هنا : قوائم الإبل الطوال .
وكذا ورد محرفا في تاج العروس ،
وصوابه : « لاشخات » كما في التهذيب
(شجع) ، وكما توقعه وحده مصحح
طبعة بولاق . والشخات : جمع شخت
وشخيت ، وهو الدقيق من كل شيء .

٦٦٤ - (شرح) ٤١ س ٢ - ٣
وببيروت ١٧٥ : « لاتحتاج مع ظهور
مائها إلى لزج بالعلق من البشر ولاخشي

- في الحوض « . وإنما الحثى للتراب ونحوه ، ٦٦٦ - (شرح) ٤٢ س ١٠ والمخطوطة :
وصوابه « ولا جَبِّي في الحوض »
كما في التهذيب (شرح) . وجبى الماء
في الحوض : جمعه . ووردت الكلمة
في المخطوطة مهملة النقط إهمالا تاماً .
- ٦٦٥ - (شرح) ٤١ س ١٧ وببيروت
١٧٦ والمخطوطة : « فمعنى أقوى وأقفر
واحد على الخلوة » وتام العبارة كما
في التهذيب : « واحد يدك على الخلوة »
فسقطت من الأصل كلمة « يدل » .
- ٦٦٦ - (شرح) ٤٢ س ١٠ والمخطوطة :
قول الخليل يذم رجلاً :
فَكَفَّ عن الخير مقبوضة
كما خط عن مائة سبعة
وجاءت في بيروت ١٧٦ : « كما
خط » بالحاء المهملة على الصواب ،
كما في التهذيب ودلائل الإعجاز ١٧٨ .
ورواية أدب الكتاب للصولي ٢٤١ :
* كما نقصت مائة سبعة *
عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



قناعة الفلسفة بأي موضوع ، وتفضولها في كل الميادين هو تعريفها ، إن كانت تقبل أن تعطى تعريفاً ما ، ولو مؤقتاً وتقريبياً . يقول المفكر الألماني المعاصر (كارل ياسبيرس Karl Jaspers) :
 « الأسئلة أهم من الأجوبة ، لأن كل جواب سيصبح سؤالاً جديداً » .
 فـ (ياسبيرس) لم يعط تعريفاً للفلسفة ، ولكنه أبرز جانبها هاما يقرب من التعرف عليها .

صدق التجربة

إننا مضطرون إلى أن ندخل على قولة (ياسبيرس) تعديلاً : الفلسفة ، كما يظهر لنا ، لا تهتم بأسبقية الأسئلة على الأجوبة ، ولا تجعل من الجواب سؤالاً . فالذي يهم الفلسفة ، بالدرجة الأولى ، هو أن يحيا السائل سؤاله ، والمجيب جوابه ، هو أن تشترك الأجوبة مع الأسئلة ، في نفس التوتر وفي نفس الحيرة ، لأن الجواب ينبع من العين التي يتفجر عنها السؤال ، العين الواحدة التي هي صدق التجربة .



تساءل أحدكم : لم الفن ؟

فنعقب بسؤال آخر :

ولم لا الفن ؟

ليس للفلسفة موضوع محدد ، كل الموضوعات تدخل في نطاقها . فكما أنه :
 « لا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب » ،
 طبقاً للحديث النبوي ، يحق لنا أن نوكد أنه لا يشبع فكر الفيلسوف حتى التراب . تشتغل الفلسفة بكل المواضيع التي تهتم الإنسان ، وتتطلع دائماً إلى أخرى ، فهي ، كما يقول القرآن الكريم عن جهنم : (يوم نقول لجهنم : هل امتلأتِ وتقول : هل من مزيد ؟) (١) فعدم

(١) سورة ق : الآية ٣٠

الفن الحق هو أيضا تجربة تكتسب
صدق حيويتها من التوتر النفساني أو
الفكري ، المنبعث من تساؤل وجواب عن
رؤى الفنان ووجدانه ومصيره . نجد
الفنان ، في نهاية المطاف ، وقد تجلت تجربته
في إبداعه . فعلى مستوى التجربة الصادقة ،
يتصل الفن بالفلسفة ، إذ تجربة الفنان
إنما هي تغبير خاص عن مضمون ما يعبر
عنه الفيلسوف ، وإن اختلفت التعابير .
فالمضمونات موحدة في الأهداف
والخاصيات .

* * *

عرف اليونان ورثتهم الفلسفة بأنها
« محبة الحكمة » ، وهو تعريف لم يعد
صحيحا ، لأنه يتعدى الفلسفة ليشمل
مجموع اهتمامات الإنسان ، من أنواع
العلم والفن والسياسة والاقتصاد . فالحكمة

إذا رجعنا إلى الجذر اللغوي العربي ،
وجدنا أن معناها مطابق لمعاني الفلسفة
المعاصرة . الحكمة = الكلام الموافق للحق ،
صواب الأمر وسداده .

ويفسر عبد الله بن عباس « حكمة » ،
في القرآن الكريم ، بتعلم الحلال والحرام
(وهو معنى أخلاقي عام ، وإسلامي خاص) .
وقيل : الحكمة هي الكلام العقول
المصون عن الحشو^(١) . إذن ، الحكمة -
كل ما يمنع من الجهل ، والظلم ، والخطأ .
ومنه أيضا إتقان الشيء والتمكن منه^(٢) .
فالحكيم ، في تونس مثلا ، هو الطبيب ،
لأن من الحكمة منع المرض وإتقان^(٣)
« فنون » العلاج .

على هذا ، يجوز لنا أن نوكد أن معنى
الفلسفة هو أنها لا تنطوي تحت معنى
واحد .

* * *

(١) انظر : على الجرجاني ، التعريفات (٢) انظر : أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة

(٣) الطب : (أ) علاج الجسد والنفس (عن تاج العروس)

(ب) السحر ؛ والرفق (نفس المصدر) .

(ج) المهارة والخلق (أبو حيان التوحيدي) . كل حاذق يعلمه يسميه العرب « طبيبا » . من ذلك قولهم :
« اصنعه صنعة من طب لمن حب » ، و « اعمل في هذا عمل من طب لمن حب » . وجاء في بيت ينسب لعليمة :
« فإن تسألوني في النساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب »

الإنسان والطبيعة

كل فن إن هو إلا تداخل صميمي بين

الطبيعة والإنسان : اندماج في الطبيعة وأنسنتها في تركيب متناسق ، ولكنه تركيب يحافظ على الخاصيات الذاتية للفنان وللطبيعة . والاندماج هما بلغ في العمق ، يُبقى نقط الاس . هام قائمة تفصل ، بخطوطها المحرية ، بين عالم الذات وعالم الموضوع ، بين المشاهدة والمشاهد (بكسر الهاء) ، والمشاهد (بفتح الهاء) . ويمكننا أن نضيف بأنه ، حتى في ميدان الذات ، لا بد من التفرقة بين المفاهيم ، مثلا : بين الحب والمحبة والمحبوب . ففي ذلك البون يوجد المجال الشاسع للعمل الفلسفي ، وللإبداع الفني .

إنها مفارقة ! ولكن المفارقة ، في نفس الوقت ، عبث وغنى . فالفنان ، منذ كان وهو ، كالفيلسوف ، حليف للسرو والغموض والمفارقات ، فلو كشف له الغطاء لنزف معين الأيحاءات الخلاقية . فالروعة ، كل روعة ، في تعاون الوجدان والتخيل مع الحدس والعقل ، على مصارعة الغامض والمجهول ، لإرغام الطبيعة على إزاحة شيء ما من اللثام الغليظ الملقى على كيانها .

إن التخيل يتحدى الفنان ، كما يتحدى العالم الذي يفرض الفروض قبل أن يقوم بالتجارب في الطبيعة ليسيطر عليها . فالشاعر ، والنحات ، . . . يخصصان إمكانيات العالم ، والعلم يفتح آفاق الكون أمام الفن . فالأهم التي تتكلم مخيلتها يجف معين الفنون عندها ، فتجهل العلوم والفلسفة . الكون ، بما فيه الإنسان أكثر ثراء من المادة ، ومن الذات ، ومن الفن ، ومن الفلسفة ، ومن العلم ، لأنه طبيعة فيها ذات مع ذوات ، تحس ، وتتفلسف وتعلم . إن الإنسان لا يولد في الطبيعة ، كبقية الحيوانات ، بل يولد في الثقافة : يفتح عينيه على طبيعة تخضع إلى مكتسبات تاريخية ، إلى اختراعات واكتشافات وتقنيات ، وتقنيات . فهو صفنا ذات شاعرة تحيا بالتخيل والعقل والحدس والفضول ، ننزع من الطبيعة أسرارها ، ونؤنس كل شيء حولنا : تلك وظيفتنا .

* * *

كل الأحداث التي ينسج منها تاريخ البشر إن هي إلا مراحل في تطور وتمتين

علاقات الإنسان بالطبيعة . لقد كان دائما -
وما زال - الإنسان والطبيعة كعاشقين
يتراوغان ، رغم ترابط مصيرهما ، كلاهما
يظهر قليلا من صميمته للآخر ، ويتستر
عنه لينمى الإغراء . هذا ما يجعل الإنسان
مغامراً حتى جنون الفن ، وفضول العلم ،
وجدلية الفلسفة .

وبقدر ما يتقدم التاريخ بالإنسان
يزداد غداؤه من التخيلات ،
والمفاهيم ، والرؤى والأحلام ، والإشارات
والرموز . عندما أخرج (فرويد) كتابه
« تفسير الأحلام » ، الذى فتح آفاقا
شاسعة للسيكولوجيا المرضية وللأنثربولوجيا
هوَّجَم بعنف من طرف علماء معاصرين ،
مثل (ليبمان) ، من جامعة (برلين) ،
الذى كتب عنه :

« لقد انتصرت عند (فرويد) الأفكار
الخيالية للفنان على الباحث العلمى » .

إنه انتقاد يجلى (من غير قصد) واقعا
أصبحنا اليوم نعيه وعيا ثابتا : الكشوفات
العلمية لا تستغنى عن الحدس والخيال
الفنى . فالنظرة الساذجة إلى العالم هى
المدخل إلى كل مغزفة ، ثم تتعقد الأمور

بتدخل المنطق والتجربة ، من أجل البرهنة
والتقنين .

الذاتية :

عالم الفن عالم غريب ، فيه تلتقى الذات
بالطبيعة .

ولكن : ما الذات ؟

لن نستطيع أن نتعرف عليها إذا نحن
لم نحدد ، أولاً ، ما نعنى بـ « طبيعة » .
والطبيعة ، هى بدورها ، ترفض كل
تحديد لها لا يبدأ بتعريف الذات . هنا ،
أيضا ، يلتقى العلم بالفن وبالفلسفة ليقفوا
جميعا حيارى .

يصرح العلم :

سأكتبى بتسجيل العجز وفرض الفروض
لأبني عليها أجهزة تركيبية من الملاحظات
والتجارب ، ثم أسير كما لو كانت
الحقيقة كمشة فى يدي .

ويقول الفن :

أنغمر فى حقيقة الغموض وأمزجها
بغموض الحقيقة ، وأسقى الناس من هذا
التركيب ، فى آنية من الرموز . . .

. أما الفلسفة فتكتفى بالتصريح بأنها :

مباريات دائمة بين فرقٍ من نقط الاستفهام . دورها أن تتساءل باضطراب عن فعاليات العالم ، وفعاليات الفنان ، وعن ماهية العلم والفن .

الإنسان كائن خلق من صراع الذات

والطبيعة ، صراع المواجهة والتلاحم .

يندهش البدائي أمام مظاهر وظواهر الطبيعة ، كما اندهش قدماء فلاسفة اليونان الذين ادعوا أن كل الأشياء مليئة بالآلهة . الفنان يسكن الأشياء ويحييها معها ، يحييها ، لذا قيل عن الشاعر إنه مسحور ، إنه مجنون ، وضعفوا شخصيته كما فعل العرب إذ نسبوا لكل شاعر شيطانا يوحى إليه . يقول أبو النجم :

لأي ، وكل سناحسر من البشر

شيطانه أنثى ، وشيطاني ذكسر

والشيطان ملك عاص ، كما في الفكر السامي ، أو من أسر الآلهة ، كما عند اليونان والرومان .

* * *

يفرض العالم على الطبيعة أن تدخل معه في حوار ..

والفنان يجعل الفراغ يتحدث ، يحمله أكثر من معنى : ننظر إلى لوحة زيتية ، فننتواصل مع ألوانها وخطوطها . ولكن ما فيها من فضاء فارغ من السطور والأصباغ ، هو أيضا ، يشارك في التعبير الفني . فلو أن الفنان ملأ كل اللوحة خطوطا وألوانا ما كان فن ، نعني ما حصل تواصل بين الذات والطبيعة . فالذي يهرق محبرة المداد على ورقة لا يعطينا فنا.

الشعر تقاطيع : الشطر الأول من البيت والشطر الثاني يجمعهما فراغ ما بين الشطرين ، فيكونان وحدة ، ويعود الشاعر إلى السطر ، فيكون بين البيت وما سبقه فضاء ، ويسكت الشاعر بين الأبيات ، مجزئا الزمان إلى وحدات .

والغناء تقاطيع ، المد والحمل ، ممسا يجعل الكلمات العادية موسيقية ، مضيئة لكل واحدة شخصيتها ، تسفر عن عذوبة أو عن حرارة . فالموسيقى والشاعر يكشفان عما في الكلمة من حياة ، ومن حنان أو جبروت ، ويشحنانها ، أحيانا ، بمعان جديدة .

* * *

نظرتان : غربية وشرقية :

يعطى الفن الغربى ، منذ الإغريق حتى يومنا هذا ، أكبر عنايته لما فى الصورة الشخصية البشرية من لطف وتعبير ، ولما للجسد الإنسانى من نعومة ومرونة ، سواء فى النحت أو فى الفن التشكيلى . أما الفنان الصينى والفنان اليابانى فيهما ، أكثر ، بالمناظر الطبيعية ، بجمال الطيور والأزهار .

جانبان مختلفان من جوانب التزام الفن لحل ألغاز الكون : الغربى أدهشته ذاتية الكائن البشرى ، والفنانون الشرقيون بهرتهم شئىة وحيوية الكائنات الطبيعية . فالجمع بين النوعين من الفن يبرز الإطار العام للمصير الإنسانى : البحث عن المبدأ الحى ، المبدأ الروحى السارى فى العالم والذى هو مصدر الجمال والقبح ، الخير والشر .

من هنا تبدأ كل ميطافيزيقا .

* * *

يحاول الفنان أن يجعل الأشياء تعكس ما يحمل الإنسان فى ذاته من أسرار ، وأن يستغل مواهبه فى إجلال وإبهامات

الطبيعة ، على شكل ما ، فنشاهد أنفسنا

فى الأشياء ويفضل الأشياء :

إنها تذكرة ، وأكثر من تذكرة ، إنه إحياء ، وأغنى من أى إحياء ذلك الكشف الكلى الذى يغشانا عند المشاهدة المباشرة للقبلة وقد نحتها فنان ، فى قطعة من مرمر . إن الفنان لا يعبر عن القبلة بجعل فم فوق فم ، فالتصاق شفتين بشفتين يعطى صورة ظاهرة عن عملية التقبيل ، لا التعبير الصادق عن أسرار القبلة ، عما تكنه القبلة فى أغوارها من أبعاد ميطافيزيقية . فكثيرا ما نرى فماً فوق فم ، ولكنها عملية لا تتعرق من سطحياتها . تنكشف القبلة عن أبعاد الوجدان اللامتناهية وعن الوجود عندما نشاهدها مجسدة فى الرخام وقد أعاد لها منقش الفنان حقيقتها العليا : رعشة عنيفة ينوب فيها جسدان بحثا عن أغوار وجود أعمق . إنه اكتشاف « الروح » وقد تمسكت من مجموع إمكانيات الجسد . إنه لغز الحلول ، حلول شخصيين فى حلم الأبدية ، بعد أن أصبح الرخام شاهدا على قدرة مقص الفنان الذى يكسب الجمادات تعبيراً

فصيحاً ، ويدوخ القوى الطبيعية لمشيئة
الإنسان . يود المرمر لو يقول : إني حي ،
إني عاشق ، ولكنه يكتفى بالتصريح :
أنا ترجمان ، من بين ترجمة الإنسان .

* * *

البعد الأنطولوجي للفن

أبرز علم الأوثنولوجيا المكانة التي
يتبوؤها الفكر الأسطوري لدى «البدائيين»
مع مقارنة مميزاته الكبرى بخصائص الفكر
العقلاني . فوصلت الأوثنولوجيا إلى هذه
النتيجة : على رأس مميزات الفكر البدائي
والفكر العقلاني معا ، حدث خاص ، هو أن في
أكثريّة العمليات الذهنية ، يمتزج صميميا ،
التخيل بالرغبات ، ومن هنا يكتسب
قوته على الخير وعلى الشر . فالفنون
التشكيلية أصيلة في طبيعتنا ، لأن كل
صورة تنبعث عن التخيل وعن رغبة ،
في آن واحد . يجوز لنا أن نستنتج من
هذا أن الغرائز البشرية تجد أفصح تعابير
عنها في الأجهزة الفيزيولوجية والبيولوجية
للجسد ، أما الوجدانيات فهي في توتر
دائم . باحثة عن وسائل تعبيرية ، وإلى
الآن لم تجد إلا الفنون . فكما ادعى .

(أفلاطون) أن في روحنا فنانا يرسم
لأصورة الموضوعات التي يقدمها الإحساس .
أشياءنا تشهد علينا ومن ثمة كانت
الفنون أوثق وأغنى رجع لتاريخ الإنسانية
تاريخها النفساني والموضوعي ، لأن
المؤرخين للوقائع لا يعطوننا لويحات
الحياة الفكرية والعاطفية ، بل يكتفون
بتسجيل الأحداث الظاهرة ذات القلب
الكبير ، الوقائع كمسطحات خام . فلو لا
الفنان ما كان تاريخ حق ، لا بالنسبة
للأهم ولا بالنسبة للأفراد .

* * *

أدوار النقد

قد اقتضت الأوضاع أن يتكون رهنط
من الاختصاصيين يقربون الشقة بين
الفنان والمؤرخ ، وبين الإنتاج الفني
والجمهور ، هم النقاد .

ليس دور الناقد أن يؤرخ للأدب
وللفن ، بل أن يقيم الإنتاج ، أن يبين
على اكتشافه وإبراز ما قد يتقرب عن
إدراك المستهلك العادي .

دور الناقد دور وساطة وإرشاد للمنتجين وللجمهور . النقد الجيد توجيه مجلد ، يعيننا على اختيار ما يجب أن نتعرف عليه ، وما ينبغى أن نعيد قراءته ، أو أن نخرج إلى المتحف لنشاهده مرة أخرى . دور الناقد أن ينفذ عما هو جديد جدير بالاهتمام ، وأن يفضح السطو ، جاعلا من الأمانة معيار الأصالة . الناقد على بصيرة مما يجري في ميدانه . إنه شاهد عيان يشرى حساسيتنا ، على الدوام .

إذا كانت هذه هي خطوة المهام التي يطالب بها الناقد ، وجب عليه أن يعرف تاريخ الثقافات ، ليرى نقط الاتصال ونقط الاختلاف ، فيوحى بالطريق المثرى للذهنية الإنسانية ، يبني الجسور بين الماضي والحاضر والمستقبل .

وربما كانت كتابات الناقد أخصب من كتابات وألواح المبتكرين . إنه ، كما نرى ، عبء كبير لا يقدر على تحمله إلا قلة القليل . وهذا ما حدا اليوم بالجامعات ، إلى تأسيس كراسي للنقد .

أصبح النقد علما يخضع لقوانين ، من أهمها ، أو أهمها ، العمل على تفهيم

الكتاب أو التمثيلية أو القطعة الموسيقية أو اللوحة ، والتساؤل عن الإنتاج - في ذاته ، لا على ما فيه من صالح لأن يستغل في الدعايات والشوفينية . فالجامعي يسمو عن تسخير البحث العلمي لما يتعارض مع كرامة الحقيقة . فآدابنا العربية وفنوننا معرضة لمهاترات النقاد الارتجاليين ، يرفعون للسماء من شاؤوا ، على حساب القيم الحقيقية ، مقابل صدقات ، أو مجاملة للصدقات . وإذا يشس الناقد من الهبات ، ولم تتوفر أغراض أخرى ، هاجم الآثار ليكسر إنتاجا في تصاعده .

نعم ، دور النقد خطير ، لأنه يرمى إلى تنمية الذوق والثقافة بربط الصلة بين رسالة المبدعين والجمهور . يقود الناقد إلى المعركة التي ينتصر فيها الشعور والفكر والذوق السليم على اللامبالاة ، وتنتصر الإصاغة على التهجي ، إنها مغامرة لتغيير الإحساس الساذج إلى سلوك ورؤى . ويعمل الناقد على تخليد الأموات ، مزيحاً عنهم غبار النسيان ، إذ يجعلهم مرجعا ، في مقارناته ، وفي أحكامه على المعاصرين .

ما يتطلب من الناقد هو ثقافة عامة ، مع رؤية شمولية ، وهذا ما تقدمه الفلسفة . فليس ، إذن ، بعجيب أن يهتم الفلاسفة منذ أقدم العصور حتى اليوم ، بـ « علم » النقد ، أو « فن » النقد . لقد رأينا أن دور الناقد دور وساطة بين المنتجين والمستهلكين وهل دور الفيلسوف إلا دور وساطة ؟ إنها وساطة بين مختلف الفنون وبين أصناف المعرفة . فلا غرابة أن يهتم الفلاسفة – المعاصرون بمختلف الفنون ، مثل (برغسون) و (باثملار) و (شول) ، و (كروتشى)

* * *

عبثية المصير :

مصدر كل الفنون هو الدين والميول الجنسية .

1) كان الرقص يرمى إلى غيبوبة الوجد للتعبير عن التفانى في حب الآلهة ، وهو ، في نفس الوقت ، تصعيد لرغبات لاشعورية (كما حلل ذلك فرويد) . كان الرقص دوماً توأماً للطرب ، وبالتالي للشعر .

ويلتحم الرقص مع الطرب ومع الشعر في التمثيل ، وهو مجموع تعابير تعبدية لاستعطاف الآلهة ، أو تعابير رامزة إلى

ميول غامضة يجسدها الممثل بالحركات والأقنعة . فالفن المسرحي يكون تأليفاً يضم أنواع الفن إلى العامل الدينى وإلى الخرافة .

أما اليوم ، فمختلف أصناف الفن قد تحررت ، إلى حد بعيد ، من عبء ماضى الولادة ومن مرحلة الحبو . وأخذت ترمى إلى التأكيد بأنه : لا محاكاة للآلهة ، ولا متعة الزخرفة والزينة بقادرة على مواجهة المصير ، مصير عالم يتغير بسرعة لا يستطيع الإنسان أن يماشىها . ففى عدم التوازي بين إيقاع نمو التقنيات وإيقاع قوتنا على التكيف ، منبع الحيرة والعبث .

* * *

مشكلة العصر هى الشوق المصدوم إلى تكيف مستمر مع ما تنخفض عنه – يومياً – الصناعة وتطبيقاتها فى الحياة المجتمعية . فـ (كافكا Kafka) يعطى صورة مزعجة عن هذا الوضع الذى مسخ الإنسان وحوله إلى حشرة حقيرة . أصبحنا نحن جميعاً محاصرين بـ « جدار الصين » العتيد ، ومتهمين ، دون أن نعرف شيئاً عن التهمة ولا عمن يتهمنا .

ويردد صدى هذه المأساة (ألبير كامو Camus) إذ يسمى الحياة بـ « الطاعون » :

الوباء يحتاج مدينة (وهران) ، لكن
الأنانية تعمى القوم فيعمل كل على إنقاذ
نفسه ، أو استغلال الحال لصالحه ، باستثناء
أقلية ، كالكتور (رييو) .

إذن : الحياة مجرد عبث . تلك نظرة
(كافكا) و (كامو) .

فيأذا سألنا : هل من منقذ ؟
أجاب المؤلف المسرحي (بيكيط Beckett) :
«انتظروا جودو» !

(جودو) إله لم نتخذ معه موعدا . فلن
يأتى ، ذلك الأصم - الأبكم ، مهما طال
الانتظار ، ومع ذلك يجب أن ننتظر !
فلنتمرد ، مع أبطال (كامو) ، ولنعيش
القرى والغثيان ، مع أبطال (سارتر) ،
فهذا لا يغير شيئا من الوضع .

نجد عند أبي حيان التوحيدي صدى قويا
لهذه التجربة : قلق ، وحسرة ، وشعور
بالضياع . لقد عبر عن إحساساته بصدق ،
إلا أنه بقى في مستوى تجربة فردية ، يحياها
دون أن يتجاوزها . فالأديب ، أو الفنان ،
يسبر غور التجربة ، ويشخصها ، تاركا
النظريات والعلاج للفيلسوف . فلنستمع

إلى الشاعر أبي القاسم الشابي يحكى عن
تحرقه :

يا ربة الشعر والأحلام ، غنّينى !
فقد سئمت وجوم الكون من حين
ناحت بنفسى مآسيها ، وما وجدت
قلبا عطوفا يسليها ، فعزّينى !
وهدّ من خلدى نوح ترجمه
بلوى الحياة وأحزان المساكين .

على الحياة ، أنا أبكى لشقوتها ،
فمن ، إذا مت ، يبكيها ويبكىنى ؟
لولاك فى هذه الدنيا لما لمست
أوتار روحى أصوات الأفانين
ولا استخف حياى ، وهى هائمة
فجر الهوى فى جفون الخرد العين

* * *

مواقف الفلسفة والفن من هذه الأوضاع :

والآن : ما موقف الفن والفلسفة ؟
لقد بلورا مفهوم «إنسان» ، فأبرزوا
أبعادا جديدة : الإنسان هو الكائن الذى
يحيا مع فكرة الموت المحتم ، ومع ذلك
يتجاوز الموقف العيى والمفارقات لينحقق

إنسانيته في تحدٍّ مستحضر : فبتعاون الفلسفة والفن ، يقوى الإنسان قدرته على التحدى الذى تفرضه عليه الحياة ، واليوم أكثر من ذى قبل .

إن الثقافة الفنية والفلسفية سلاحان في معركة المصير من أجل السيطرة على تاريخ لبيئة الإنسانية .

* * *

يسير نمو الذهنية على إيقاع النمو العام . فلإنسان اليوم مطالب بالتكيف مع إلحاحات عصرنا الجبار ، دون أن يهمل عن أفضل مكتسبات الماضي . فالذى يرفض تحقيق هذه العملية تسحقه الأزمات ويصبح غير متشبث بالتاريخ .

الإنسانية ، الآن ، في فترة المواجهة الكبرى مع واقع جديد . عنيف ، مستعجل لا ينتظر . فوعى هذه الحقيقة ، يرغمنا على ألا نطيل الوقوف أمام حائط المبكى الذى شيده (كافكا) و (كامو) وغيرهما على العبث والغصة النفسانية .

لا يكفي أن نشخص الكائن البشرى ، علينا أن نتفهمه وأن نؤمن بحضورنا في العالم ، نتغير بتغيره . فتتضح إنسانيتنا ، بقدر ما تتضح الإمكانيات المادية والتقنية .

* * *

هناك اتجاه إنسانى (Humanisme)^(١) جديد يحاول أن يعطى للإنسان ثقة قوية بإمكانياته الذاتية : الإنسان يحقق مصيره كاملا ، دون أية معونة خارجية ، إذ يجد في ذاته الجذور الميتافيزيقية للوجود ، بها يصارع ميتافيزيقا المطلق .

على هذا المشى ، يسير الوجوديون الملحدون ، مع مطالبة الفلسفة والفن بأن يبحثا عن جذور الوجود في تعاون صميمي .

يلاحظ (هايديجر Heidegger) أن المفكرين الأوربيين ارتكبوا غلطا فادحا عندما اعتبروا « الكينونة » موضوعا كبقية الموضوعات ، وافترضوا أن حقيقة التفكير الفلسفى تقوم على مطابقته للموضوع . فالوجود الحقيقى ليس هو الظاهرات ، بل

(١) يطلق الأستاذ علا ل الفاسى لفظة « إنسية » على Humanisme ، وهذا توليد موفق . واللفظة قديمة ، وردت عند المعري في (رسالة القفران ، ص ٢٠٥ ، القاهرة ، دار المعارف) وتأتى معنا لما هو من خاصيات الإنسان . فبعد أن سأل ابن القارح عن لغات الجن ، يجيب الجن (أبو هدرنش) : « إنا أهل ذكاء وفطن ، ولا بد لأحدنا أن يكون عارفا بجميع الألسن الإنسية »

«الشيء - في - ذاته» ، كما عند -
(كانط) . ولكن ، لفهم الشيء - في -
ذاته ، أو الكينونة ، يجب أن ننطلق من
كينونتنا نحن : إلى أدرك أن الكينونة
وجود في كينونتي أنا .

بناء على هذه النظرية الوجودية ، بوسعنا
أن نوكد أنه يجب على البحث العلمي ، هو
أيضا . أن يبدأ من كينونتي ، من وجداني
كالفنون سواء بسواء ، ما دام مصدر كل
الفعاليات هو الوجود الذاتي . لذا اهتم
(هايديجر) بالفنون ، خصوصا بالشعر ،
فخصص كتابا لقصائد (هولديرين
Holdorlin) كما ركز (ميولوبونتي
Morleau-Ponty) آراءه الفلسفية ، في غير
ما دراسة ، على أمثلة من الفنون التشكيلية
ومن السينمائية . أما (سارتر) فقد وسع
نطاق الاتصال ؛ فهو ، في مغامرة البحث
عن جذور الوجود ، يتفلسف ، ويكتب
القصة والمسرحية ، ويؤلف عن الشاعر
(بودلير) وعن القصصي (جان جوني
Jean Giono) ، ويحرر المقالات عن الفنون
التشكيلية وعن النقد الأدبي ، كما يستغل
الفن السينمائي . وهكذا أعطى (سارتر)
مثالا على قرابة الفلسفة بالفنون الأدبية ،

بما يلتقي . أضواء على أنماط التعبير في
الأنطولوجيا المعاصرة .

* * *

المطلق والوجود :

إن النزعة التي رأينا خطها الكبير عند
(سارتر) و (هايديجر) ، تستهدف
تركيز الوجود الإنساني والكينونة الكونية
في الإنسان ، وكأنها تستبدل مطافيزيقا
المطلق بمطافيزيقا وجودية .

فهل في استبدال المطلق (الله) بمطلق آخر
(الإنسان) ربح للإنسانية ؟

إن الانتقال من الكائن البشري المفرد
إلى مجموع النوع الإنساني ، أو فحسب
إلى مجرد هيئة محدودة ، قد يؤدي بنا إلى
مفاهيم مجردة غامضة كثيرا ما انتقدتها
الإلحاد على الدين ، طبعا ، يرجع فضل
كبير إلى الوجودية والأنطولوجيا المعاصرة ،
وإلى الفنون الحديثة ، في إجلال صميمية
الإنسان كفرد ، وبلورة قيمها وخصائصها
لكن ، هل من نظرية أو منهج لمعاناة
المحافظة على الكينونة الفردية ، في صفائها
مع اعتبارها ينبوع كل وجود ؟

كيف يحصل التواصل بين كينونة فرد
وكينونات الآخرين ؟

الصميمية تمارس في ارتباط « أنا »
بـ « نحن » : لأن العزلة تفقر الوجدان
وتصب الضباب على الوجود .

هناك وجه اعتراض مشابه من طرف
أنصار التصوف على نظرية المعتزلة المنكرين
لرؤية الله :

إذا امتنعت الرؤية الإلهية في الآخرة ،
فما فائدة الجنة ؟

أليس النظر إلى وجه الحبيب أكبر نعيم
وأجلى ضياء من كل جنة ؟ فالجحيم والحرمان
هما الحجز عن الرؤية :

« وإذا اكتفى غيرى بطيف خياله
فأنا الذى ، بوصاله ، لا أكتفى »

وكان (لامرتين Lamartine) يردد
صدى هذا البيت إذ يقول :

« يكفى أن تفقد كائنا واحدا لتصبح
دنياك قفرا » .

نعم ، (سارتر) على حق عندما أكد
أن « الجحيم هم الآخرون » . ولكن ، هذه

قولة ناقصة إذا لم يضاف إليها : والجنة ،
كذلك ، هم الآخرون .

المشكلة هي أن يتأنسّن العالم والمستقبل ،
وهذا لن يتم بالأفراد ، بل بالناس ، نعى
بكائنات بشرية تشخصت كينونتها بفضل
تداخل الذوات ، أى بالتواصل مع الآخرين .

* * *

لنا

التواصل :

هنا نقطة التلاقى بين الفن والفلسفة :

كيف يحصل تواصل « أنا » بآخرين ؟
مشكلة قديمة ، ولكنها أصبحت اليوم
هى المشكلة الأساسية : تضعها المسرحيات
مثلها فى ذلك مثل الشعر المعاصر ، والموسيقى
الجديدة ، والنحت . . . الكل يجرى
وراء أسرار قلق العصر وما يغلف تواصلنا
من إبهام وغموض ، الكل يعمل على بلورة
غمراتنا النفسانية ، كأن العالم حامل ،
والجميع يسهم فى تهيب الجول للمولود المنتظر ،
مع رجاء ، وخوف ، وقلق ، وتمرد أحيانا .
فكما يقول (جان كوكتو Jean Cocteau)

« الشعر يشبه كوارثات القطار : لا

تفسر ، وإنما نحس بها » .

أصبح الفن صراعاً وتحدياً . لأننا نعيش توتراً عالمياً ، ومن هنا جاءت قضية الالتزام ، وباتت تداخل الفنون مع الفلسفة والعلوم أمراً لازماً : الجميع يعيش نفس الوضع الدرامى ؛ فغناء ورقص الخفافيس إن هما ، كذلك ، إلا تعبير عن التمرد ضد الدراما .

* * *

يعيش الفلاسفة نفس الوضع ، بنفس المشاعر . لذا يطلبون النجدة من العلوم الطبيعية ، والاقتصاد ، والتاريخ ، ومن الفنون ، ويتجلى هذا واضحاً فى الخطوة التى تعطيها الفلسفة اليوم للسانيات (la linguistique) ، ولمنهجية العلوم ، وللأنثروبولوجيا ، ولتاريخ الفنون . لتتضح لهما عالم المشكلية (la problématique) المعاصرة .

لقد انتهى عصر ثنائية الروح والجسد ودخل الجسد فى الفلسفة كمواطن معترف به ، تتساوى حاجياته مع الحاجيات المعنوية . فالحب (فى معنى العملية الجنسية) ندرسه الفلسفة بنفس الاعتبار الذى تدرس به أى موضوع آخر ، فلا تفضل عليه

الحب العذرى ، أو الأفلاطونى ، ولا الحب الصوفى .

ربما وجد المفكرون ، فى الحب الجسمى مفتاحاً لمعرفة التواصل . هكذا تأسست «السيكسيولوجيا» sociologie بعد أن أخذت معطياتها الأولى من الفنون ومن الفلسفة . إنها علم خاص ، يتخذ من الفعل الجنسية ، والرغبات ، والانفعالات النفسانية والجسدية والمجتمعية ، موضوعات أساساً للتعرف على الإنسان . هكذا ، اكتشفت دينامية الجسد اللامتناهية ، وبدأت تخرج من ظلامها الحالك لتضيء لنا مفهوم الإنسان .

* * *

الفن يضيف إلى الطبيعة ، لا ينسخها :

تعلمنا أيضاً ، بفضل الأبحاث الفلسفية المعاصرة وإبداعات الفن الجديد ، أن زمنية الوجدان تخالف زمان الطبيعة ، وأن للأشياء حيزاً ، أما الإنسان فأوسع من الفضاء .

هذا واضح فى الفن التشكيلي التجريدى فما تعبر عنه اللوحة يفتح على أكثر ما يمكن من التأويلات ، لأن ما عند الفنان

أكبر مما تسمح به الألوان ، والظلال ،
وأبعاد اللوحة . قيل لـ (جورج براك
J. Braque) أمام لوحة تصوير طبيعة ميتة :

« إن هذه الإضاءة غير موجودة في الطبيعة »

فأجاب :

« إذن . أنا لست من الطبيعة » .

وسئل أيضا :

« وهذا النور ، هو الآخر ، من أين
أتى ؟ » .

فصرخ الفنان

« إنها لوحة جديدة لا تعرفونها » .

لقد تغافل السائل عن أن البعد الأساسي
في كل عمل فني ، هو ما يضاف إلى الطبيعة
هو العنصر الإنساني الذي ينفخه الفنان من
أنفاسه وعرقه ورعشاته .

فعندما نقف ، في الهند ، أمام عجل
منحوت ، لا نشاهد شكلا من أشكال البقر
الطبيعية ، ولكننا نشعر بحضور عجل
صدر عن إحساس ، شوهد في رؤيا داخلية ،
إنه شبه طبة ثانية مزيدة ومنقحة . فلولا
ذاك العطاء المزيد ، لما كان فن أو تعبير ،

ولما كان تفاعل بين الطبيعة الخام ووجدان
- الإنسان .

إن حزنا غريبا يغمرنا عندما نقرأ هذا
التصريح للكاتبة (كاترين مانفيلد
K. Manfield) :

« أنظر إلى الجبال ، وليست سوى
جبال الأشياء التي أرى » .

فالفنانة العظيمة لم تتفاعل مع الطبيعة ،
لم ترأ أكثر مما يمكن أن تسجله آلة فوتوغرافية ،
لم تؤنسن المنظر بعطاء ، فكأن وجدانها
انكمش على ذاته تحت عبء مشاغله
الحزينة ، في تلك الفترات التي كانت
تعاين فيها فقر الذات والعزلة . فليست كل
فترات حياتنا لحظات إبداع فني . ثم إن
الخلق الفني ليس أبدا مجرد نقل أو محاكاة
للواقع ، فكما يقول بيكاسو :

« إنني لا أصور ، في لوحاتي ، ما أراه
بعيني ، بل ما أدركه بفكري » .

* * *

الفن شعور ، وفكرة ، وصناعة :

يقول (ماركس) :

« إن ما يفرق بين أقل مهندس معماري
وبين نحلة أكثر تجربة ، هو أن المهندس

يبني الخلايا في رأسه ، قبل أن يبنيتها من
الشمع . فنتيجة عمل المهندس توجد ذهنيًا ،
في تخيل العامل ، قبل تحقيقها فعليًا .
(رأس المال) .

فعندما يأخذ الناقد أو المشاهد في التساؤل
عن معنى أثر فني وعلاقته بالطبيعة ، يتناسى
أن الفن تعبير عن ذات وطبيعة ، وأن
للوحة الزيتية « شخصية » ، وأن فهمها
لا يكون بالتحليل المنطقي (أو المنطقي فحسب)
ولكن من المنظر الأنطولوجي . ذلك ما
نتحسسه في هذين البيتين لأبي القاسم
الشبلي :

« أنت ، يا شعر ، قصة عن حياتي ،
أنت ، يا شعر ، صورة من وجودي
أنت ، يا شعر ، إن فرحت ، أغاريدى
وإن غنت الكآبة ، عودى »

* * *

نظن أنه لو سئل (سارتر) لماذا يكتب
القصة والتشيلية . . . ، ولا يكتب

بالتأليف الفلسفي ، لأجاب لأنه فيلسوف
والفيلسوف إنسان يبحث عن تعابير تفي
بما يريد أن يوصله للجمهور ، وجمهور
اليوم لم يعد ينحصر في فئة النخبة ، بل
إنه الأمة ، أو الأمم ، على صعيد التاريخ
الإنساني^(١) .

التاريخ مغامرات وجدانية وفكرية تجسد
رؤى الفيلسوف والفنان ، عن الكون
والإنسان ، بالكلمة ، والصخرة ، والصوت
واللون .

فمن التأملات ، ومن الروح الفنى ،
ينشأ الروح العلمى ، ويتأسس الفكر
الجماعى ، الذى هو وحدة الاتجاه والأهداف .
فكما أن التصوف يفتح المجال أمام وحدة
الوجود ، فإن الفلسفة والفن يفتتحان على
« وحدة الشهود بالحياة ، وعلى حلبة التواجد
في الطبيعة ومع الطبيعة . تتمخض ألطف
مشاعر الإنسانية في وجدان الفنانين ، لتشع

(١) فقرات من كلمة ألقينها في (٧-٦-١٩٦٦) بالرباط ، بمناسبة مهرجان الشعر الذى نظمه اتحاد كتاب المغرب
العربي ، ونشرت في مجلة آفاق (العدد الخاص بهذه المناسبة) .

من محاسنهم وكمأنها ابتسامة عذرا انفجرت
أ من شمس تعانق طراوة الصباح ^(١)

* * *

خاتمة :

ولنتختم الآن بتساؤل :

هل للآداب والفنون مستقبل في البيئات
التي غزتها الصناعة الكبرى ؟

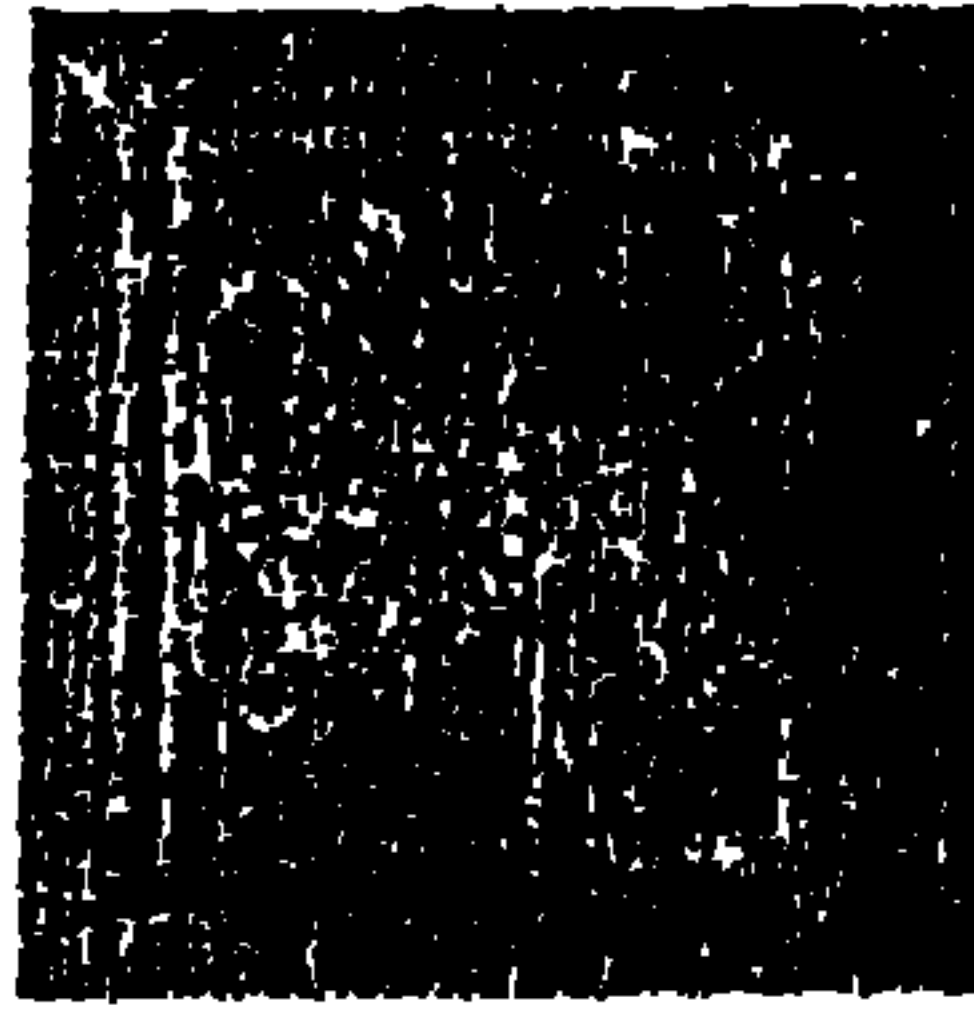
مستقبل الآداب والفنون مستقبل نمر
مستمر . ألا نشاهد أنه ، في كل سنة ،
يتزايد عدد زوار المتاحف ، وقراء القصص
والشعر ، ويتكاثر الإنتاج الأدبي والفني ؟
ففي هذا ما يبشر بكل خير .

الفلسفة ، والآداب ، والفن ، لغات ،
واللغة وعى واقعى للأفراد وللأمم . فمن

خلال اللغة تحى الأمة نفسها بأنما واعية .
الفلسفة ، والآداب ، والفنون ، إن هي
إلا أبجدية التساؤل ، نتعلمها طول العمر ،
إذ لا مكان ، في خريطة التقدم المعاصر ،
لأية أمة دون فن ودون آداب .

إن عظمة الفن وثراء الأدب في البنيات
العميقة ، تلك التي تتركز على رؤى ،
إنسانية وكونية ، أى على مفاهيم فلسفية
عن الإنسان ، وعن الوجود ، وعن ممارسة
الحرية الواعية الهادفة . فأروع التماثيل
واللوحات ، وأعذب الأنغام ، وأعرق
الشعر ، هو ما يدعو إلى التأمل في الكون
والمصير ، والتعاطف مع الدوات الأخرى .

محمد عزيز الحبابي
عضو المجمع المراسل من المغرب



(١) يكفى أن تفتح قاموسا فلسفيا (ألمانيا أو إنجليزية أو فرنسية) لترى كم أعطى المفكرون ، على اختلاف
العصور ، من تعاريف لـ « فلسفة » . إذ من الصعب أن يحدد الإنسان ، تحديدا نهائيا ، ميادين المنظومة التي ترمى
إلى التأمل في سرعات الإنسان لمصيره وهماجياته للطبيعة ، وفي تواجده بذاته مع ذاته ومع الآخرين



للدكتور أحمد الحوفي

[١]

من البحث السابق
وإنما لا غضاضة في أن نصف بعض سورته
وبعض آياته بأنها مسجوعة .

ويبدو أن الذين أنكروا السجع في القرآن الكريم كالباقلاني وأبي الحسن الأشعري وابن خلدون لم يرتضوا كلمة السجع ، فآثروا عليها كلمة فاصلة أو لمواصل ، ليثبتوا أن الإعجاز في الأسلوب القرآني الذي جاء على نسق مغاير لماعهده العرب واقتدروا عليه .

وكنهم لم ينتبهوا إلى أن السجع القرآني فريد ، يمتاز بأنه يحقق الملائمة بين المعنى والأسلوب* أروع تحقيق ، ويخضع كلا منهما للآخر في إعجاز بيّن لا ينكر .

وذلك أن سجعانه متعانقة مع ما قبلها ، مستقرة في مواضعها ، كفيلة بروعة المعنى ، وجمال الصورة ، واتزان النطق ، وتجانس الجرس ، وحلاوة الوقع .

ولهذا ترشد الآيات إلى فواصلها ، ويتوقعها من له عرق في الأب وذوق ، قال زيد بن ثابت : أُملي علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلفا آخر »^(١) فعند ذلك قال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين . فضحك رسول الله ، فقال له معاذ : مم ضحكك . يارسول الله ؟ فقال : بها خُتِمَتْ^(٢) .

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٠/٢

(١) سورة المؤمنون ١٢ - ١٤

وكذلك جاءت كلمة كفار صيغة مبالغة

من الكفر في آية ، وجاءت كلمة كفور صيغة مبالغة أخرى من الكفر في آية ثانية ، قال تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار »^(٣) ، وقال سبحانه :

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور »^(٤) .

وجاءت كلمة عسر في موضع وكلمة عسير في موضع آخر ، وهما بمعنى واحد ، قال تعالى : « فتول عنهم يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر . خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر »^(٥) .

وقال سبحانه : « فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير »^(٦) . ووردت كلمة كذب في الآية الكريمة :

والحق أن سجعات القرآن الكريم تمتاز بخصائص كثيرة أعجزت البلغاء أن يحاكوها ، فمن هذه الخصائص :

١ - أنها نازلة في مواضعها ، ملائمة لمواقعها ، بريئة من التكلف ، تتبع فيها الألفاظ المعاني ، وتنهض خير نهوض بما تتطلبه هذه المعاني ، فلا نقص ولا زيادة ولا تكرار لضرورة السجع .

اقرأ قوله تعالى : « قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً . ومكروا مكراً كُبَّاراً »^(١) ، تجد أن كُبَّاراً بمعنى (كبير) ، ولكنها جاءت هنا للدلالة على هذا المعنى ، ولتحقيق السجع ، على حين أن كلمة (كبير) وردت في آية أخرى محققة للمعنى وللسجع معاً في قوله تعالى : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً . ولا تفتلوا أولادكم خشية إملاق . نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً »^(٢) .

(١) سورة نوح ٢١ - ٢٢

(٢) سورة إبراهيم ٣٣ - ٣٤

(٥) سورة القمر ٦ - ٨

(٢) سورة الإسراء ٣٠ - ٣١

(٤) سورة هود ٩ - ١٠

(٦) سورة المائدة ٩ - ١٠

« وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »^(١) ، وكلمة كِذَّاباً وهي بمعنى كذب في الآية الكريمة . « إنهم كانوا لا يرجون حسابا . وكذبوا بآياتنا كذابا . وكل شيء أحصيناه كتابا »^(٢)

ولكن قد تقع فاصلتان مختلفتان في نهايتي آيتين متفقتين لفظا ومعنى ، كقوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لفلول كفار »^(٣)

وقوله سبحانه : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الله لغفور رحيم »^(٤) فلماذا اختلفت الفاصلتان ولفظ ما قبلهما ومعناه واحد ؟

قال الزمخشري في تفسير الآية الثانية : إن الله لغفور رحيم ، حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها^(٥)

وقال ابن المنير الإسكندري : كأنه يقول إذا هابت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، يعني لعدم وفائك بشكرها ، ولي عند إعطائها وصفان : وهما أني غفور رحيم أقابل ظلمتك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقيير ، ولا أجازي جفائك إلا بالوفاء^(٦)

ونقل السيوطي رأيا آخر لم يذكر قائله هو أن الآية التي ختمت بأن الإنسان ظلوم كفار كانت في سياق وصف الإنسان المنعم عليه ، أما الآية التي ختمت بأن الله تعالى غفور رحيم كانت في مساق صفات الله تعالى وتعداد نعمه وإثبات ألوهيته^(٧) . والذي يقرأ السورتين من أولهما إلى هاتين الآيتين يتحقق من ذلك .

وهذا الذي قالوه صحيح كله .

وقد يؤم النظر العجلان أن الفاصلة غير ملائمة في نحو قوله تعالى : « تُسَبِّح

(٢) سورة النبا ٢٧ - ٢٩

(٤) سورة النحل ١٨

(٧) الإتيان ٢ / ١٧٣

(١) سورة الجن ٥ - ٦

(٣) سورة إبراهيم ٣٤

(٥) الكشاف ٢ / ٣٢٥

(٦) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٢ / ١٧٣

له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً»^(١) .

وذلك لأن ختام الآية الدالة على أن كل شيء يسبح بحمده بجملة أخرى تؤكد حلمه تعالى ومغفرته ، هذا الختام يحتاج إلى تدبر ، لأن المخلوقات كلها تطيع الله ، وتخضع للنواهي التي أودعها فيها ، وتسبح بحمده ، وإن كنتم لا تدركون تسبيحها ، وأما أنتم فإنكم تعصون الله ، ولكنه يحلم عليكم ، ويغفر لكم ، فجاء ختام الآية بالحلم والمغفرة مناسبا لمعصية المخاطبين المقدرة في الآية .

وكذلك في قوله سبحانه وتعالى : « فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك ، فلا يخرجكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى »^(٢) .

فإن النظرة العجلى تستحسن أن يذكر الظمأ مع الجوع ، وأن يذكر

الضحو مع العرى ، ولكن التدبر يقضى بالنسق الذي انتظمت به الآية الكريمة ، لأن فيها لونا بلاغيا يسمى قطع النظير عن النظير ، إذ فصلت الظمأ عن الجوع ، وقطعت الضحو عن الكسوة ، مع ما بين كل منهما من تناسب ، ليتحقق تعداد النعم وتصنيفها ، ولو أن كل نعمة قرنت بما يماثلها لتوهم المخاطب كل نعمتين نعمة واحدة .

يضاف إلى هذا تناسب الفواصل ، لأن الظمأ لو قرن بالجوع فقل إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ لا تنتثر سلك رمحوس الآيات ، وأحسن به « منتظما »^(٣) .

على أن الآية الكريمة راعت حاجة الإنسان إلى الشبع واللباس ، وأنه لا يستطيع الاستغناء عنهما ، فجمعتهما ، وراعت المناسبة بين رى العطش والاستظلال ، وأنها تابعان للباس والشبع ، فقرنتهما^(٤) .

وثمة تعليل آخر هو أن الجوع والعرى يدلان على الشدة والحاجة ، لأن الجوع

(١) سورة الإسراء ٤٤

(٢) الا تصاف على هامش الكشاف ٢ / ٤٤٩

(٣) سورة طه ١١٧ - ١١٩

(٤) خزائن الأدب المعنى ٩٧

فقدان الطعام . وخاو المعدة منه ، والعري
فقدان الكساء وخلاء الجسد منه ، كذلك
يتلازم الظمأ والضحو ، لأن الظمأ حرارة
في الجوف والضحو حرارة في الجو
وعلى الجسد .

لهذا لا يكاد السامع المتذوق أو القارئ
المتدبر يسمع آية أو يقرأها وهي
مختومة بغير ما نزلت حتى يذكر اسم
أو ما قرأ ، كالأعرابي الذي سمع قارئاً
يتلو قواه تعالى : « فإن زلتم من بعد
ما جاءكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز
حكيم »^(١) هكذا : فاعلموا أن الله غفور
رحيم ، فقال الأعرابي : هذا لا يكون^(٢) ،
لأنه أدرك ببديته أن ختام الآية بالمغفرة
والرحمة لا يلائم الزلل المتعمد بعد
الوعد والوعيد وبعد بيان الخير والحض
عليه ، وبيان الشر والتحذير منه ،
وإلا كان اقتران الغفران بالزلل إغراء به
وتهوينا من شأن العقاب .

ويشبه هذا أن أعرابياً سمع قارئاً يتلو
قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا

أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ،
والله عزيز حكيم »^(٣) ، هكذا : والله
غفور رحيم ، فقال : ما ينبغي أن يكون
الكلام هكذا ، ف قيل له إن القارئ غلط ،
والصواب « عزيز حكيم » فقال : نعم ،
هكذا تكون فاصلة هذا الكلام ، فانه
تعالى لما عزَّ حكيم^(٤) .

٢- وتمتاز سجعات القرآن الكريم بأن
لكل من القرينتين أو الفقرتين المسجوعتين
معنى يغير معنى الأخرى ، على حين أن
أسجاع الكتاب البلغاء كثيراً ما تقوم
على تآدية الفقرتين لمعنى واحد ، وهذا
نوع من التطويل لا أثر له في كتاب الله .
اقرأ قوله تعالى : « والشمس وضحاها ،
والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جَلَّأها ،
والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ،
والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ،
فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من
زكاها ، وقد خاب من دساها »^(٥) .

واقرأ آية سورة تجد هذه القاعدة
مطرده لا تتخلف .

(١) سورة البقرة ٢٠٩

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٣٣٩ / ٢ والإتقان للسيوطي ١٧٠ / ٢

(٣) خزائن الأدب للحموي ٩٧

(٤) سورة المائدة ٣٨

(٥) سورة الشمس ١ - ١٠

٣- وللفواصل القرآنية ميزة التنوع .

فقد تجي متحدة الحرف الأخير
كقوله تعالى : « ذرني ومن خلقت
وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبينين شهودا ،
ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ،
كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه
صُعُودا » ^(١) .

وقد تجي من حروف متقاربة المخارج ،
نحو قوله تعالى : « لا يسأم الإنسان من
دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيئوس
قنوط . ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لي ، وما أظن
الساعة قائمة ، ولئن رجعت إلى ربي إن
لي جنده للبحسنى ، فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا ، ولنذيقنهم من عذاب غليظ ،
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى
بجانبيه ، وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض » ^(٢)
فإن الطاء والظاء والضاد متقاربة
المخارج .

وكثيرا ما تجي مسبوقة وممدودة بحرف
من حروف اللين ، فتستريح النفس عنده ،

ويجد النفس الوقفة الملائمة ، وتحس
الأذن لذادة الوقع ، مع روعة المعنى وبراعة
الصورة وتميز التعبير .

فمن المسبوقة والممدودة بالالف قوله
تعالى : « إن للمتقين مفازا . حدائق
وأعنابا . وكواعب أترابا . وكأسا دهاقا .
لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا . جزاء من
ربك عطاء حسبا . رب السماوات والأرض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا .
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا . ذلك
اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا .
إنا أنذرناكم عذابا قريبا ، يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت
ترابا » ^(٣) .

ومن المسبوقة بالياء والممدودة بالالف
قوله تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل إلا
قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد
عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك
قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ
وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبحا طويلا .

(١) سورة المدثر ١١ - ١٧

(٢) سورة التبا ٣١ - ٤٠

(٣) سورة فصلت ٤٩ - ٥١

واذكر اسم ربك وتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا . رب
المشرق والمغرب لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا .
واصبر على ما يقولون واهجرهم هَجْرًا
جَمِيلًا ^(١) .

ومن المسبوقة بالواو والممدودة بالألف
قوله سبحانه : « واتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَمْلِكُونَ
لأنفسهم ضرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا . وقال الذين كفروا
إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ^(٢) » وقوله
تعالى : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون حجرا محجورا . وقدمنا
إِلَّا مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ^(٣) »
وقوله تعالى « قل أرأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من
الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم
كتابا فهم على بينة منه ، بل إن يعد
الظالمون بعضهم بعضا إِلَّا غُرُورًا . إن الله
يمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن
زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده لَإِنَّهُ كَانَ

حليًا غفورًا . وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءهم نذير ليكوننَّ أهدى من إجماع
الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إِلَّا نفورًا ^(٤) »
وكثيرا ما تتنوع الفاصلة فتجىء من هذا
كله .

على أنها تأتي في كثير من السور منتهية
بالنون أو بالميم ، فيتحقق بالمد وبالنون أو
الميم ترنيم وإيقاع منغم يضاف على الأسلوب
جمالاً فوق جماله ، كقوله تعالى « أفنجعل
المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون .
أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما
تَخَيَّرُونَ ؟ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم
القيامة إن لكم لما تحكمون ؟ سلهم أيهم
بذلك زعيم ؟ أم لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم إن كانوا صادقين . يوم يُكْشَفُ
عَنْ سَاقٍ وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ .
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلَّةٌ ، وَقَدْ كَانُوا
يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ . فَذَرْنِي
وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
مَتِينٌ ^(٥) » .

(٢) سورة الفرقان ٣ - ٤

(٤) سورة فاطر ٤٠ - ٤٢

(١) سورة المزمل ١ - ١٠

(٣) سورة الفرقان ٢٢ - ٢٣

(٥) سورة القلم ٣٥ - ٤٥

وإنه ليعجبني قول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي : « وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب .

ونراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرار .

فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك متابة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه به وأليق بموضعه .

على أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار ، ولا يكون إلا بحرف قوى يستتبع القلقلة أو الضمير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي . وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في

اللغة ، وأثرها طبيعي في كل نفس ، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه . ، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة ، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يُطعم فيه أوفى أكثره ، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ، ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز ، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خلافا بينا أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة ، وفي حس السمع وذوق اللسان ، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ، ولرايت لذلك هجنة في السمع ، كالذي تنكره من كل مرثي لم تقع أجزاءه على ترتيبها ، ولم تتفق على طبقاتها ، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا ، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة .

[للبحث تكملة]

أحمد الحوفي

نُقدمة لتعريب المصطلحات الفنية للاتصالات السلكية واللاسلكية

للمهندس صلاح عامر

الانتهاء من تعريب
المصطلحات الفنية للاتصالات
السلكية واللاسلكية



(Tolocommunication). خطوة كبيرة نحو تحقيق التعريب العلمى ، ونحو إثبات جدارة اللغة العربية وقدرتها ، بل وتفوقها فى التعبير العلمى السليم . فإن مصطلحات الاتصالات تضم أغلب مصطلحات علوم الإلكترونيات الحديثة وكذلك مصطلحات هندسة وطبيعة الكهرباء ، ولقد تم هذا العمل التاريخى بناء على تعاون عربى شامل ، فقد توفرت على المرحلة الأولى لتعريب هذه المصطلحات لجنة منسقة من البلاد العربية فى إطار اتحاد الاتصالات السلكية واللاسلكية للبلاد العربية وترجع هذه النشأة إلى أهمية توحيد المصطلح العربى فى دنيا الاتصالات البرقية أو التلغرافية (Tolography) أو فى دنيا الاتصالات الهاتفية (Tolophony) إذ أن شبكة هذه

الاتصالات تمتد بين العواصم العربية وتقتضى حركة الاتصالات تبادل البرقيات العربية على شبكات التلغراف ، وكذلك تبادل اصطلاحات العمل على دوائر الهاتف مما أوجد ضرورة ملحة تقتضى الاتفاق على هذه المصطلحات العربية التى تعتبر أحيانا وكأنها شفرة خاصة يودى تبادلها إلى القيام بعمليات فنية تحقق سرعة التوصيل (Connection) ونجاح الاتصالات فى حد ذاتها . ولهذا كان على الاتحاد أن يعمل على إيجاد عبارات عربية متفق عليها لتقابل أحيانا جملا إنجليزية أو فرنسية مما يدرج استخدامه فى التخاطب العادى ولكن قد تختلف الجملة أو العبارة العربية المقابلة ما لم يتفق عليها ، وكذلك تضمن ذلك الجهد التصدى لتعريب مصطلحات فنية أجنبية قد تأخر التعريب العربى الموحد لما مما أدى إلى وجود أكثر من مصطلح عربى يستخدم فى مختلف البلاد العربية أو حتى

في البلد العربي الواحد مما يعوق النشر العلمي ويشوش النقل العلمي والتعليم .

ولقد استن هذا الاتحاد العربي هذه السنة الحميدة والتي أحسب أن أغلب المنظمات العربية ستحدو حذوها وهي أن تبعث بمقترحات التعريب للمصطلحات الأجنبية التي تتوفر هذه المنظمات العربية على دراستها في تجمع عربي إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، حيث تتعرض لمراجعة اللجان الفنية بالمجمع ، فهي تعرض أولا على مجمع القاهرة ، ثم ثانيا على اتحاد المجامع العربية ، وبذلك تنتهي هذه الجهود إلى اتفاق منبثق من الدوائر الفنية ثم ينتهي إلى أعلى مستوى لغوي عربي . وحتى يحظى ذلك التعريب الموحد بعد ذلك بمسا يقتضيه ميلاد هذه المصطلحات الجديدة من نشرها بوسائط نشر المصطلحات الجديدة المختلفة وفي القواميس الفنية الجديدة .

وسأحاول في هذه المقدمة تحليل هذا الجهد الذي بذل في تعريب مصطلحات الاتصالات أو مصطلحات البرق والهاتف والراديو ، ومما يسترعى الانتباه أنه حتى هذه العناوين الأساسية لم يكن هنالك اتفاق بشأنها فكلمة البرق كانت تستخدم في بلاد عربية مثل سوريا بدلا من التلغراف في مصر . ولقد أقر الاصطلاحان (برق أو تلغراف) أما اصطلاح (الهاتف) فقد ألغى اصطلاح التليفون الذي درج على التداول في مصر وبعض البلاد العربية ، وكلمة هاتف عربية

الأصل تؤدي المعنى الفني والهندسي تأدية كاملة ولهذا فإن كلمة خط هاتفي :

(Telephone line) تحمل الآن محل خط تليفوني وكذلك (مركز هاتفي) بدلا مما اصطلاحنا على أن نقول عنه سنترال تليفون فكلتا الكلمتين أجنبيتان عن اللغة العربية تماما ولا داعي لإدخالهما في اللغة في حركة نموها الدائمة ما دامت توجد ألفاظ عربية سهلة دارجة أيضا - وكذلك فقد أقر إدخال كلمة راديو بصفة نهائية إذ أن كلمة لاسلكي لا تغني عن اصطلاح « راديو » الذي يعبر مثلا عن الإذاعة الصوتية أحيانا وستبقى كلمة لاسلكي تستخدم في مجالها الصحيح كما هو في تعريب كلمة (Telecommunications) فقد أقر الاصطلاح العربي اتصالات سلكية ولاسلكية لها . ونعود إلى ما تم من إفصاح مكان لكلمة راديو في اللغة العربية فقد أصبح لها الحق في أن تكون صفة فنقول راديوي كما في (Radio Transmission) فنقول لإرسال راديوي .

ولقد كانت هنالك مصطلحات أجنبية درج الفنيون العرب على استعمالها في التخاطب وفي الكتابة أمكن إيجاد مصطلحات عربية مناسبة لها مثل Jack وهو ثقب للتوصيل الكهربائي بين خطين تليفونيين مثلا ، فقد أقر له مصطلح عربي جميل وهو « مقبس » وكذلك كلمات Impedance وهي دلالة طبيعية ورياضية لخاصة من خصائص الدوائر الكهربائية فقد أقر المجمع كلمة

ومما هو جدير بالتنويه أن تقرير مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية منطوق على نشر في عربي تم إعداده بدقة بالغة ، وهو أنه في نفس الوقت الذي يعرب فيه المصطلح الفني يتم اعتماد تعريف علمي هندسي دقيق للمصطلح مما يعتبر في حد ذاته رصدا علميا دقيقا لمعاني هذه المصطلحات واكسابا للكلمة العربية معناها الجديد بدقة مما يجعل هذا التعبير صالحا تماما لنشره في القواميس الفنية الجديدة . وفيما يلي أمثلة لهذا الإنتاج العلمي الضخم الذي يقدمه مجمع القاهرة لأبناء اللغة العربية .

لاسلكي (راديو) Radio Radio
مصطلح عام يطلق على استعمال الموجات
المغناطيسية الكهربائية للاتصال بدون أسلاك.

اتصال سلكي ولاسلكي

Telecommunication

Télécommunication

تراسل أو بث أو استقبال بالوسائل
الكهربائية المغناطيسية سواء كانت سلكية
أو لاسلكية أو ضوئية ويشمل هذا التراسل
العلامات أو الإشارات المرئية أو المسموعة
وكذلك المكتوبات «المطبوعات» ، الصوت
والأصوات وما إلى ذلك .

التلغرافية (إبراقية)

Telegraphy Télégraphie

نظام للاتصالات السلكية واللاسلكية يتم
به إرسال المواد المكتوبة أو المطبوعة أو
المصورة باستعمال إشارات مصطلح عليها .

«مُعَاوَنَة» لها ولقد كان يستخدم قبل ذلك
اصطلاحات عربية كثيرة منها «ممانعة»
مما كان يحول دون تفهم موحد على النطاق
العربي وقد أقر استخدام «المفاعلة» لتعريب
مصطلح The Reactance وفي مجال
خصائص الدوائر الكهربائية فقد اعتمد
استخدام «توهن» بدلا من الاصطلاح
الأجنبي (Attenuation) وقد كانت
تستخدم فيما مضى كلمة «اضمحلال»
ولكن توهن أكثر دقة في التعبير .

وتحتوي المصطلحات الراديوية على
تعبيرات كانت تستخدم في مجالات أخرى
في اللغة العربية واعتمدها في قاموس مصطلحات
الراديو يدخلها في دنيا العلوم لأول مرة
ومنها :

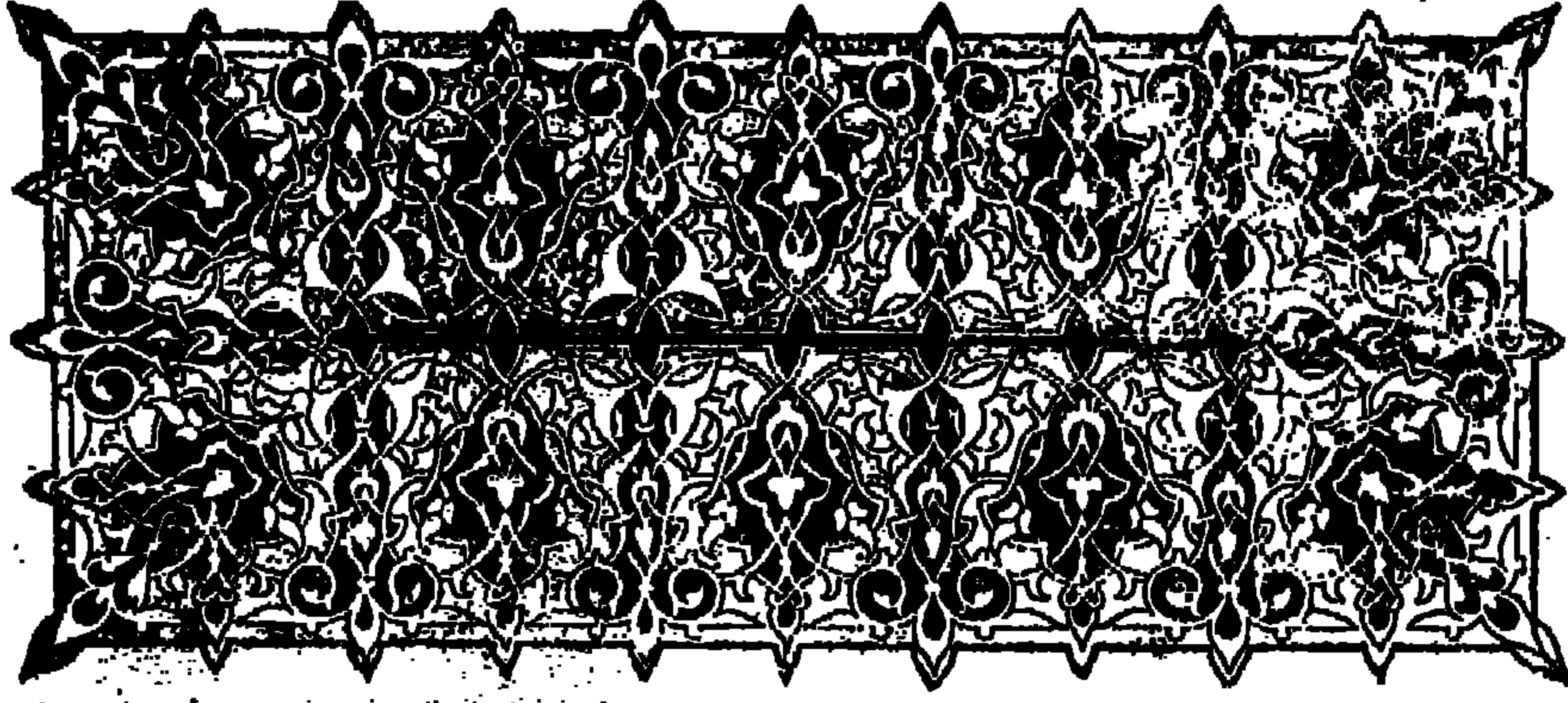
Match	يوأتم
Phase	طور
Modulation	تشكيل
Amplify	يضخم
Aerial	هوائي
Admittance	مساحة
Relay.	مرحل
Tuning	موالفة
Frying	نشيش
Exciter	باعث
Characteristic	خصائص
Breakdown	انهيار
Hum	ههمة

طائفة	مساحة
Click (Clic, Claquement)	Admittance Admittance
ضوضاء دائرية ، تحدث مثلاً عن تفريغ فجائى للمكثفات أو من جراء قطع الدائرة .	مقلوب المعاوقة أى ($\frac{1}{\text{المعاوقة}}$) .
مكثف	الجوائى
Condenser, Condensateur,	Aerial, Antenna Antenne, Aérien
أداة لتخزين الشحنات الكهربائية مكونة من موصلات على هيئة ألواح أو رقائق تفصلها عن بعضها عوازل كهربائية .	موصل أو مجموعة موصلات تستعمل مع أجهزة اللاسلكى فى إرسال الموجات اللاسلكية واستقبالها .
To Couple Coupler يقرن	مضخم التحكم الأوتوماتيكى فى الكسب
يضع دائرتين أو أكثر فى حالة تقارن .	Amplifier, Automatic Gain Control (AGC) Amplificateur, Regulateur Automatique de Niveau
تسميع (صوت غير مرغوب)	جهاز يستخدم لزيادة التحكم فى التضخم الإجمالى فى نظام ما بتأثير الإشارة الداخلية إليه بحيث يبقى منسوب الإشارة الخارجة ثابتاً .
Crosstalk Diaphonie	انتقال غير مرغوب للطاقة من دائرة تراسل إلى دائرة أخرى .
تشكيل	تشويه الاتساع
Modulation Modulation	Amplitude distortion Distorsion d'amplitude
عملية يتم بواسطتها تعديل خصائص معينة لموجة ما طبقاً لخاصية موجة أخرى أو إشارة .	تغير كسب المضخم بتغير اتساع الإشارة الداخلة (مع ثبات التردد) .
مرحل (كهربائى مغنطيس)	توهن (فى الحركة الموجبة)
Relay (Electro mag.) Relais (électro magnétique)	Attonuation, Affaiblissement
مرحل يشغل بمرور تيارات فى لفيفة واحدة أو أكثر من لفائف مغنطيس كهربى .	تناقص الطاقة الكهربائية نتيجة للامتصاص الذى يحدث عند انتقال الموجات فى الأسلاك والأوساط المختلفة .
Tuning الموائمة	

إن خطة التعريب للمصطلحات الهندسية
التي يضطلع بها مجمع اللغة العربية تسير
على التوازي مع احتياجات النشر العلمي
باللغة العربية والتي أصبحت تلمس الحاجة
إليها لنشر التعليم المهني والهندسي اكتساباً
للتقدم التكنولوجي المطاوب . ولقد ساعدت
هذه الحركة في إغناء الكلمات العربية بالمعاني
العلمية الجديدة حتى أصبحت اللغة العربية

لغة أساسية في منظمات دولية فنية مثل
منظمة البريد العالمية واليونسكو ، ولقد
أصبحت أيضاً لغة النشر العلمي سواء بالكتب
التي تتناول الموضوعات العلمية الجديدة
أو في الدوريات والمجلات الهندسية العربية .
والله الموفق وهو المستعان في إبراز فضائل
وخصائص لغة القرآن الكريم .

صلاح عامر



إلى غير ذلك من بقية الأمثلة الثمانية عشر ،
: باعتبار أنواع الضمائر مع التذكير والتأنيث ،
ومع الإفراد والتثنية والجمع .

والنقاد في هذا يذهبون إلى أن هاء التنبيه
تدخل على الضمير ، بشرط أن يكون مخبرا
عنه باسم الإشارة .

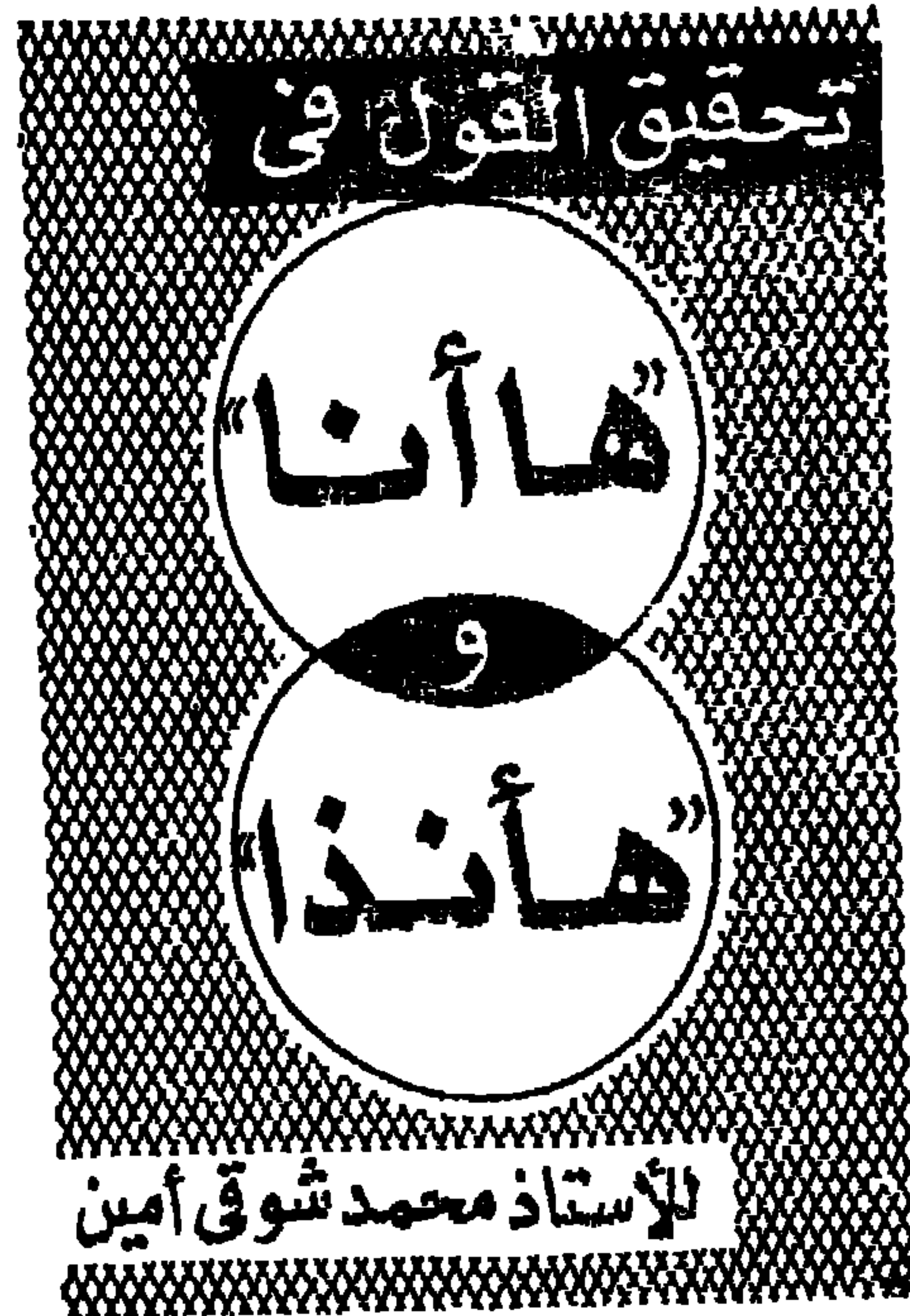
وما جرت به أقلام الكتاب المعاصرين
في هذا التعبير جرى مثله من قديم
وما اتبته إليه النقاد المعاصرون فيه سبقهم
إليه النقاد الأقدمون !

* * *

ونحن إذا استظهرنا ما قاله النحاة واللغويون
في هذا ، ألفينا جمهورهم ينصون على أن
الإخبار عن الضمير في مثل ذلك التعبير بغير
اسم الإشارة لا يكاد يقال ، أو أنه شاذ .

ولكننا إذا تفحصنا ما استعمله الفصحاء
في عصور العربية من مبتدئها إلى يوم الناس
هذا ، صادفتنا أمثلة تجرى على الوجه الذي
يتوجه عليه النقد ، وهي كثيرة كاثرة في الشعر
والنثر ، ومن بينها ما ينسب إلى العصر الجاهلي
وما تلاه .

ومن طريف هذه الأمثلة ما استعمله ناقد
لغوى هو الحريري ، ومؤلف معجمي ،
هو الفيروز آبادي ، وعالم نحوي ، هو ابن
هشام . وثلاثهم من الناعين عليه ، أو
القائلين بشذوذه !



أو : جواز الإخبار بغير اسم الإشارة
عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه

على أقلام الكائنين من
المعاصرين مثل قولهم :

ها أنا قائل ما أعتقد
وها هما يفعلان ما يشاءان
وها نحن نرى ذلك الرأي .

وقد نصب لهم نقاد اللغة من معاصريهم
ينعون عليهم هذا التعبير ، ويريدونهم على
أن يقولوا :

هأنذا

وها هما ذان

وها هم أولاء

واليك - أولا - طرفا من أقوال النحاة
واللغويين .

و ثانيا - أربعين من الشواهد مناصفة
بين الشعر والنثر .

و ثالثا - ما يهتدى إليه البحث والنظر من
الحكم بإجازة التعبير المنقود .

* * *

فأما « أولا » فقد جاء في مبحث حروف
التنبيه من « شرح المفصل » :

« المبهم من الأسماء ما افتقر إلى غيره في
البيان عن معناه ، فتقول : ها أنا ذا ، فهي
داخلة عند سيوييه على المضمير الذي هو أنا
لشبهه بالمبهم ، وعند الخليل أنه داخل على
المبهم تقديرا . والتقدير هذا أنا ، فأوقعوا
أنا بين التنبيه والمبهم ، وكذلك ها هوذا ،
فسيوييه يرى أن دخولها على المضمير كدخولها
على المبهم ، والخليل يعتقد دخولها على المبهم ،
وإنما قدموا التنبيه ، والتقدير هذا هو ،
ونحوه : ها أنت ذا ، وها هي ذه . . . »

وجاء في مبحث « ها » من مغنى اللبيب :

« تكون للتنبيه ، فتدخل على ضمير الرفع
المخبر عنه باسم الإشارة ، نحو ها أنتم أولاء ،
وقيل إنما كانت داخلة على الإشارة فقدمت ،
فرد بنحو : ها أنتم هؤلاء ، فأجيب بأنها
أعيدت توكيدا . . . »

وجاء في مبحث اسم الإشارة من شرح
« الأشموني » :

« يفصل بين ها التنبيه وبين اسم الإشارة
بضمير المشار إليه ، نحو : ها أنا ذا . . .
وبغيره قليلا . »

وفي تعليق الصبان « على هذا يقول :
« أفهم كلام الشارح منع إدخال ها التنبيه على
الضمير المنفصل الذي ليس خبره اسم الإشارة ،
وبه صرح الدماميني نقلا عن ابن هشام ،
فإنه قال في حاشيته على المغنى : وقع للمصنف
إدخال ها التنبيه على ضمير الرفع المنفصل ،
مع أن خبره ليس اسم إشارة كقوله في
ديباجة الكتاب : « وها أنا بائح بما أسررت » .
وقد صرح المصنف في حاشيته على التسهيل
بشدوذ ذلك ، مشيرا إلى أن قول صاحب
التسهيل : وأكثر استعمال ها مع ضمير رفع
منفصل أو اسم إشارة ، معترض بأن ظاهره
أن الإخبار عن الضمير المذكور باسم الإشارة
غير شرط ، وليس كذلك ، فإن تخلفه إنما
يقع شاذا . »

وجاء في « لسان العرب » في مبحث « ذا » :

« قال الفراء : العزب إذا جاءت إلى اسم
مكنى قد وصف بهذا فرقوا بين ها وذا ،
وجعلوا المكنى بينهما ، وذلك في جهة
التقريب لا في غيرها . يقولون : أين أنت ؟
فيقول القائل : هأنذا ، فلا يكادون يقولون :
ها أنا ، وكذلك التنبيه في الجمع . . . »

وجاء في مبحث « ها » من « لسان العرب » :

« وقالوا : ها أنت تفعل كذا ، وهأنت
مقصور . . . »

وجاء في « درة الغواص » للحريزي :

« ويقولون : هوذا يفعل ، وهو خطأ
فاحش : والصواب : ها هوذا يفعل ، وكأن
الأصل : هو هذا يفعل ، ففصل حرف
التنبيه من الإشارة : وصدر به الكلام :
وأقحم الضمير ، ويسمى هذا تقريبا » .

وجاء في « كشف الطرة » للألوسي :

« إذا اجتمع اسم الإشارة وغيره يجعل اسم
الإشارة مبتدأ ، وغيره خبره ، لأن العرب
اعتنت بمكان التنبيه والإشارة ، فقدمته ،
ولا يجوز أن يجعل خبرا إلا مع المضمير ،
فإن الأنصح فيه أن يقدم فيقال : ها أنا
ذا . . . » .

وعرض الأستاذ عبد الحميد حسن في
بحث المرونة في اللغة المقدم إلى مؤتمر « مجمع
اللغة العربية » في دورته التاسعة والعشرين
لقول الكتاب : ها نحن من غير اسم إشارة
وأن اللغويين يمنعون ذلك . وقال :

« إننا أوراينا أن استعمال كلمة « ها »
التي للتنبيه جائز في مواطن أخرى لأجزنا
هذا التعبير » .

* * *

وأما « ثانيا » ، فنجتزئ بأربعين من
النصوص الشعرية والنثرية .

وهذه عشرون من شواهد الشعر :

١ - قال « أبو كبير الهذلي » وهو شاعر
جاهلي أدرك الإسلام « كما في ديوان الهذليين

ومعجم ياقوت - الجزء السادس عشر -
الصفحة ١٤١) :

ولوعا : فشطت غربة دار زينب
فها أنا أبكي والفؤاد قريح

٢ - قالت « قتيلة » على عهد النبوة
(كما في رواية كتاب العمدة « لابن رشيق ،
ص ٣١) :

أحمد ها أنت نبجل نجبية
من قومها والفحل فحل معرق

٣ - وفي رسالة الغفران ص ٢٦ من
الطبعة الأولى يسوق « المعري » شاهدا على
تصيير الهمزة ألفا خالصة ، هو قول الشاعر :

يتماون مهلا ليس للشيخ عيل
فها أنا قد أعيلت وإن رقوب

٤ - ومن شعر العباس بن الأحنف :
وها أنا من بعدكم لم أزل
في دولة الأحزان والوجد

٥ - ولإبراهيم الصولي قوله (كما ورد
في معجم ياقوت ، جزئه الأول) :
وكننت أعدك للنائبات

فها أنا أطلب منك الأمانا

٦ - وللحسن بن وهب قوله (كما في
كتاب « الطرائف الأدبية » لراجكوتي) :
بما نحن وفيناك أربعة
والأربعون لديك منتظرة

٧- وللبحتري قوله ؛ :

ها هو الشيب لائما فأفئق

٨- وللمتنبى قوله :

فها أنا قد ضربت وما أحاكما

وقوله :

فها أنا في السماح له عذول

وقوله :

فها أنا في محفل من قرود

٩- ولأبي فراس الحمداني قوله :

وها أنا قد حلّى الزمان مفارقي

وتوجني بالشيب تاجا مرصعا

١٠- وللمعري قوله :

لإن قعدت عنه الحوادث حقبة

فها هي فيما لا شاء قيام

وله :

كأني حيث ينشا الدجن تحي

فها أنا لا أطل ولا أجاد

١١- ولأبي بكر الخوارزمي قوله :

بأمل مولدى وبنو جرير

فأخوالى ويحكى المرء خاله

فها أنا رافضى عن تراث

وغيرى رافضى عن كلاله

١٢- وللحريري قوله في المقامات :

وها أنا الآن على ما يرى

منى ومن حرفتى المكديّة

١٣- وفي ذيل الأملالى يروى :

فها أنا للعشاق يا عزز قائم

وبى تضرب الأمثال فى الشرق والغرب

١٤- ولعبد الله بن عبد الرحمن الدينورى :

(كما فى الجزء الرابع من القيمة ، ص

١٢٨) :

مضى الإخوان وانقرضوا .

فها أنا للردى غرض

١٥- ولأبى بكر محمد بن عبد الله القرطبي :

أيا قاسم والمسوى جنة

وها أنا من مسها لم أفق

١٦- ولأريق القروانى (كما فى معجم

ياقوت جزئه الأول ، ص ٢١٧) :

فها أنا تائب منها

فزرنى تبصر العجبا

١٧- ولابن نباته المصرى :

فها أنا فى الدنيا قتيل مصير

١٨- وللتعاويذى كما فى الجزء الثانى من

شرح ديوان ابن الرومى (٢٢ من التعليقات) :

وها أنا لاقبى يبراع لفائت

فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

١٩- وللبارودى :

فإن أكن عشت فردا بين آصرتى

فها أنا اليوم فرد بين أندادى

٧- وفي مروج الذهب للمسعودي ،
(الجزء الثاني ، صفحة ٢٦٦) :

« وها أنا يا أمير المؤمنين »

وفي صفحة ٣٣٧ ، على لسان المنصور :

« وها أنت ترجع : . : »

٨- وفي حديث من عهد المنصور (كما
في صفحة ١١٣ من كتاب «الوزراء والكتاب»
للجهشياري) :

« وها هو اليوم يقبل رأس كاتب »

٩- ومن رسالة أبي حيان التوحيدى .
في مثالب الوزيرين (كما في معجم ياقوت
الجزء الثاني ص ٢٩٧ من الطبعة الأولى) :

« فها أنا أصدق عن نفسي ، وأقول ما عندي »

١٠- وفي كلام للهمداني (كما في زهر
الآداب ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٠٧) :

« فها هي : . : »

١١- وفي تاريخ بغداد ، (الجزء ١٣ ،
صفحة ٢٤٨) :

« فقال : ها أنت حرة لوجه الله »

١٢- وفي القاموس المحيط للفيروزابادي
(الجزء الرابع ، صفحة ٢٥٢) :

« تقول : « وها هو عرض عين ، أى قريب »

٢٠- ولولى الدين يكن :

وكانت صبوة ونزجت عنها
فها أنا لا أدين ولا أدان

* * *

وتلك عشرون من شواهد النثر :

١- ينسب إلى خالد بن الوليد قوله
(كما في ص ١٦٥ من الجزء الأول من
عيون الأخبار)

« ثم ها أنا أموت على فراشي »

٢- ينسب إلى المستورد بن علفة الخارجي
قوله (كما في ص ١٤٨ من الجزء الثاني
من كامل المبرد) :

« وها أنتم تعلمون ما حدث »

٣- وفي رسالة من سفيان بن أبي العالية
إلى الحجاج ، (كما في ص ٢٢٥ من الجزء
السابع من تاريخ الطبري) :

« فها أنا بهسا . . . »

٤- وفي « كليلة ودمنة » لابن المقفع
(كما في ص ٢١٤ من طبعة مطبعة المعارف) :

« وها أنا قائم بين يديك »

٥- وفي كتاب أخبار القضاة لوكيع ،
(صفحة ٣٤٢ من الجزء الثاني) :

« ها هو الآن أقر . . . »

٦- وفي الكامل للمبرد ، (صفحة ٧١
من الجزء الأول من طبعة مصر) :

« قال : ها هي عندي . . . »

١٣ - وفي « ذيل طبقات الحنابلة » :

صفحة ١٣٤ : « وها هو قائم »

صفحة ١٣٦ : « ها هو ورأى »

صفحة ٢٣٣ : « وها أنا قد جاوزت التسعين »

١٤ - وفي مقدمة الحريري لكتابه « درة الغواص » :

« وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظما في كتاب » .

وفي مقامات الحريري ، جاء في المقامة الحلاوتية :
« وها أنا ... »

وفي مقامة الألباز النحوية :
« فها أنا ... »

وفي صفحة ٤٣٩ : « ها نحن قد تساعينا » .

وفي صفحة ٤٨١ : « ها هو من المبصرين »

وقد اطلعت على نسخة من المقامات خاصة بالمرحوم الشيخ حسين والي ، فألقيت على ورقة غلافية فيها أرقام صفحات ورد فيها مثل هذا التعبير .

وفي رسالة انتقاد « ابن الحشاش » للمقامات قال : « إن الحريري استعمل هذه الكلمة ، وقد نهى عنها في درة الغواص ، فلعله عرف خطأها بعد وضع المقامات ، أو شبيه بحاله هذا ما تم في كتب العلماء باللغة من النهي

عن استعمال ما . ثم يستعملونه في خطب كتبهم ، لغاية العادة ، هذا ابن قتيبة الخ » .

١٥ - وفي مقدمة القاموس المحيط للفيروزابادي ، قال : « ها أنا : . »
فانتقدها الشارح ، لأن صاحب القاموس اشترط أن يقال : هأنذا ، في مبحث ها .
وقد عاود الكلام في ذلك صاحب كتاب « الجاسوس على القاموس » في الصفحة ١٢٢ ونص ما في القاموس في فصل الهاء من الحروف اللينة . وهو :

« ها : تدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة ، نحو : ها أنتم أولاء » .

١٦ - وفي مقدمة « معاهد التنصيص » للعباسي :
« وها هو في ظل عزه ، ربحي البال ، متميز الحال » .

١٧ - وللزويري ، في نهاية الأرب ، (الجزء الخامس ، الصفحة ١٨٨) :

« وها نحن نذكرها ... »

١٨ - وللحجاج البلوي ، في معجم ألف باء (الجزء الأول ، الصفحة ١٠٤) :

« وها أنا أصنع بعمر ما صنعت يزيد »

١٩ - وللشهاب الخفاجي في شرح الدرة الصفحة الرابعة : « وها هو لديه مبتسم »
وفي صفحة ٦٨ : « وها أنا أبين لك ... »

٢٠ - والسيد محمود الألوسي في « كشف
الطيرة » ، الصفحة السادسة : « وها أنا ،
أقول . . »

* * *

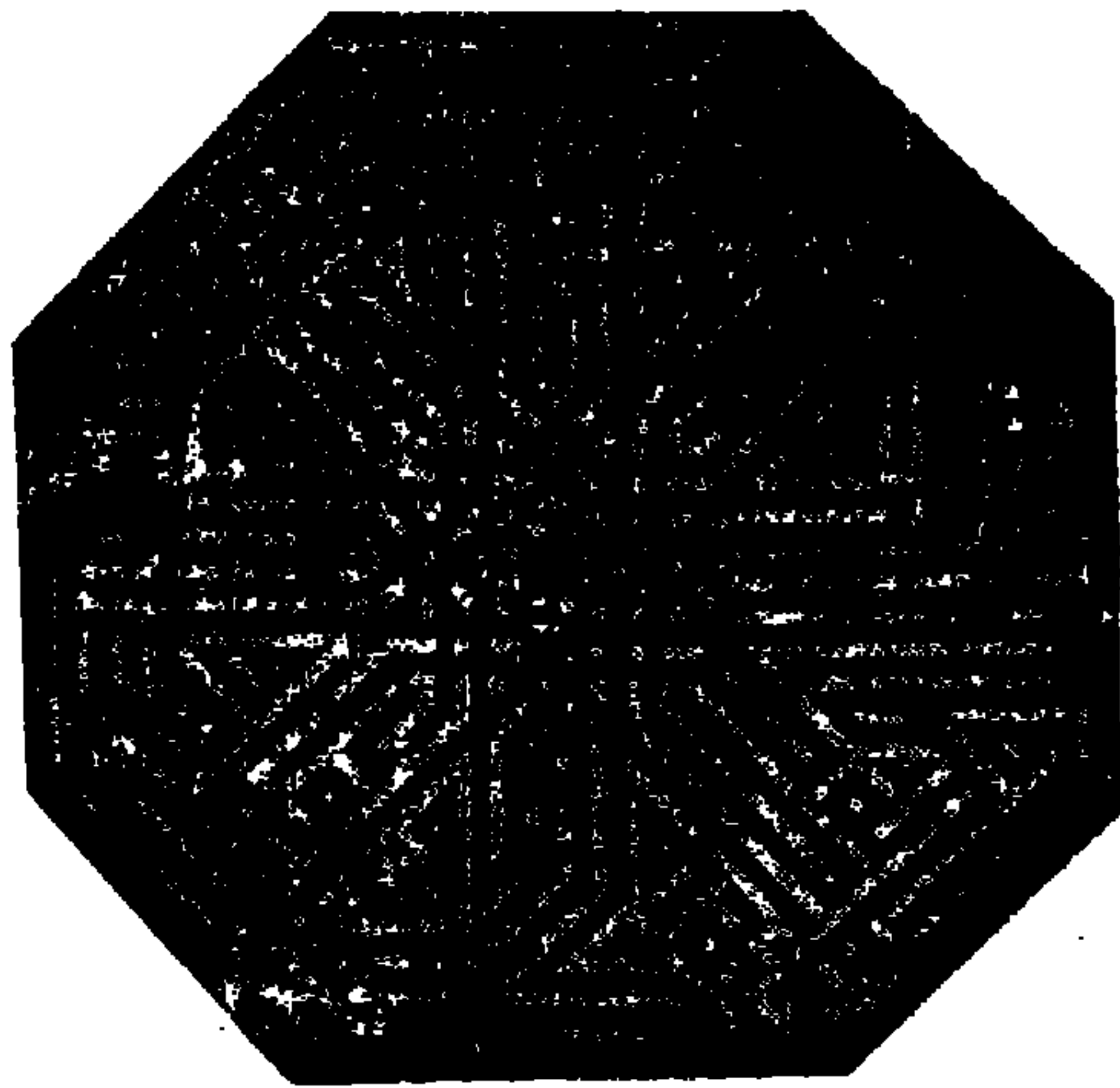
وأما « ثالثا » فيتبين مما تقدم أن الإخبار
عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه بغير اسم
الإشارة تعرض له النحاة واللغويون فقها
ودراية ، فن النحاة من قال بأن العرب
لا يكادون يقولون : ها أنا ، وذلك قول
« الفراء » ، ومنهم من قال بأن الأكثر
استعمال أداة التنبيه مع الضمير أو اسم الإشارة
وتلك مقولة صاحب التسهيل ، ومنهم من
قال بشذوذ : ها أنا ، وذلك هو « ابن
هشام » . ومن اللغويين من أثبت أنهم

قالوا : ها أنت تفعل كذا ، كما نقله
صاحب « اللسان » .

ولكن إجازة هذا الاستعمال تستند - سماعا
ورواية - إلى ما التقطناه من الأبيات الشعرية
والفقرات النثرية ، وهي نصوص تشهد
بأن الإخبار عن الضمير المسبوق بأداة التنبيه
بغير اسم الإشارة جرى في العصور الأولى
والعصور التوالى على ألسنة الفصحاء من فقهاء
اللغة ، وأعيان الشعراء ، وخاصة الأدباء ، على
السواء .

ورعيا لهذا لاسيلا على كاتب أن يكتب :
ها أنا ، وها أنت ، وها هو ، وما يناظر
ذلك من سائر أمثلة الضمائر :

محمد شوقي أمين



كان + الماضي بدون - قد - .. هذه هي مشار البحث

للدكتور حسن عون

ميادين الدرس اللغوى :

لكى يكون الدرس اللغوى مفيدا فى أية لغة ينبغى أن يتناول ثلاثة ميادين مختلفة ، ولكنها تلتقى فى النهاية جميعا لخدمة هدف واحد : هو تعلم اللغة ، والإلمام بها أوبجانب كبير منها ، واستخدامها كأداة طيبة لشرح الأفكار والآراء والعواطف بالطرق السليمة المألوفة فى اللغة ، دون نبو ولا نشاز حتى فيما يجذ على اللغة أو على المجتمع اللغوى من أمور وأفكار وصور لم يكن للغة عهد بها من قبل .

يتناول الدرس اللغوى هذه الميادين الثلاثة بترتيب خاص لكيلا تضطرب النتائج المرجوة منه ، ولكيلا يكون حظ الدارس منها كحظ من يدخل حلبة السباق من غير خطة مدروسة ولا طريق مرسوم فتضيع عليه

ثمرة مجهوده ولا يجنى من وراء ذلك سوى الحيرة والبلبلة والإخفاق .

الميدان الأول : هو درس الأساليب التعبيرية أى الطرق المألوفة فى الأداء اللغوى ؛ فإذا كان المتكلم مخبرا لجأ إلى الأساليب الإخبارية ، وإذا كان مستفهما لجأ إلى الأساليب الاستفهامية ؛ وإذا كان راجيا أو متمنيا أو آمرا لجأ إلى أساليب الرجاء أو التمنى أو الطلب ؛ إذ لكل واحد من هؤلاء الأساليب طرقه الخاصة ومقاييسه المرسومة التى تؤدى الفكرة بدقة كما يريد المتكلم أو الكاتب ، وكما ينتظرها السامع أو القارئ وكما ألفتها اللغة نفسها .

والملاحظ هنا أن مهمة الدارس مهمة تقليدية بحتة ؛ فهو لا يتصرف بتغيير

أو تعديل ولا بابتكار أو إبداع ؛ ولكنه يرصد ويختزن ويحاكي ما يراه ويقرأه من أساليب تعبيرية مختلفة باختلاف المعاني والأغراض .

الميدان الثاني : هو درس نظم هذه الطرق أو الأساليب ، كما تمثلها وأصبح في مقدوره محاكاتها ، بما في ذلك أدوات الربط بين أجزاء الجملة والصلات الشكلية والمعنوية بين تلك الأجزاء . تكفل بهذا الدرس ما هو معروف لدينا بعلم النحو ، من حيث تمييز كل جزء من أجزاء التركيب اللغوي بشكل خاص يخضع لنوع الوظيفة التي يؤديها هذا الجزء أو ذاك من الجملة . ولسنا في حل هنا من الخوض في تفصيل محتويات الدرس النحوي وما أداه من خدمات للدرس اللغوي ، أو ما تطرق إليه من تعثر وانحراف جعلاه يتجنب الصواب أحيانا ويضيف إلى القواعد النحوية ما ليس منها أحيانا أخرى .

الميدان الثالث : هو درس الأساليب البيانية ، الذي ربما اعتبره بعض الدارسين نوعا من الترف اللغوي ؛ لكننا لا نفهم ذلك ولا نتصوره ؛ فدور الكلمة أو التركيب

اللغوي لا ينبغي أن يتمحور على مهمة شرح الفكرة وإيصالها إلى السامع ؛ وإنما ينبغي أن يتناول بجانب ذلك تأثير هذه الكلمة أو ذلك التركيب على نفس السامع وحسه وعقله بحيث تستطيع الفكرة المشروحة أن تجد من السامع سندا مؤمنا بها وداعيا لها ومدافعا عنها ؛ ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الصور البيانية والقوالب البلاغية والكلمات الموحية والسبك الجيد والاستهلال البارع والجودة في الاختيار والمفاضلة في مجال الأناقة والنبيل بين المفردات والتعابير وطرق الأداء ؛ ولولا ذلك لغدت اللغة مجرد وسيلة لمجرد التفاهم بين الأفراد ؛ وهي غاية لا تستحق ما يبذل من جهد ومعاناة في الدرس اللغوي .

لقد تكفل بهذا الدرس ما هو معروف لدينا بعلوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع خدمت هذه العلوم كثيرا في اللغات التي قدر لها أن تكون لغات ثقافة وحضارة كال يونانية واللاتينية ؛ ولم تقصر العربية في هذا المجال ، بل سائرت زميلاتها في الفطرة إلى أهمية الأساليب البيانية في العمل على تأسيس علوم البلاغة وتطويرها ، بل ربما تكون العربية متفوقة عليهما في ذلك سعيا وراء إظهار ما في القرآن من إعجاز

بلاعى ؛ ومما يذكر لها أنها قطعت فى هذا المجال شوطا لا يعجارى . وهنا نقول أيضا إننا لسنا فى حل من الخوض فى تفصيل محتويات درس الأساليب البيانية والحديث عن المكانة العظيمة التى بلغها بين الدراسات اللغوية الأخرى .

أهم هذه الميادين هو الميدان الأول – الأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية التى تكاد تكون مفصلة على قدر المعانى . ويعتبر هذا الميدان بمثابة الدرجة الأولى من سلم تعليم اللغة ؛ كما يعتبر الميدان الثانى بمثابة الدرجة الثانية ، والثالث بمثابة الدرجة الثالثة ؛ وليس من المعقول أن يقفز الدارس إلى الدرجة الثانية مهملا الدرجة الأولى دون أن يتعرض فى سيره إلى بعض المزالق والمخاطر .

لقد كان هذا هو منهج القدماء – أصحاب اللغات الحضارية – فى تعليم اللغة : يبدأون بالأساليب التعبيرية ، ثم بقواعد النظم ، ثم بالأساليب البيانية لا يختلفون إلا فى التفاصيل .

كان الإغريق يتخيرون للدرس اللغوى فى مرحلته الأولى بعض النصوص من شعر

هوميروس فى الإلياذة والأوديسة أو من خطب ديموستين أو من مسرحيات هذا أو ذاك من كبار المؤلفين فى المسرح ، أمثال سوفوكل ، أوربيد ، أريستوفان .

وكان اللاتينيون يتخيرون بعض النصوص من شعر فيرجيل فى الإنيادة أو من دفاعات وخطب سيسيرون أو من الخطب السياسية لكبار الساسة أمثال قيصر وأنطونيو وبومبي وأوكتاف . وكان الجميع من إغريق ولا تينيين يؤمنون بسلامة الصعود على درج هذا السلم التعليمى بذلك النظام : الأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية المعبرة بدقة عن الأفكار والمعانى ؛ ثم النظام المتبع فى هذه الأساليب أو القوالب مع الاهتمام بوظائف الكلمات وأدوات الربط ، ثم الأساليب البيانية التى تأخذ فى اعتبارها الأمور المتصلة بالحس والوجدان والمشاعر فتعززها وتشيرها وتسخرها لما يراد منها ؛ وقد يصل التأثير إلى درجة الافتتان فيقف السامع أمام التعبير البيانى مشدوها ، قد ذابت شخصيته فى بوتقة هذا البيان الساحر فلا يملك إلا أن يذعن ويستسلم وينقاد إلى حيث يراد منه وينفذ طواعية ما يطلب إليه .

على هذا النمط من السلم التعليمي سار أئمة اللغة لدى العرب ؛ وأول كتاب في اللغة والنحو عندهم يصور هذا المنهج التعليمي في اللغة ؛ وهو كتاب سيبويه ، الذي يسلك مسلك الإغريق واللاتينيين ولا يختلف عنهم إلا في بعض الظواهر الضرورية بالنسبة للبيئة والمجتمع .

غير أننا - لسوء الحظ - لم نعن بهذا الكتاب العناية اللازمة ، ولم نقف أمام نصوصه ومنهجه الوقفة المتأنية ، ولم نوجه إليه النظرة الشاملة ، ولم نتعمقه ونفحصه ونحلله التحليل الواعي العميق . درسه القدماء من وجهة نظرهم ووفقا لمقتضيات ظروفهم الاجتماعية والثقافية ؛ ودرسه المحدثون في ضوء ما قيل عنه وعن محتوياته . وهذا - فيما نعتقد - تقصير لا مبرر له ؛ ومن أجل ذلك جاءت الأحكام عن هذا الكتاب سطحية باهتة فجة .

تعرض سيبويه للدرجة الأولى والثانية من سلم التعليم اللغوي بشكل واضح ومفصل ؛ وأشار بطرق مختلفة ، من حيث الوضوح والغموض ، إلى الدرجة الثالثة . فهو حين يعرض لظاهرة لغوية أو لقاعدة نحوية يقدم

لها مجموعة كبيرة من النصوص اللغوية ، بعضها مأخوذ من كلام العرب شعرا ونثرا ، وبعضها مأخوذ من الآيات القرآنية ، وبعضها مصطنع أو تقليد للقوالب اللغوية المألوفة المأثورة ؛ والقارى الواعي لهذه النصوص يحس أن سيبويه يريد أن يلتقي في روعة أن فكرة كذا يعبر عنها بكذا .

ثم من خلال هذه النصوص يلحظ سيبويه ما يوجد بين أجزاءها من صلات وروابط ووظائف تدل عليها الأنظمة التركيبية والأدوات اللغوية والأشكال الإعرابية ؛ وهذا يمهد إلى استنتاج الظاهرة اللغوية وصياغة القاعدة النحوية .

سار الدرس اللغوي - أثناء حياته الطويلة بين الدارسين العرب ولأسباب لا مجال لتفصيلها هنا - في متاهات مترامية ؛ فلم يسر على هدى من سيبويه ؛ وأصبح النحو وظواهره مجموعة من القواعد التجريدية ، وانفصل عن النص اللغوي كما تنفصل الروح عن الجسد ؛ وبذلك آل أمر الدرس اللغوي إلى حالة أهملنا فيها إلى درجة كبيرة العناية بالأساليب التعبيرية أو القوالب اللغوية، وأصبحنا نتخبط في

ما أن التعبيرات العربية : أيها صحيح ؟
وأيها غير صحيح ؟ أيها ورد عن العرب ؟
وأيها لم يرد عنهم ؟

وهنا بيت القصيد بالنسبة لهذا البحث :
كان + الماضي ؛ ألا بد من - قد - أمام
الماضي أم يسوغ التعبير بدون - قد - ؟

لقد ثار في هذه الأيام جدل طويل حول
هذا التركيب اللغوي ؛ واستقر رأى عدد
غير قليل من اللغويين على أن التركيب -
كان قد فعل - هو الصحيح ، وأن - كان
فعل - لم يرد عن العرب .

هذا الموقف شد انتباهنا بقوة إلى ملاحظة
التركيب اللغوية المتصلة به فأخذنا نعى
به ونتمثله دائماً في قراءاتنا المتنوعة ؛ وحرصنا
على أن نسجل ما نراه منه في الكتب والمراجع
المختلفة لكي يكون الحكم على هذا التركيب
واضحاً لا غدوض فيه .

لا نريد أن نتعجل النتيجة قبل عرض
النصوص : ونكتفي الآن بالقول فقط إنها
جاءت مدهشة وعلى غير ما كان ينتظر
أولئك الذين يزعمون أن التركيب - كان
+ الماضي بدون « قد » - غير وارد في
اللغة .

موقف القرآن من هذا التركيب -
كان + الماضي بدون « قد » - الذي
لا يتصور المعارضون وجوده في اللغة : ورد
هذا التركيب في الآيات القرآنية بصور
مختلفة ؛ فمرة يجرى الفعل - كان -
متلوّاً بالماضي دون أن يكون بينهما فاصل
مثل :

وإن كان كبر عليك إعراضهم (الأزمام
٣٥) .

وإن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
بآيات الله (يونس ٧١) .

تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر
(القمر ١٤) .

ومرة يجرى نفس التركيب مع وجود
فاصل بين الفعلين بالضمير أو بغيره مثل :
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى
أرسلت به (الأعراف ٨٧) .

إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين (يوسف ٢٦) .

وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين (يوسف ٢٧) .

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها
(يونس ٩٨) .

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الأدبار (الأحزاب ١٥) .

ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن
كنت قلته فقد علمته (المائدة ١١٦) .

قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن
كنت من الصادقين (الأعراف ١٠٦) .

. . . ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا
على عبدنا (الأنفال ٤١) .

وقال موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا (يونس ٨٤) .

إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء
مرضاة ربكم إليهم بالمودة (المستحذنة
(١) .

ومرة يجي فعل الكينونة بضميعة المضارع
لفظاً والماضى معنى، ثم يجي الماضى للفعل
الآخر بدون - قد - سواء أكان فعل
الكينونة متصلاً بضمير بارز أم غير متصل
مثل :

يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل

(الأنعام ١٥٨) .

من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن
لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
(النساء ٢٣) .

أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم
من زوال (إبراهيم ٤٤) .

موقف اللعويين من نفس التركيب :

يقول سيبويه في كتابه : وإذا قلت :
كان رجل ذاهباً فليس في هذا شيء تعلمه
كان جهله (ج ١ ص ٢٦)

وفي كتاب فتوح البلدان للبلاذرى
يوجد هذا النص : وكان أصابه سهم
بعين التمر فاستشهد (ص ٢٥٧)

وفي كتاب طبقات النحويين واللعويين
للأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى توجد
هذه النصوص :

ص ١٠٢ : وروى عن أبى عثمان
الخزاعى أنه كان قال لأبى حاتم . . .
ص ١٠٤ : حدثنا أبو زيد عن شعبة :
قال : كان سهاك بن حرب يقول ... وكان
أبو حاتم رأى أنه واجد عليه . . .

ص ١٠٥ : فإنه حين احتل إلى «سُر»
من رأى «و» وكان احتل لقضاء البصرة .

ص ١١٠ : . . . وأخرجت (الحديث للمبرد) فلم أصل إلى الموضع الذى كنت أنزلته . . .

ص ١٢٢ : حدثني بعض أصحابنا أن الزجاج النحوى قال : لازمت خدمة عبيد الله بن سليمان الوزير ملازمة قطعتى عن أبي العباس المبرد وعن . . . وعن إجماعى عليه ما كان تعود منه . . .

ص ١٣٥ : وكان (أبو جعفر الرواسى) أستاذ أهل الكوفة فى النحو، وكان أخذ عن عيسى بن عمر . . .

ص ١٣٦ : وكان أبو مسلم جلس إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوى .

ص ١٣٩ : . . . وكان حمزة أخذ أكثر من ثلاثين آية . . .

ص ١٥٠ : وكان أحمد بن يحيى سمعه (معانى القرآن للفراء) من سلمة ابن عاصم عن الفراء

ص ١٦٠ : . . . وكان محمد ابن عيسى وصفه له . . .

ص ١٦٧ : . . . وكان خلف أحدا وعشرين ألف درهم وألف دينار ..

ص ١٧١ : كان (ابن كيسان) كوفيا يحفظ القولين ويعرف المذهبين وكان أخذ عن ثعلب والمبرد

ص ١٧٩ : . . . وكان خلف (الأحمر) شاعرا، وكان وضع على عبد العيس شعرا مصنوعا .

ص ٢٥٠ : . . . فلما دخلت المشروحات نظر طلبة العربية والنحو فيها، وفيما كانوا رووا عنه منها . وفى نفس ص ٢٥٠ : . . . وكان لى جماعة من العلماء بالعربية والمعروفين بالرواية .

ص ٢٦٠ : كان (على بن الحضرمى) نحويا شاعرا أديبا ، وكان ربما علم .

ص ٢٦٤ : . . . وكان اتهم (الطلّاء المنجم بعمل الدنانير والدراهم . . .)

ويقول ابن جنى فى مقدمة كتابه - الخصائص - : على أن أبا الحسن (الأخفش) قد كان صنف فى شيء من المقاييس كتيباً . . .

وفى الخصائص أيضا ج ١ . ص ٢٤ : وقد كان أبو العباس احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائى . . .

ويقول الجاحظ في كتابه - الحيوان -
ج ٤ . ص ٥٦ : كنتُ بعجتُ بطن
عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر
من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو
أرزة .

ويقول كذلك في نفس الكتاب ج ٥ .
ص ٢ : وقد كان حرُّ النار هيجَ تلك
الحرارة .

وفي شرح المعلقات السبع للزوزنى توجد
هذه النصوص :

ص ١١ : يا فاطمة دعي بعض دلالك
وإن كنت وطئت نفسك على فراقى
فأجمل

١٦ : فلما كان كذا وكذا تنعمت
وتنعت بها . . .

ص ٤٢ : وكان طرفة هجا قبل ذلك
عمرو بن هند . . .

ص ٤٣ : . . . فقال طرفة لئن كان
اجترأ عليك ما كان بالذى يجترئ على ..
ص ٤٣ كذلك : . . ويسقونه الخمر
حتى قتل وقد كان قال في ذلك قصيدته ...

موقف الشعر من هذا التركيب :

هناك بيت من الشعر مشهور في كتب
النحو لا يكاد يخفى على من له فضل اطلاع

على المؤلفات النحوية ، ويذكر شاهدا على
تقدم معمول خبر كان :

قنافذ هداجون حول بيوتهم
بما كان إياهم عطية عودا
ويروى أبو زيد في كتابه النوادر
- ص ٣٦ - :

وقد كان مات الأقرعان كلاهما .

ويذكر البحتري في قصيدة مدح بها
المتوكل :

يا بائى المجد الذى

قد كان قوض فانهدم

في ضوء هذه النصوص المتقدمة من
القرآن ومن النثر ومن الشعر يمكن أن
نستنتج :

أولا - أن التركيب - كان فعل -
سائع في اللغة وموجود بكثرة في نصوصها
على ألسنة أئمة بارزين في الميدان اللغوى
ومتقدمين في العصور التاريخية ؛ وقد
ورد هذا التركيب في صور مختلفة - كما
أشرنا إلى ذلك منذ قليل - ولكنها جميعا
تندرج تحت مبدأ واحد ؛ هو جواز التعبير
بالماضى بعد - كان - دون أن يسبق هذا الماضى
بالحرف - قد - .

ثانياً - أن التركيب - كان قد فعل -
لم نجده مرة واحدة فيما اطلعنا عليه - وهو
كثير - بأية صورة من الصور المختلفة
كما عرضناها في التركيب السابق .

أما القرآن فنستطيع أن نؤكد أنه لم
يستعمل هذا التركيب أبداً ؛ وذلك بعد
الإحصائية الدقيقة التي قمنا بها في آياته
وراجعناها أكثر من مرة ؛ صحيح ورد
الماضي مقروناً بـ - قد - مرة واحدة في
القرآن بعد فعل الكينونة ؛ غير أن فعل
الكينونة في هذه المرة جاء بصيغة المضارع
لا بصيغة الماضي ؛ وذلك في الآية : وأن
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (الأعراف
١٨٥)

ولقد كان هذا في الواقع موضوع دهشة
من جانبنا وفتح أمامنا آفاقاً واسعة للتفكير
في الأساليب اللغوية التي حرص القرآن
على استعمالها ، والأساليب اللغوية الأخرى
التي تحاشاها في استعمالاته .

وأما النصوص اللغوية الأخرى - شعرا
ونثرا - فلا نستطيع أن نؤكد عدم
احتوائها جميعاً على هذا التركيب - كان
قد فعل - رغم عدم رؤيته مرة واحدة

فيما اطلعنا عليه منها ؛ وذلك لأننا لم نحاول
عمل إحصائية كاملة على نمط ما صنعناه
في آيات القرآن الكريم ؛ فذلك يحتاج
إلى وقت طويل ، ومجهود كبير من كثيرين
ومع ذلك فالقيام بمثل هذا يكاد يكون
واحداً من المستحيلات .

وهذا يفتح الباب أمام سؤالين :

أحدهما : كيف غاب هذا الوضع
عن أولئك الذين يزعمون أنه لا يمكن أن^{٣٣}
يجيء الماضي بدون - قد - بعد الفعل^{٣٤}
- كان - ؟ .

والثاني : كيف يتحاشى القرآن هذا
التركيب اللغوي مع ما يبدو عليه من أنه
مستساغ مقبول من الناحية العقلية والدوقية
ومن ناحية المنطق اللغوي ؟

يمكن أن يجاب عن السؤال الأول بأن
أولئك الذين يلزمون اقتران الماضي بـ
- قد - بعد - كان - متأثرون بصيغة
أو بتركيب لغوي شاع فيها ، بيننا وكثر
تداوله في اللغة الحديثة ؛ ولكنه نُقل إلينا
من النصوص الأجنبية التي كثرت ترجمتها
إلى اللغة العربية ؛ ولعل مصدر النقل
الأول هو اللغة الفرنسية ؛ وصيغته في

الفرنسية هي - passé antérieur - ؛

وهي إحدى صيغ الماضي التي تشرح حدوث أمر ما قبل حدوث أمر آخر في الماضي أيضا دون أن يكون بين الأمرين مهلة في الزمن مثل : غادرت المنزل أمس بعد أن كنت قد أكلت .

ويبدو أننا في ترجمتنا لهذه الصيغة

الزمنية الفرنسية بذلك التركيب اللغوي العربي - كان قد فعل - لم نراع الدقة التامة من حيث وجود حدثين مرتبطين في الماضي، أحدهما وقع بعد الثاني مباشرة دون أن يكون بينهما فاصل زمني كبير ؛ ولكننا اصطالحنا على أن ننقل هذه الصيغة الفرنسية بهذا التركيب اللغوي العربي ، لنفرق بينه وبين تركيب لغوي آخر هو - كان فعل - الذي اصطالحنا على أن ننقل به إلى العربية صيغة زمنية فرنسية أخرى هي plus-que

parfait ، ورغم ذلك فقد كثر استعمال هذه الصيغة - كان قد فعل - واستغناها لدرجة كبيرة وأصبحنا نرى فيها نموذجا من الصيغ العربية المألوفة دون أن نحى بأصلها ولا بتاريخ استعمالها ، ودون أن نهم بمراجعة الأساليب التعبيرية القديمة في لغتنا حتى نستطيع التمييز بين ما كان مستعملا قديما وما استحدثنا استعماله

في العصر الحديث نتيجة الاحتكاك اللغوي والاختلاط الثقافي .

هذه الظروف - في نظرنا - هي التي أملت على هذا الفريق من اللغويين المعاصرين أن يفرضوا تلازما بين - قد - والفعل الماضي بعد - كان - ظنا منهم ، لشيوعه وكثرة دورانه ، أنه هو الاستعمال الصحيح المستساغ ، وأن غيره محكوم عليه بالفساد . إننا نوافقهم في الشق الأول لأن من حق اللغة ، بل من واجبها - لضمان حيويتها وتطورها واستمرارها - أن تتبنى صيغا جديدة وتراكيب جديدة ما دام ذلك يخضع للمنطق اللغوي وللقوانين العامة فيها ؛ ولكننا نخالفهم بالنسبة للشق الثاني ؛ إذ الحكم بالمنع أو عدم الصحة يحتاج إلى درس أعمق وتحليل أدق وليس من السهل إصداره .

وأما السؤال الثاني فليس من الميسور أن يجاب عنه الآن ؛ إذ أنه يتصل بفلسفة اللغة ومنطقها في خلق صيغ زمنية تؤدي ما يطلب منها .

وذلك موضوع لبحث آخر .

حسن عون

أسس وقواعد الكتابة السهلة الممتعة

دراسة لغوية نفسية إحصائية

للدكتور فؤاد البهى السيد

مقدمة :

على قدرة الكاتب فى تبسيطه للمادة المكتوبة وهو يعرضها فى أسلوب شيق ممتع : هذه البساطة هى التى تجذب أنظار الناس لكاتب معين ، يقرأون له ، ويتحدثون عنه ، ولن تقوم الصلة الوثيقة بين الكاتب وقرائه إلا عندما يلزم الكاتب المستوى القرائى الذى يكتب له ، وإلا عندما يصل ببساطة لغته وبراعة أسلوبه ، إلى عقول القراء .

وقد اهتم العلماء منذ سنين مضت وما زالوا يهتمون ببحث العوامل التى تؤثر فى مستوى سهولة الكتابة أو صعوبتها فى اللغات المختلفة وانتهت بهم نتائج تلك الأبحاث إلى تحديد أهم العوامل المشتركة فى : الكلمة ، والجملة ، والفقرة ، والفكرة ، والأسلوب والموضوع ، والصور ، والرسوم التوضيحية وطريقة الطباعة .

يختلف مستوى الكتابة تبعاً لاختلاف مستوى الكاتب والقارئ ، والموضوع . فالكتابة العلمية تعتمد فى قوتها على الإيجاز ، والتحديد ، والدقة البالغة ، وذلك لأن الموضوعات العلمية هى فى جوهرها تسجيل للظاهرة وتفسير لها . فكانها وقارئها يلتقيان فكرياً فى مجال معين تحدده مصطلحات متفق عليها وأسايب خاصة فى التفكير . وهكذا نرى أن الصلة بين الكاتب والقارئ فى هذه الحالة صلة وثيقة . فالكاتب عالم ، والقارئ أيضاً - فى الأغلب والأعم - أحد المشتغلين بالعلم .

لكن الكتابة السهلة التى تخاطب آلاف الناس ، الكتابة التى تقرأها الجماهير تعتمد

هذا وسنلخص فيما يلي المظاهر الرئيسية لكل عامل من تلك العوامل .

أولا - الكلمات

تأثر سهولة المواد القرائية تأثيرا مباشرا بمدى سهولة الكلمات التي تشتمل عليها .

وتقاس سهولة الكلمة بموازين مختلفة نلخصها فيما يلي :

١ - مدى شيوع الكلمة في المواد القرائية
إذا تكررت كلمة (رجل) ٥٠٠ مرة في إحدى المواد القرائية ، وتكررت كلمة (زميل) ١٠٠ مرة ، عدت كلمة رجل أسهل من كلمة زميل .

هذا وقد اهتم الباحثون بهذا التكرار لأهميته في تحديد مستوى سهولة الكلمات .
وأدى هذا الاهتمام إلى ظهور قوائم الكلمات الشائعة التي ترصد وتسجل عدد مرات تكرار الكلمات في المواد القرائية ، ومن أهم هذه القوائم في اللغة العربية قائمة «بريل» التي ظهرت سنة ١٩٤٠ ، وقائمة «لطفى» سنة ١٩٤٨ ، وقائمة «عاقل» سنة ١٩٥٣ ، وقائمة «خاطر» سنة ١٩٥٨ ، وقائمة «لبي» التي ظهرت بالمغرب العربي سنة ١٩٦١ ، والكلمات الأساسية للبي التي ظهرت بالمغرب العربي ١٩٦٢

وتصلح قوائم الكلمات الشائعة والأساسية لحساب النسبة المئوية للكلمات الصعبة في أي مادة قرائية ، وذلك عن طريق عد الكلمات

غير الشائعة ، أي غير الموجودة بالقائمة وقسمة الناتج على المجموع الكلي لكلمات القطعة ثم ضرب الناتج في ١٠٠ وبذلك نحدد مستوى سهولة أو صعوبة أي مادة قرائية أي أن .

$$\text{النسبة المئوية للكلمات الصعبة} = \frac{\text{الكلمات غير الشائعة}}{\text{مجموع الكلمات}} \times 100$$

ونستطيع ترتيب كلمات المواد القرائية بالنسبة لسهولة أو صعوبتها بحيث يساير هذا الترتيب المستويات القرائية .

وهكذا يحدد الكلمات الشائعة السهولة ، ويحدد الكلمات غير الشائعة الصعوبة ويحدد النسبة القائمة بين الكلمات الشائعة وغير الشائعة المستويات المتدرجة للسهولة والصعوبة

٢ - الكلمات القصيرة أسهل من الكلمات الطويلة : تدل أغلب الأبحاث العلمية على أن صعوبة الكلمة تزداد تبعا لزيادة عدد حروفها وبذلك تصبح الكلمة القصيرة أسهل من الكلمة الطويلة . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن كلمة دار أسهل من كلمة منزل لأن الكلمة الأولى مكونة من ثلاثة حروف . والكلمة الثانية من أربعة حروف .

هذا ويزداد شيوع الكلمة تبعا لنقصان حروفها لأن الكلمة الطويلة ثقيلة في النطق والمجاء والاستعمال . ولذا شاعت الكلمات القصيرة وازدادت سهولتها تبعا لزيادة شيوعها . وكثيرا ما تعتمد اللهجة الدارجة على

هذه القاعدة في ألفاظها . وهي غالبا ماتنقص حروف الكلمات العربية الطويلة لتنطقها قصيرة في أسلوبها الدارج العامي . ويلجأ الطفل أيضا إلى هذه الوسيلة في بدء تعلمه اللغوى . فيعبر عن الجملة بكلمة . ويعبر عن الكلمة ببعض حروفها .

٣ - نوع الكلمة يحدد مستوى سهولتها : أكثر الكلمات تكرارا هي الأسماء تليها الأفعال كما تدل على ذلك قوائم الكلمات الشائعة والأساسية . والأسماء أقرب إلى الواقع من الأفعال لأنها تدل على وجود ذاتي أو معنوي . والأفعال أحداث في زمن ، والزمن أكثر تجريداً من معنوية الأسماء .

٤ - الضمائر الشخصية تحدد مستوى سهولة الكلمة : الحديث عن النفس حديث ممتع جذاب ولذا تؤثر الضمائر الشخصية في مدى قابلية الكلمة للقراءة والفهم المباشر . وعندما تحدث إنسانا عن نفسه فإنه يهتم بحديثك أكثر من اهتمامه بحديثك عن شخص آخر أو موضوع غير شخصي . ولذا تكثر الضمائر الشخصية في حوار الناس مثل أنت وأنا وغير ذلك مما يشير مباشرة إلى الفرد . ومن الظواهر العلمية المعروفة كثرة تكرار كلمة أنا في أحاديث الأطفال وخاصة في بدء تعليمهم اللغوى .

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي تجعل الناس يميلون إلى قراءة القصص والروايات لأنها تعبر بطريق مباشر أو غير مباشر عن

شخصياتهم وعواطفهم وآلامهم وآلامهم . والقصة الناجحة هي التي تمس أعماق النفس فتثير الانفعال والإعجاب .

٥ - الكلمات الغريبة في رسمها أو معناها : يتأثر مستوى سهولة المواد القرائية بنسبة الكلمات الشاذة الغريبة التي تحتوي عليها تلك المواد : وذلك لأن هذه الكلمات تعوق الفهم وتحول بين الفرد وبين التعرف الصحيح على الكلمة لغرابية رسمها أو لغموض معناها أو لهما معا .

ولذا يجب تجنب استخدام الأوزان غير الشائعة لبعض الأفعال مثل 'يشس' و'بطن' . وتجنب الألفاظ النابية مثل استوثق واستنهل . والمصطلحات الدقيقة مثل المصادق . والكلمات التي يحتمل تأويلها بأكثر من معنى مثل عين بمعنى جهاز الإبصار أو بئر الماء أو بمعنى جاسوس . والكلمات التي يحتمل نطقها في أكثر من صورة مثل حسب بمعنى عد وحسب بمعنى ظن : ويجب أيضا تجنب استخدام الأسماء المقصورة مثل صرعى لاختلاف نطقها عن رسمها .

٦ - معنى الكلمة يحدد مستوى سهولتها : أسماء الذات أسهل من أسماء المعنى فمثلا كلمة قلم أسهل في إدراكها من كلمة فكر . وهكذا يحدد مفهوم الكلمة مدى شيوعها ومستوى سهولتها .

٧ - عدد الكلمات المختلفة ومستوى القراءة : يعتمد الفرد إلى حد كبير على محصوله اللفظي في قراءته وفهمه . ولذا يجب

أن تبدأ المستويات الأولى لقراءة الميسرة بعدد محدود من الكلمات المختلفة مثل ٢٠٠ كلمة مختلفة في المستوى الأول لتلك القراءة، ثم يتطور هذا العدد إلى ٣٠٠ كلمة مختلفة في المستوى الثاني وإلى ٤٠٠ كلمة مختلفة في المستوى الثالث وهكذا يتطور العدد تبعاً لتطور المستوى :

٧ - وهكذا يساير عدد الكلمات المختلفة نمو المحصول اللفظي للقارئ ويناسب مستوياته القرائية المتدرجة .

٨ - مدى تكرار الكلمة يؤثر على مستوى تعلمها : عدد الكلمات المختلفة التي يلمها القارئ تكون في جوهرها محصوله اللفظي كما سبق أن بينا ذلك . ولذا يجب على الكاتب أن ينمي هذا المحصول بأن يضيف إليه كلمات أخرى جديدة تبعاً لزيادة مستوى القارئ . وتعتمد هذه العملية على إعادة كتابة الكلمات الجديدة عدداً من المرات حتى تثبت في ذهن القارئ . وتدل الأبحاث العلمية على أن أقل عدد مناسب لهذا التكرار هو خمس مرات .

هذا ويجب أن تتقارب مرات ظهور الكلمات الجديدة في أول كتابتها ثم تتباعد مرات تكرارها بعد ذلك . وذلك لأن النسيان يكون كثيراً في أوائل عملية التعلم ثم تخف حدته ويضعف أثره بعد ذلك . لذا كان علينا أن نقارب بين عدد مرات ظهور الكلمة الجديدة في أوائل كتابتها حتى نتغلب على أثر هذا النسيان .

ثانياً - الحمل

الحمل المناسبة تؤثر على بساطة الأسلوب وسرعة فهم الفكرة . ولذا يجب أن تخضع الجملة في فكرتها وصورتها وبنائها إلى قواعد الكتابة الواضحة حتى تؤدي هدفها في تيسير القراءة وسلاسة التعبير . وتقاس سهولة الجملة بموازين مختلفة نلخصها فيما يلي :

١ - البساطة الفكرية للجملة : الجملة الكاملة تؤدي معنى . ويختلف مستوى صعوبة الجملة أو سهولتها تبعاً لعدد الأفكار التي تشتمل عليها . ولذا يجب أن تحتوي الجملة على جزء محدود من الفكرة التي تقوم عليها الفقرة . فعلاقة الفقرة بالجملة هي علاقة الفكرة بأجزائها . ولذا يجب ألا تختلط هذه الأجزاء بل تتابع في انتظام ونسق واضح بحيث تؤدي فكرة أية جملة إلى فكرة الجملة التي تليها .

وهكذا تتحقق البساطة الفكرية للجملة . وتصبح قراءتها سهلة ويصبح فهمها ميسوراً .

٢ - طول الجملة يؤثر في سهولتها : الجملة القصيرة جداً تؤدي إلى الإيجاز ، والإيجاز يعوق فهم المعنى . والجملة الطويلة جداً تؤدي إلى الأطناب ، والأطناب الكثير يؤدي إلى الكلال وتشتت الانتباه نتيجة للاستهتار بالمادة المقروءة . وقد يؤدي أحياناً إلى اختلاط الجملة بالفقرة . ولذا يجب أن يكون طول الجملة مناسباً لمستوى القارئ .

والتحديد المقترح لطول الجملة هو ألا يقل عدد كلماتها عن ٥ ولا يزيد على ١٥ وذلك نتيجة لتحليل الموضوعات القرائية .

هذا ويجب أن يخضع هذا التحديد بعد ذلك للتجربة للكشف عن طول الجملة المناسب لكل مستوى من المستويات التصاعديّة للقراءة.

٣- نوع الجملة يؤثر في سهولتها : إذا جاز لنا أن نفترض أن الحمل الاسمية أبسط وأسهل من الحمل الفعلية لأنها تبدأ بالاسم الذي هو في الأغلب والأعم أسهل من الفعل . لذا يجب أن نعتمد على الحمل الإسمية في إنتاج مواد القراءة السهلة الميسورة . هذا ويمكن أن يخضع هذا الفرض للتجربة للتحقق من صلاحيته وللكشف عن العلاقة القائمة بين نسب الحمل الاسمية والفعلية والمستوى القرائي .

٤- التقديم والتأخير يزيد في صعوبة الجملة : يقدم المبتدأ على الخبر في الصورة الأصلية للجملة الاسمية . وعندما يتقدم الخبر على المبتدأ كما في حالة الجار والمجرور مثل : « في البيت رجل » يزداد تعقيد الجملة لأنها تخرج بذلك عن الصورة المألوفة لها . لذا يجب أن نراعى الصورة المألوفة للجملة الاسمية وخاصة بالنسبة للمستويات الأولى القرائية .

٥- تباعد مكونات الجملة يزيد في صعوبتها : يجب أن نتجنب التباعد الكبير بين الفعل والفاعل . أو بين المبتدأ والخبر . أو بين اسم إن وخبرها ، أو اسم كان وخبرها .

أو بين الشرط وجوابه حتى لا يتعقد المعنى . فالجملة السهلة تستقيم مكوناتها في وضوح وتقارب . وهذا التقارب القائم شرط أساسي لتيسير القراءة .

وبالمثل فإن إيراد الضمير عن الاسم الذي يعود إليه يعقد المعنى . وكثرة الحمل الاعتراضية تحول دون الفهم المباشر السريع للجملة المختلفة .

لذا يجب أن تقارب ما بين المكونات المختلفة للجملة حتى يستقيم التركيب اللغوي . وحتى تيسر عملية القراءة السريعة .

٦- حذف أحد مكونات الجملة يزيد في صعوبتها : تحتوي الجملة في صورتها الأصلية على مكوناتها دون حذف أو تقدير . وبذلك يظهر المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية ويظهر الفعل والفاعل في الجملة الفعلية وعندما يختفي أحد هذه المكونات فإن المعنى يصبح غامضاً لأنه يحتاج إلى جهد عقلي معين لإدراكه .

لذا يجب علينا أن نتجنب الحذف والتقدير في بنائنا اللغوي للجملة .

٧- المبني للمعلوم أسهل من المبني للمجهول : بناء الجملة للمعلوم يوضح الفعل والفاعل . ولذا فهو أيسر فهماً وأقرب مالا من البناء للمجهول الذي يغير صورة الفعل ويحذف الفاعل . وهكذا نرى ضرورة الاعتماد على المبني للمعلوم في التكوين اللغوي للجملة وخاصة في عملية إنتاج المواد القرائية السهلة .

٨ - الانتقال السريع في زمان الفعل يعقد المعنى : الانتقال السريع من الماضي إلى الحاضر أو من الماضي إلى المستقبل أو في الزمن عامة مهما كانت صورته قد يكون جميلا في البناء اللغوي الناضج لأنه يتطلب تركيز الانتباه ويضئ على الصورة اللغوية حامل الحركة والمرونة . لذا يجب أن نراعى الوحدة الزمنية للجملة فلا نضمها أكثر من صورة زمنية واحدة للفعل ويجب أيضا أن نراعى - إلى حد ما - هذا التناسق الزمني في الحمل المتعاقبة حتى لا نفاجئ القارئ بالصورة الزمنية المختلفة : الماضية والحاضرة والمستقبل بل نسير معه وفق سرعته الفعلية ومستواه القرأى .

ثالثا - الفقرات

دلت نتائج تحليل المحتوى الذي أجراه البهي على موضوعات جريدة « منار المغرب » على أن الفقرة هي أهم المكونات تأثيرا في البناء اللغوي والفكري للموضوع . وذلك لأن الفقرة تصنف الموضوع إلى أقسامه وأجزائه الرئيسية . وتشتمل على الجملة والكلمة والفكرة . ولذا كان الاهتمام بالفقرات والضبط العلمي لها عملية رئيسية في تيسير القراءة وتوضيح المعنى .

هذا وتقاس سهولة الفقرات بموازين مختلفة نلخصها فيما يلي :

١ - التكوين الفكري للفقرة : التقسيم الفكري للموضوع يقتضي بناء لغويا يوضحه ويؤكد أقسامه . فاذا انقسم الموضوع مثلا

إلى خمس أفكار رئيسية فيجب أن ينقسم التنظيم اللغوي إلى خمس فقرات أيضا بحيث تعبر كل فقرة عن فكرة رئيسية واحدة . ولا تتعدها إلى غيرها .

ولذا يجب أن نراعى التطابق التام بين أفكار الموضوع وفقراته حتى نحقق الانتقال العقلي المناسب من فكرة إلى أخرى دون غموض أو إلهام . وبذلك يسهل على القارئ إدراك الأفكار الرئيسية للموضوع بسهولة وسرعة .

٢ - ترتيب فقرات الموضوع : عندما تطابق فقرات الموضوع أفكاره فإن ترتيب الأفكار يتطلب خضوع الفقرات لنفس ذلك الترتيب . ولذا يجب أن تمهد الفقرة الأولى للموضوع وتشوق القارئ إلى قراءته وتبين بناءه العام . ثم تحلل الفقرات الوسطى عناصر الموضوع . وتلخص الفقرة الأخيرة جميع أفكاره وبذلك تسهل عملية القراءة على الفرد ويتضح معنى المادة المقروءة نتيجة لانتظام أفكارها وفقراتها .

٣ - ترتيب حمل الفقرة : يجب أن يخضع ترتيب حمل الفقرة لنفس التنظيم الذي خضع له ترتيب الفقرات . حتى يستقيم التنسيق الجزئي والكلي للموضوع . وبذلك تمهد الحملة الأولى للفكرة التي تعرضها تلك الفقرة ، وتدل الحمل الوسطى على تحليل أجزاء الفكرة وتوضح الحملة الأخيرة ملخصها العام .

وهكذا يتضح التنسيق ويستقيم التنظيم وتسهل عملية القراءة .

رابعاً - الأفكار

يعتمد الجوهر الرئيسى للموضوع على أفكاره . ولذا يجب أن نراعى السهولة والدقة والتنظيم في عرض أفكار الموضوع .

هذا وتقاس صلاحية الأفكار بموازين مختلفة نلخصها فيما يلى :

١ - بساطة الفكرة : الأفكار المعقدة لا تصلح للقراءة السهلة . ولذا يجب أن نراعى البساطة القصوى في إنتاج المواد القرائية وخاصة في مستوياتها الأولى . ويجب أيضا ألا نركز الفكرة في عدد قليل من الكلمات وألا تختلط أجزاؤها وفروعها وأقسامها بحيث يصعب على الفرد معرفة معالمها الرئيسية .

وقد دلت نتائج الأبحاث على أنه كلما كثر عدد كلمات الفكرة وضح معناها . وتتلخص نتائج إحدى هذه التجارب في التعبير عن بعض الأفكار بـ ٣٠٠ كلمة ثم زيادة عدد كلمات تلك الأفكار إلى ٦٠٠ كلمة ثم زيادتها بعد ذلك إلى ١٢٠٠ كلمة . وقد دلت النتائج على زيادة وضوح الأفكار ووصلت إلى نهايتها العظمى عندما زاد عدد الكلمات من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة .

واستمرت زيادة الوضوح الفكرى من ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ . لكن الفرق في الوضوح الفكرى بين ٣٠٠ كلمة و ٦٠٠ كلمة كان أكثر من الفرق في الوضوح الفكرى

بين ٦٠٠ كلمة و ١٢٠٠ كلمة . وهكذا نستطيع أن نقرر هذه الحقائق التالية :

(أ) يزداد الوضوح تبعاً لزيادة عدد الكلمات .

(ب) يتأثر عدد الكلمات اللازمة لتوضيح أفكار معينة بعدد الأفكار ونوعها . ولذا يجب أن نخضع هذه الظاهرة للتجربة للكشف عن العدد المناسب من الكلمات لكل نوع معين من الأفكار . وللى أن تجرى مثل هذه التجارب يجب أن نتجنب تركيز الفكرة في عدد قليل من الألفاظ .

(ج) ويمكن أن نقيس مدى التركيز اللفظى للفكرة وذلك بأن نسجل عدد الكلمات التى تدل على عدد معين من الأفكار : ثم نقسم عدد الكلمات على عدد الأفكار لنستنتج من ذلك عدد كلمات كل فكرة . ولنعلم من ذلك الحمل اللفظى للفكرة . وبذلك نستطيع أن نتدرج بالقارئ من البساطة إلى التبركير تبعاً لتدرج مستوياته القرائية .

وهكذا يصل بنا التحليل إلى ضرورة ملاحظة عدد كلمات كل فكرة نكتبها . وأن نراعى البساطة الفكرية فيما نكتب . وألا نبخل على القارئ بالكلمات الكثيرة التى تزيد في وضوح الفكرة وسهولة القراءة .

٢ - صحة الأفكار ودقة المعلومات : عندما يشك القارئ في صحة الأفكار أو دقة المعلومات التي يقرأها فإنه ينفر من القراءة لاستهانتها بما يقرأ . ولذا يجب علينا أن نتأكد من صحة الأفكار ودقة المعلومات .

والطريقة العلمية المتبعة في جمع الأفكار والمعلومات هي الرجوع بها إلى مصادرها الرئيسية . ولذا فن الأفضّل أن نرجع إلى الطبيب في كتابتنا عن الأمراض : وهكذا بالنسبة للموضوعات الأخرى . ويجب أن تكون الأفكار والمعلومات التي تتضمنها كتابتنا ذات قيمة مباشرة للقارئ لندفعه إلى قراءتها .

٣ - ملخص الأفكار : عندما ينتهي الفرد من الموضوع الذي يقرأه فإنه يحتاج إلى تلخيص واضح لتلك الأفكار حتى يدرك تماما الحصيلة الفكرية التي استفادها وانتهى إليها من قراءته .

خامسا - الأسلوب

يتأثر مستوى الفهم تأثرا كبيرا بأسلوب الكاتب . فقد يعالج كاتب ما فكرة معينة بأسلوب شيق سهل . فيفهمه القارئ . وقد يعالج كاتب آخر نفس الفكرة بأسلوب ممل معقد فلا يفهمه القارئ العادي . ولذا كان للأسلوب أهميته القصوى في تحديد المستوى القرائي المناسب .

هذا وتقاس صلاحية الأسلوب بموازين مختلفة نلخص أهمها فيما يلي :

١ - بساطة الأسلوب : عندما يعالج الأسلوب الكتابي الأشياء المألوفة في حياة الناس فإنه يصبح شيقا ممتعا لأنه عندئذ يستعين بالمعلوم ليوضح المجهول :

ويمكن تحقيق هذه الفكرة بالاكثار من التشبيهات والأمثلة الواقعية والاستعانة بالأسماء المعروفة للأمكنة والأفراد والحيوانات .

٢ - أساليب الخطاب : الأسلوب المباشر الإيجابي هو الذي يخاطب القارئ نفسه ، ولا يخاطب العالم كله . وهو بذلك يقيم صلة وثيقة بين المؤلف والقارئ . لأن المؤلف يخاطبه ويناجيه ، ويحاوره في صراحة وبساطة ووضوح :

وعندما يضع الكاتب نفسه في مكان القارئ ويحاول أن يتخيل أثر كتابته على القارئ فإنه يستطيع أن يعدل ويغير من أساليب خطابه حتى يتناسب مع مفاهيم القراء . وعندئذ يدرك تماما مدى نجاح أسلوبه في عرض الفكرة القائمة عرضا شخيصا إيجابيا مباشرا :

٣ - نوع الأسلوب : يختلف نوع الأسلوب تبعا لاختلاف طبيعة المادة المكتوبة وتبعا لتباين مستوى القارئ . ويمكن أن نلخص الأنواع الرئيسية للأساليب الكتابية في الحوار والقصص والوصف . والحوار أسهل هذه الأنواع وأقربها إلى لغة التخاطب والحديث والكلام العادي . والقصص مزيج من الحوار غير المباشر والترتيب الزمني

للأحداث مع وصف الأمكنة والأشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة . والوصف الصريح يتجرد إلى حد كبير من النواحي الشخصية وهو لذلك أكثر الأساليب بعدا عن المستويات [الأولى للسهولة :

لذا ، فمن الأفضل أن نعتمد على حد كبير على أسلوب الحوار والأسلوب القصصى في إنتاج المواد القرائية السهلة . وأن نتخفف إلى حد كبير من استعمال الأسلوب الوصفى وخاصة في المستويات الأولى لهذه القراءة .

سادسا — الموضوع

يجب أن يخضع اختيار الموضوع الصالح للتجربة التي تحدد نوعه ومحتوياته وطوله وتوقيته . ويقاس نجاح هذا الاختيار بمدى اقبال الناس على قراءة الموضوع أو بمدى عزوفهم عنه ورفضهم إياه :

هذا وتقاس صلاحية الموضوع بموازين مختلفة نلخص أهمها فيما يلي :

١ — اختيار الموضوع : تعتمد عملية اختيار الموضوعات على استفتاء القراء أنفسهم فيما يصلح وما لا يصلح من الموضوعات .

وهكذا نرى أن عملية اختيار الموضوع بهذه الطريقة تشبع لدى القارئ ميوله ، وتساير اتجاهاته ، وتشوقه للقراءة ، وأن هذا الاختيار يخضع للتجريب خضوعا علميا يحقق هدفه ويسير به إلى غايته :

وأيا كان الرأى في المفاضلة بين الموضوعات المختلفة فهناك أمور يجب أن يراعيها الكاتب بادئ ذي بدء حتى يصبح موضوعه صالحا ومناسبا للقراءة السهلة .

ومن أهم هذه النواحي ضرورة مراعاة ميل القارئ . وفي وسع الكاتب أن يختار الموضوعات التي يراها شيقة ممتعة بالنسبة للقراء مثل الفكاهة والقصة ، والموضوعات المهنية التي من شأنها أن تزيد من الدخل المالى للقارئ . أو الهوايات التي يمارسها الأفراد ويودون أن يعلموا أشياء أخرى عنها مثل وسائلها الحديثة ، وتاريخها ومميزاتها وكل ما يتصل بها .

هذا ويستطيع الكاتب أن يحكم — إلى حد ما — على صلاحية الموضوع بالمعايير التالية :

(أ) هل هذا هو الموضوع الذى يريد الناس معرفته ؟

(ب) هل يصلح هذا الموضوع لكل الأفراد أم لطائفة معينة من الأفراد ؟

(ج) وإذا كان الموضوع يصلح لطائفة معينة ، فهل هو يابى حاجات تلك الطائفة ؟

(د) ما هو أثر هذا الموضوع على تغيير اتجاهات وأفكار وسلوك الناس ؟

(هـ) ما هو مدى معرفة الناس لهذا الموضوع قبل قراءته ؟

(و) ما هو أكثر العناوين تشويقا لهذا الموضوع ؟

وهكذا تقرر مثل هذه الأسس الصلاحية الأولية التمهيدية للموضوع وتساعد الكاتب على اختيار الموضوع ريثما تقرر نتائج التجارب مدى دقة هذا الاختيار .

٢ - محتويات الموضوع : يجب أن تكون محتويات الموضوع قريبة الصلة بحياة الناس ومشكلاتهم اليومية حتى يجد فيها القارئ صدى لآماله ورغباته وأفكاره . : وكلما اقتربت هذه المحتويات من ألوان الحياة الشعبية في مظهرها البدوي والحضري زاد تبعاً لذلك ميل الناس لها .

٣ - حيوية الموضوع : الموضوعات الحيوية هي التي تمتلئ بالحركة والحوادث والمفاجأة ، لأنها بهذا الوضع تثير انتباه الناس ، وتحفز نشاطهم العقلي المتابعة عملية القراءة . أما الموضوعات الهادئة البطيئة فهي مملة لاتساعد على عملية الاستمرار في القراءة . وقدما قال العرب الحركة ولود والسكون عاقر .

ولذا يجب أن توفر للقارئ هذا الجو الممتع لندفعه إلى القراءة .

٤ - طول الموضوع : يتأثر مستوى الفهم بطول الموضوع . فالموضوعات الواضحة القصيرة ذات الأفكار القليلة المحدودة تساعد على تركيز الانتباه وتسائر المستويات الأولى للقراءة . وكلما زاد المستوى القرائي للفرد زاد تبعاً لذلك المدى القرائي الذي يمكن أن يستوعبه دون إمشقة أو تعب .

ولذا يجب أن تكون موضوعات المستويات القرائية الأولى قصيرة قليلة في أفكارها . ثم يزداد طولها وتزداد أفكارها تبعاً لزيادة المستوى القرائي .

٥ - التوقيت : الموضوعات الحيوية هي التي يطالعها الناس في أبنائها وحينها أي هي التي تسير تطور الأحداث الحارية .

وتعتمد عمالية اختيار الموضوعات المناسبة على معرفة تامة بميول القراء واتجاهاتهم القرائية . وعلى معرفة أصيلة بأهم الأحداث العالمية والقومية :

ولذا يجب أن نراعى التوقيت الصحيح في كل مانخرج من مواد قرائية حتى نجد هذه المطبوعات الاستجابة الصحيحة الضرورية لها .

سابعاً - الصور والرسوم التوضيحية

تعتمد الكتب السهلة اعتماداً كبيراً على الرسوم التوضيحية لتقرب المعنى للأذهان ، ولتشوق الفرد إلى عملية القراءة ولتثير انتباهه ولتحفز ميله ، ولتدفعه إلى ممارسة مهارة القراءة وارتياذ الآفاق المجهولة التي تغريه على الاطلاع المتصل المستمر .

هذا وتقاس صلاحية الصور والرسوم التوضيحية بمقاييس مختلفة نلخص أهمها فيما يلي :

١ - المساحة النسبية للصور : تختلف المساحة تبعاً لاختلاف مستوى القراءة ونوع

الموضوع . فالمستويات الأولى تحتاج إلى مشوقات كثيرة لمتابعة عملية القراءة - كما تحتاج أيضا إلى توضيح كبير لتيسير الفهم وتبسيط المادة المقروءة .

هذا ويمكن اخضاع المساحة النسبية للصور للتجربة والكشف عن العدد المناسب من الصور لكل كتاب وفي كل مستوى . وبما أن التحقيق التجريبي لهذه الفكرة يحتاج إلى جهد ومال ووقت طويل . إذن نستطيع أن نكتفي مبدئيا بالاكثار من الصور في المستويات الأولى للقراءة . وأن يقل عدد ومساحة هذه الصور كلما زاد المستوى : فاذا اصطللحنا مثلا على أن يكون عدد صفحات أى كتاب من الكتب المبسطة ١٦ صفحة فنستطيع أن نحدد ٨ صفحات للصور في المستوى الأول و ٤ صفحات للصور في المستوى الثانى و ٢ في المستوى الثالث . وبذلك تتطور نسبة وجود الصور في المستويات المتتالية . ويمكن أن نعدل هذه النسبة بعد ذلك في اطار الملاحظات العلمية والتجربة المضبوطة التى تهدف إلى قياس العلاقة القائمة بين نسبة الصور ونسبة الوضوح .

٢- بساطة الصور ووضوحها : الصور البسيطة الواضحة أقرب إلى مستوى القارئ العادى من الصور المعقدة الغامضة . وتتطلب هذه البساطة تأكيد المظاهر الرئيسية للصورة وتجنب التفاصيل الكثيرة الدقيقة التى تشتت انتباه القارئ وتحول بينه وبين الادراك الواضح لفكرة الصورة .

ولذا يجب أن تخضع الصور والرسوم التوضيحية للتجربة كلما أمكن، وذلك بأن نعرض على الفرد مجموعة من الصور التى تمثل فكرة ما ليختار منها أوضحها تعبيراً عن تلك الفكرة .

هذا ويمكن أن نبدأ عملية التوضيح باختيار الصور البسيطة القوية الواضحة ثم نخضعها بعد ذلك للتجريب كلما أمكن ذلك .

٣- الألوان : الألوان من أهم عناصر التشويق للصور والترغيب فيها . وهى تساعد على امعان النظر فى المراثيات والاستمتاع الفنى بها . والألوان المتباينة الصارخة تفاجئ الانسان وتجذب انتباهه ولذا فهى قد تصلح للمستويات القرائية الأولى . والألوان المتناسقة الهادئة تريح النفس وتشيع فى الفرد المتعة الفنية العميقة .

لذا يجب أن ندرس الذوق الفنى الخاص بالألوان وتوزيعها وعددها ومساحتها وتباينها وتناسقها عند القراء حتى تخضع عملية انتاج المواد المبسطة فى صورها ورسومها التوضيحية لخواص ومميزات الذوق الفنى .

هذا وكثرة الألوان المتباينة تهر عين القارئ . لكن هذه الكثرة تتطلب نفقات كثيرة فى الطباعة ولذا فن الأفضل دراسة الامكانيات المالية للطباعة فى اطار الحاجيات القرائية للفرد .

ويستحسن أن تحتوى كتب المستوى الأول للقراءة المبسطة على ثلاثة ألوان وأن تحتوى كتب المرحلة الثانية على لونين ، وكتب المرحلة الثالثة على لون واحد .

ومن الأفضل أيضا أن يكون الغلاف دائما غنيا بالوانه وصوره بحيث يغرى الفرد على تناول الكتاب وقراءته .

ثامنا - العوامل الطباعية

للعوامل الطباعية الخاصة بالحروف والأسطر والصفحات والورق والحبر علاقة كبيرة بالعادات والمستويات القرائية ، وبالتحديد تكلفة الكتب المبسطة . ولهذا النواحي كلها أهميتها القصوى في تيسير عملية القراءة لأنها تساهم نمو القارئ في تطوره نحو المستويات الصحيحة للقراءة .

هذا وتقاس صلاحية العوامل الطباعية بمقاييس مختلفة نلخص أهمها فيما يلي :

١ - العادات القرائية وحجم الحروف : تتحرك العين من اليمين إلى اليسار أثناء قراءة اللغة العربية وعندما ينتهى السطر تنتقل العين في حركتها من اليسار إلى اليمين لتبدأ حركتها في قراءة السطر التالى وتدل نتائج الأبحاث العلمية في القراءة على أن العين تتحرك في قفزات . فهي تنظر إلى الجزء الأول من السطر لتقرأ في هذه الوقفة من الكلمات عددا قد يبلغ كلمتين أو ثلاث أو أربع حسب مستوى اجادة مهارة القراءة وحسب

حجم الحروف المكتوبة ومدى تقاربها أو بعدها والمساحات البيضاء المحيطة بها . ثم تتحرك العين في قفزة أخرى لتقرأ عددا آخر من الكلمات وهكذا تستمر عملية القراءة في قفزات متصلة وانتقال في حركة العين من أقصى اليسار إلى أول اليمين لكل سطر يقرأ .

هذه العادة تنمو مع نمو المستوى القرائي للفرد . ويزداد عدد كلمات الوقفة البصرية الواحدة تبعا لزيادة ذلك المستوى . ولذا فعندما يصبح حجم الكلمات صغيرا فان الفرد يقرأ في الوقفة البصرية الواحدة عددا كبيرا من الكلمات . وعندما يصبح حجم الحروف كبيرا فان الفرد يقرأ في الوقفة البصرية الواحدة عددا قليلا من الكلمات .

ولذا يجب أن يساير حجم الحروف الطباعية مستويات القراءة . ويستحسن أن يكون حجم حروف المستوى الأول ٤٨ وأن يكون حجم حروف المستوى الثانى ٣٦ ، ٣٤ ، وأن يكون حجم حروف المستوى الثالث ٢٤ ، ١٨

ويجب أيضا أن نخضع هذه العملية للتجربة كلما أتاحت الفرصة لنحدد تماما تلك الأحجام .

٢ - الأسطر : بما أن عدد الأسطر في الصفحة المكتوبة يتأثر بحجم الحروف ، وبما أن حجم الحروف يساير مستوى القراءة ، إذن فعدد أسطر الصفحة في المستويات القرائية الأولى يجب أن يصبح قليلا نسبيا لأن حجم

حروف هذا المستوى يصبح كبيراً . ثم يقل بعد ذلك حجم الحروف ويزداد تبعاً لذلك عدد السطور .

ولذا يجب أن نتردد بعدد سطور كل صفحة من القلة إلى أن نساير بذلك خصائص المستويات القرائية التصاعدية .

هذا وعندما يتحدد حجم الحروف ، وعدد السطور ، تتحدد أيضاً المساحات السوداء والبيضاء في كل صفحة ، ولكل مستوى من مستويات القراءة .

٣ - الصفحات : تتأثر العادات القرائية - وخاصة في المستويات الأولى بعدد صفحات المواد القرائية وبمساحة كل منها . فالمجلدات الضخمة توحى إلى الفرد بالصعوبة وتجعل القارئ الجديد يخشى الاقتراب منها . والصفحات القليلة توحى إليه بسهولة المادة المقروءة . ولذا يجب أن يكون عدد صفحات الكتب المبسطة مناسباً لمستوى القراء . ومن الأفضل أن تبدأ هذه الكتب بعدد من الصفحات يساوي ١٦ صفحة لأن هذا العدد يمثل الوحدات الأولى التي يتألف منها الكتاب الكبير ومن الأفضل أيضاً أن يكون طول الصفحة ٢٤ سم وعرضها ١٧ سم لأن هذه المساحة من أكثر المساحات شيوعاً في الكتب العادية . وبذلك ندرب القارئ على وحدات الكتاب العادي ومساحته . ونساير بذلك تكوين العادات القرائية المناسبة لتلك الكتب .

٤ - الورق : الورق المصقول اللامع يعكس الضوء ويرهق العين أثناء القراءة ولذا فن الأفضل أن يكون الورق من النوع الذي لا يعكس الضوء أى غير تام الصقل :

٥ - الحبر : الحروف الغليظة السوداء تبدو قوية . ولذا فن الأفضل أن يكون سواد الحروف متبايناً مع بياض الورقة حتى يجذب الانتباه ويلفت النظر بهذا التباين الشديد . ويمكن أن نستخدم الألوان المتباينة في عملية الطباعة لنحقق ذلك الهدف وعليها أن نتخفف بعد ذلك من هذه الطريقة في المستويات النهائية لمهارة القراءة لنعد الفرد لمطالعة الكتب العادية .

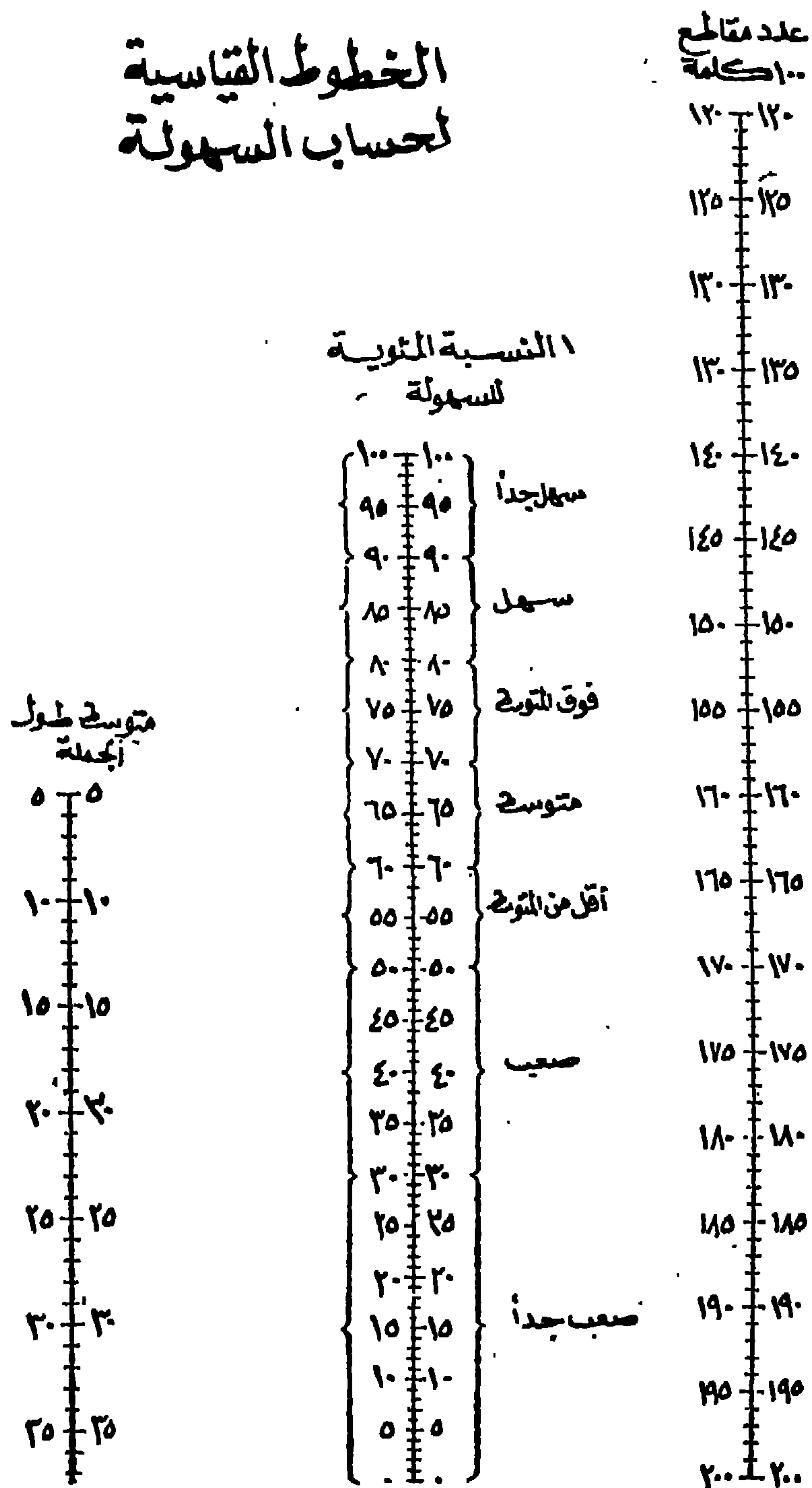
تاسعا - الخطوط القياسية للسهولة يمكن اخضاع بعض عوامل السهولة لتحليل الرياضى . وبذلك تحدد العلاقة بين النسبة المئوية للسهولة وبين عاملها الرئيسيين : عدد مقاطع الكلمة ومتوسط طول الجملة . وتحولت هذه العلاقة إلى خطوط قياسية شأنها في ذلك شأن الخطوط التي نستخدمها في المسطرة الحاسبة .

والشكل (١) يبين نتائج إحدى هذه المحاولات حيث يدل العمود الأيمن على الخط القياسى للمقاطع ، ويدل العمود الأيسر على الخط القياسى لطول الجملة ، ويدل العمود الأوسط على أثر العامل الأول والعامل الثانى على النسبة المئوية للسهولة .

فمثلاً إذا تصورنا أننا حسبنا عدد مقاطع ١٠٠ كلمة فوجدناه مساوياً لـ ١٥٠ كلمة وحسبنا متوسط طول الجملة ووجدناه ١٠

فان الخط المائل الذى يصل نقطة ١٥٠ فى عمود المقاطع بنقطة ١٠ فى عمود طول الجملة يقطع خط النسبة المثوية للسهولة عند ٧٠ .
وبذلك نستطيع أن نحكم على مستوى السهولة بأنه فى الحد الأعلى للمتوسط والحد الأدنى لفوق المتوسط .

الخطوط القياسية لحساب السهولة



عاشرا - الخطوط القياسية للميل

أمكن أيضا إخضاع الميل القرائى للتحليل الرياضى ، وبذلك تحددت العلاقة بين عامليه الرئيسيين : الكلمات الشخصية ، والجمل الشخصية :

وتحولت هذه العلاقة إلى خطوط قياسية كما يبين ذلك شكل (٢) .

وتحسب النسبة المئوية للميل بنفس الطريقة التى حسبت بها النسبة المئوية للسهولة .

والقاعدة المتبعة فى عد الكلمات الشخصية هى عد أسماء الناس ، والضمائر ، والمهن والوظائف ، على أنها كلمات شخصية .

والقاعدة المتبعة فى عد الجمل الشخصية هى عد جمل الحوار ، والعبارات الموجهة للقارئ ، والأسئلة التى يطرحها الكاتب على القارئ ، على أنها جمل شخصية :

فؤاد البهى السيد

النسبة المئوية
للصفات الشخصية

الخطوط القياسية لحساب الميل

٢٥-٢٥
٢٤-٢٤
٢٣-٢٣
٢٢-٢٢
٢١-٢١
٢٠-٢٠
١٩-١٩
١٨-١٨
١٧-١٧
١٦-١٦
١٥-١٥
١٤-١٤
١٣-١٣
١٢-١٢
١١-١١
١٠-١٠
٩-٩
٨-٨
٧-٧
٦-٦
٥-٥
٤-٤
٣-٣
٢-٢
١-١
٠-٠

النسبة المئوية
للميل

	١٠٠-١٠٠
	٩٠-٩٠
ممتاز	٨٠-٨٠
	٧٠-٧٠
	٦٠-٦٠
فوق المتوسط	٥٠-٥٠
	٤٠-٤٠
متوسط	٣٠-٣٠
	٢٠-٢٠
أقل من المتوسط	١٠-١٠
معدل	٠-٠

النسبة المئوية
للجمال الشخصية

١٠٠-١٠٠
٩٠-٩٠
٨٠-٨٠
٧٠-٧٠
٦٠-٦٠
٥٠-٥٠
٤٠-٤٠
٣٠-٣٠
٢٠-٢٠
١٠-١٠
٠-٠

المراجع

- ١- الدكتور محمود رشدى خاطر : قائمة المفردات الشائعة فى اللغة العربية
سرس الليان ١٩٥٨
- ٢- الدكتور فؤاد البهى السيد : القائمة المغربية للكلمات الشائعة
المغرب العربى ١٩٦١
- ٣- : الكلمات الأساسية
المغرب العربى ١٩٦٢
- ٤- : اللغة الأساسية
مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٧١
- ٥- : تحليل المحتوى - دراسة احصائية نفسية
للسجادة العربية المتخصصة- القاهرة ١٩٦٥
- ٦- : استفتاء الميول القرائية الصحفية - المغرب
العربى ١٩٦١
- ٧- : استفتاء الميول القرائية الفلاحية المغرب
العربى ١٩٦١

8—Flesch, R. The Art of Plain Talk : Harber and Brothers, 1946

9—Flesch, R., and Lass, A.H. The Way to Write; New york :
Harper and Brothers, 1947

10—Flesch, R. The art of Readable Writing. New York : Harper
and Brothers, 1949.

11—Gray, W.S., and Leary, B.E. What Makes a book Readable.
Chicago : University of Chicago Press, 1935.

12—Large, I. "Predicting Readability." Teachers College Record,
1944, V. 45, PP. 404-419.

نقد النقد

للأستاذ محمود غنيم

إذا كان الشعر ليس خالصا كله ، بل فيه كثير من الزائف الذى يحتاج إلى نقد وتمحيص فإن النقد كذلك ليس خالصا كله ، بل فيه كثير يحتاج إلى نقد وتمحيص. ولعل ما نحتاج إليه من نقد النقد أكثر مما نحتاج إليه من نقد الشعر. ذلك لأن كثيرا من النقاد غرّوا قديما وحديثا بتعقب الشعراء بحق أو بغير حق لأهواء في صدورهم ، أو أوهام في عقولهم ، وما أقل النقد الذى يسلم من هذين : الهوى والوهم . ولا يفوتنا أن النقد كان قديما وحديثا مطية ذلولا لطلاب المجد ، ولا سيما إذا كان المنقود من ذوى نباهة الشأن ، الذين يشار إليهم بالبنان ، وأذكر أننى سمعت أول ما سمعت باسمى المازنى والعقاد عندما عرضا لشوقى بالا نتقاد .

ولقد عرضت فى مقال سابق ، نشر بمجلة المجمع لبعض أهواء النقد وأوهامهم ، غير أن هذا المقال لم يتناول إلا قضايا عامة تدور فى هذا الفلك ، وأريد الآن أن أضع بعض النقاط على الحروف بذكر أمثلة تلقى أضواء كاشفة على ما أشرت إليه ، ومعاذ الله قبل البدء بإيراد هذه الأمثلة أن أزعّم أن النقد كله غير سليم من دواعى الصدور ، أو خطأ القرائح ؛ فتمة - ولا شك - ما ينفذ منه إلى الصميم ، فيكون جديرا بتقدير المنقودين أنفسهم ، بله عامة الأدباء والمتأدبين ، كما أن هناك ما سببه اختلاف زوايا وجهات النظر بين النقاد والشعراء . ولعل ما أعرضه فى هذا المقال كله أو جله من هذا الطراز الذى لم تتحقق له سلامة الأهداف ، ولم يهجنه الهوى والا نحراف .

(١) بين الشاعرين الكبيرين على الجندى وحافظ إبراهيم :

لأنظن أن المرحوم حافظ إبراهيم كان - لو كان حيا - يقف مكتوف اليدين مطبق الشفتين أمام تجريح شاعرنا الكبير على الجندى له فى كتاب « الشعراء وإنشاد الشعر » وخاصة ماورد فى هذا الكتاب من نقد لاذع لبيت حافظ

الذى تضمنته مرثيته للمرحوم سعد زغلول.
ونص البيت :

حملوه على المدافع لما
أعجز الهام حملهُ والرقابا
قال سيادته صفحة ١٤ - من الكتاب
مانصه بتصريف :
« بيت زائف » .

« وقد جاء في هذه القصيدة بيت مُبَكِّ
مضحك . . . والبيت هو : « حملوه
على المدافع . . الخ » وهذا البيت غاية
في الهجنة ، ونهاية في السخف ، وهو ذم
صريح للزعيم المرثى ، فهو « لا يصور
أعمال « سعد » و مآثره ، ولا نواحيه
الوطنية الخالدة ، ولا مواهبه المعنوية
المرموقة وإنما يمتله جسداً ضخماً
طوالاً هائلاً كجسد « عُوج بن عُوق »
كما تتحدث عنه الأساطير » .

وفي صفحة ١٧ من الكتاب يقول في
الموضوع نفسه مانصه :

« حافظ والعقاد وغنيم »

« ونعود إلى بيت حافظ المتقدم ،
فنقول : نحسبه نظر فيه إلى قول
القائل :

« وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه أعناق قوم تقصّف »

« وليس فتيق المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناء المخلف »
ثم يوازن بين بيت حافظ وقول
العقاد في هذا المعنى في رثاء سعد
نفسه :

خرج المدفع يطوى مدفعا
الأساطيل أثقته والحصون
ساكننا بين يديهم بعدما
زلزل الشرق على المغتصبين
ثم يوازن أيضاً بين هذا البيت
وقول محمود غنيم في رثاء المرحوم
محمد محمود :

سار بين الدموع والزفرات
خير نعش يُقل خير رُفات
مدفع خامد على مدفع سا
ر من الوجد وارى الجمرات

ويخرج من الموازنة بأن كلا الشاعرين
العقاد وغنيم لم ينزلق إلى ما انزلق إليه
حافظ ، ولا يسعنا إلا شكر شاعرنا الكبير
على حسن ظنه بنا ، ولكننا نقول له :
إننا نحب الحق ، ونحب قيصر ، بيد
أن الحق أحب إلينا من قيصر .

فهل كان حافظ حقاً يعنى المعنى
الذى ذهب إليه الناقد فى تخريجه ؟
إن صح هذا فليس حافظ جديراً بالنقد
والتجريح فقط ، بل إن هذا البيت
وحده كفيل بمحو اسمه من سجل عامة
الشعراء ، بله كبارهم المعدودين .

أترانا حين نقول لشاعرنا الكبير :
« إنه كبير القلب ، أو واسع الصدر »
نقصد كبر كتلة القلب ، وما يشغله
من حيز ، ونقصد سعة الصدر المادية
التي تشير بالشبر ، وتذرع بالذراع ؟
الجواب : « كلا ثم كلا » وإنما نقصد
بكبر القلب ما يفيض به من عواطف
وأحاسيس نبيله ، وما ينطوى عليه
من حسن النيات وكرم الصفات
كما نقصد بسعة الصدر السعة المعنوية
التي تندرج تحتها الأريحية ، والصبر
عند البأساء ، والحلم على سفه السفهاء ،
إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق وإذا قال
المتنبي فى رثاء محمد بن إسحاق التميمي :
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى

رضوى على أيدي الجبال تسير
فهل يقصد ضخامة الجثة التي يحتويها
النعش ، وما تتمتع به من ثقل تنوء به
أعناق الرجال ، فيشبه هذه وتلك بما

يمتاز به الجبل من ضخامة وثقل ؟
الجواب « : كلا وألف كلا » وإنما
قصد تشبيه المرثى بالجبل فى رزائنه
ووقاره ومناعته ، ثم جسم هذه الصفات
المعنوية تجسيماً مادياً ، ومن هنا تسنى له
أن يعجب من حمل نعش المرثى على
أيدي الرجال ، .

ثم نعود إلى بيت حافظ ، فنقول :
ليس من الإنصاف أن يقرأ هذا البيت
منفصلاً عما قبله ، فهو أتبع له من
الظلال للأجرام ، والبيتان هما :

خرجت أمة تشيع نعشا
قد حوى أمة وبعراً عبابا

حملوه على المدافع لما
أعجز الهام حمله والرقابا
فنحن نرى أن حافظاً فى البيت الأول
شبه المرثى بالأمة على حد قوله تعالى : « إن
إبراهيم كان أمة قانتاً لله » وعلى حد قول
أبي نواس :

قولا لهارون إمام الهدى
عد اجتماع المجلس الحادث

أنت على مابك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

كما شبهه في البيت نفسه بالبحر
على حد قول الشاعر في ابن الحسين :

عجبت لحراقة ابن الحسيه
ن - لاغرقت - كيف لا تغرق ؟

وبحران من تحتها واحد
ومن فوقها واحد مطبق ؟

ومن البداهة بمكان أن كلا التشبيهين
لايعنى وصف المشبه بالكثافة ، وغزارة
الشحم واللحم ، وضخامة المفاصل
والعظام ، وإنما يرمى إلى ما يتمتع به
من عزائم ومكارم ومناقب ومواهب .
ولم يكن عجيبا بعد ذلك أن تعجز الرقاب
والهام عن حمل نعش يُقلّ أمة وبحرا
بالمعنى المتقدم ، فإنه لما كان الكلام
جاريا مجرى الاستعارة التصريحية
في البيت الأول أتبعها بالترشيح في
البيت الثاني ونعنى به إعطاء المشبه
بالمشبه به من صفات - وهو هنا

الكثافة ولثقل - والترشيح من محسنات
الاستعارة ، كما يعلم شاعرنا الكبير
صاحب الكتاب القيم في «التشبيه»
- وما أكثر مؤلفاته القيمة - وليس الترشيح
مقصورا على الليت ذى البلد الذى لم
تقلّم المفاره . على أن الجديد في هذا المعنى
هو مسألة الالتجاء إلى المدافع عند عجز

الرجال عن حمل هذه الأثقال ، ويمكن
أن يعد هذا من قبيل حسن التعليل ،
أما وصف المرثى بالعظم والضخامة ،
وإنزال صفاته المعنوية منازل المواد الحسية
فقديم مألوف كما سبقت الإشارة إليه
في بيت المتنبي ، ويمكن أن يعد منه قول
الشاعر في رثاء معن :

فياقبر معن كيف وارىت جوده

وقد كان منه البر والبحر مترعا ؟

بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
كما يمكن أن يعد منه قول أبي الحسن
الأنبارى في رثاء أبي طاهر بن بقية :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن

يضم علاك من بعد الوفاة

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا

عن الأكفان توب السافيات

فالمعالي صفات معنوية لا تشغل حيزا
من الفراغ ، فضلا عن أن يضيق بها
بطن الأرض ، ولكن لما جعلها من الوفرة
والكثرة بحيث تشبه التلال أو الجبال
ونحوهما خلع عليها صفات المشبه به ،
فضاق بها بطن الغبراء ، ولم يتسع لها
إلا فسيح الفضاء

٢- بين الشعارين الكبيرين : شوقي

وعلى الجارم :

وكنا في مجلس يضم نخبة من الأدباء
على رأسه المرحوم الجارم بك ، وجعلنا
نتنقل في رياض الأدب من فنن إلى فنن ،
حتى عرض بعضنا لمطلع قصيدة شوقي
في الأزهر :

قم في فم الدنيا وحى الأزهر

وانشر على سمع الزمان الجوهرا

وحينئذ انبرى المرحوم الجارم بك
قائلا : ألا تستقبحون هذه الصورة ؟
قلنا : أية صورة ؟ قال : صورة الدنيا
في شكل إنسان أو حيوان فاغر فاه ،
وشوقي بين فكيفها ، قدمه على الفك
الأسفل ، ورأسه تحت أنياب الفك
الأعلى ، وهو في الوقت نفسه يصبح
بتحية الأزهر الشريف . قلت له :
كأنك تفترض أن شوقي يجرد من نفسه
شخصا يخاطبه ، قال : ومن يخاطب
إذن ؟ قلت : إن الشاعر حر في اختيار
من يفترض خطابه ، فهو تارة يخاطب
ذاته ، كما في قول الشاعر :

أتصحو أم فؤادك غير صاح

عشية هم صبحك بالرواح ؟

وتارة يخاطب اثنين ، كما في قول
الشاعر مثلا :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
فما لكما في اللوم خير ولا ليا
وتارة يخاطب امرأة - زوجة كانت
أو غير زوجة - كما في قول الشاعر .

ذريني للغنى أسعى فلاني
وجدت الناس شرهم الفقير

وتارة يخاطب نفسه ، كما في قول
الشاعر :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال : ويحك لن تُراعى

فلأنك لوسألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لن تطاعى

وتارة يخاطب عينه ، كما في قول الشاعر :

كفكفى الدمع عند هول المصاب
أو ففيض دما على الأحباب

أما شوقي فهو هنا لا يخاطب نفسه ،

حتى تتمثل تلك الصورة المستهجنة ،

ولئلا يخاطب شعره طالبا إليه أن يخرج من

فم الدنيا ، حتى يسمع أبناؤها جميعا

تحيته للأزهر . وأشهد أن الجارم بك

تلقى هذا التخريج بالقبول الحسن ، وكان

رحمه الله ممن ينصاعون للحق إذا

اتضحت معاله .

٣- بين الشاعرين الكبيرين عباس
العقاد وعلى الجارم :

وكنّا في ندوة المرحوم العقاد ذات
يوم ، وإذا بجرس المسرة يدق ، وكان
المتكلم إحدى المغنيات تطلب إليه
أن ينتقى لها من بعض دواوينه قطعة
تلحنها وتؤديها ، وأشهد أنه جعل يتصفح
ويقلب ، حتى تفصد جبينه عرقا ،
ثم أرجأ البحث إلى وقت آخر ، فقلت له :
أليس في هذا المحصول الضخم من شعرك
قصيدة تحاكي قصيدة الجارم :

مالى فتنت بلحظك الفتاك

وسلوت كل مليحة إلّاك ؟

فقال ساخراً : وهل يعجبك هذا
المطلع ؟ قلت : ولم لا ؟ قال : ماوجه
التعجب هنا ؟ إن لاحظ إذا كان فتانا
فقط لم يكن ثمة وجه للتعجب من الافتنان
به ، فالشئ من معدنه لا يستغرب ،
فما بالك إذا لم يكن هذا اللحظ فتانا
فقط ، بل كان فتاكاً ؟ إن الافتنان به
حينئذ يكون أقرب ، وبالتالي يكون
التعجب منه أوغل في البعد . وكاد
العقاد ببلاغته وتدفعه في عرض قضاياه
المنطقية يلبس بيت الجارم التهمة ،

ولكننى بعد أن استعدت إدراكى مالبثت
أن قلت له : إن للتعجب هنا وجهها ،
بل وجهها ويدين ولسانا وشفتين ،
قال : كيف ؟ قلت : مقتضى كون
اللحظ فتاكاً أن يبتعد الإنسان عنه
خوفاً على حياته ، لا أن يحوم حوله
كما تحوم الفراشة على النيران ، فإذا
افتتن الإنسان باللحظ الفتاك كان
افتتانه مدعاة للعجب كل العجب ،
أترى الإنسان يفتتن بناب الأفعى ،
أو بمخالب السبع ، أو بجراثيم التيفوس
والتيفود ؟

على أن المرحوم العقاد لم يكن ممن
يسلمون بسهولة ، فظل يتكلم ، ويتكلم ،
ولكن دفاعى عن بيت الجارم ظل قائماً
لم يجد ماينال منه : فتاك
٤- بين الشاعرين الكبيرين شوقي
والعقاد :

وأذكر أننا كنا أيضاً في ندوة المرحوم
[العقاد ، وكنت إذ ذاك طالبا ، وكان
تمثال نهضة مصر في ذلك الوقت حديث
العامة والخاصة ، وظلعت علينا جريدة
الأهرام بلامية شوقي في ذلك التمثال ،
تلك اللامية التي يقول فيها متحدثاً عن
التمثال مختار :

تعالوا نرى كيف سوى الصفاة

فتاة تلملم أذيالها

ثم يستطرد في قصيدته إلى ذكر
محمد على وكيفية استيلائه على مصر ،
فيقول :

وليس اللآلئ ملك البحار

ولكنها ملك من نالها

فلما بلغ العقاد ذلك البيت وجدته
ينتفض كمن لدغته عقرب ، ويضرب
كفا بكف ، وهو يصيح قائلاً : لقد
سجل تنوقي هذا البيت الاحتلال البريطاني
على مصر .

والحق أن النقد في الصميم ، فلم
يسع إلا التسليم ، ولم ينبس أحدنا
ببنت شفة .

٥- بين العقاد وشاعر ناشئ :

وكان المرحوم العقاد دائم الزراية
بما يطلق عليه أصحابه اسم «الشعر الحر»
وأذكر أن أحد الدعاة لهذا النوع من
الكلام - ولا أقول الشعر - تناول
الأستاذ العقاد على صفحات الجرائد
بأبيات هجاء ، ورد فيها هذا المصراع :

«تعيش في عصرنا ضيفاً ونشتمنا ؟»
قلما قرأه المرحوم العقاد قال : أينما
الضيف ، وأينما صاحب الدار ؟ إنني
جئت إلى الدنيا قبله بعشرات السنين ،
فمن منا الأصيل ، ومن الطارئ الدخيل ؟
وليس من شك في أن هذه وجهة نظر
لايسع المنصف إلا التسليم بها ، وإن كان
صاحبنا ينظر من وجهة أخرى : إنه
يعتبر أن المستقبل له ، وأن العقاد
وأمثاله ممن بلغوا سن الهرم والشيخوخة
هامة اليوم أو غد ؛ فهم أشبه بالضيوف
الذين لا يطول مكثهم ، بل هم على وشك
الرحيل ، وإن كان في هذا التخريج
ما فيه من إساءة أدب ، ويذكرني هذا
بقصة ذلك الشاب الغرير الذي رأى
شيخاً مخنق القامة ، فقال له متندراً :
بكم اشتريت هذه القوس ؟ فأجابه
الشيخ : إن عشت يابني أخذت مثلها
بلاثمن .

٦- بين وبين عمدة أديب :

وعلى ذكر أستاذنا المرحوم العقاد
أذكر أنني رثيته بقصيدة عينية نشرت
بمجلة الرسالة ، وكان مطلعها :

جزع الشرق وأجرى أدمع
سائلوه أي خطب روعة

لاتلوه على فرط الأسى
فيلسوف الشرق خلى موضعه
كفنوا العقاد في أسفاره
وادفنوا المرقم والطرس معه
واسترسلت في بناء القصيدة ، حتى
وصلت إلى خصوم العقاد من الأقزام
الذين كانوا ينالون منه ليرتقوا على
حسابه ، فقلت :
نحلة دبّت عليها نحلة
وخضم فيه نقت ضفدعة

فأرسل إلى عمدة أدیب تعود أن
يحاورنى فى مسائل الأدب وقضاياها قائلا :
إن الضفادع لاتعيش ، ولاتنق فى الماء
المالح . وهو اعتراض - كما ترى - له
وجاهته ، جدير بالرد . والحق أنى لم أكن
أعرف هذه الظاهرة . على أننى بعد التأمل
وجدت هذا الاعتراض لاينال من بناء
التشبيه ، ولا يفض من قيمة البيت ،
وكان ردى عليه يتبلور فى نقطتين .

(أ) النقطة الأولى أن المشبه به لا يشترط
فيه أن يكون ممكن الحدوث ،
فنحن نشبه بالغول وبالعنقاء ،
والأول حيوان تخيلته العرب ،
والثانى طائر لا وجود له أيضا .

بل قد يبطوى التشبيه على ما يستحيل
تصوره ، كقول أبى الحسن التهامى :
ومكلف الأيام ضد ضباعها
متطلب فى المساء جسدوة ناز
كذلك قد يكون المشبه به صورة
لا وجود لها إلا فى الخيال كقول الشاعر :
وكان محمراً الشقي
نق إذا تصوب أو تصعد
أعلام يا قوت نشر
ن على رماح من زبرجد
ولعل تصور الضفادع تنق على ساحل
البحر المالح أقرب من تحقق صورة رماح
زبرجدية ترف عليها أعلام يا قوتية .
(ب) النقطة الثانية أن معاجم اللغة
تفسر الخضم بالبحر الواسع ،
وتفسر البحر بالماء الكثير ملحا كان أو
عذبا ، ويبدو أن تخصيص
البحر بالماء المالح ، وتخصيص
النهر بالماء العذب اصطلاح جغرافى
لا أكثر ، وما لنا نذهب بعيدا ،
وقد ورد فى التنزيل الحكيم مانصه
« وهو الذى مرج البحرين هذا
عذب فرات وهذا ملح أجاج » ؟
قد يقول قائل : إن البحرين هنا

من باب التغليب ، كما في قولهم : العُمَرَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ وعمر ، والمشرقيين للمشرق والمغرب ، ولكن ما الداعي إلى هذا التخريج ما دامت اللغة لا تفرضه ، ولا تأبى المعنى الأصلي ؟

(٧) بينى وبين أستاذ جامعى :

ونعنى به الدكتور أحمد كمال زكى الكاتب المعروف ، وهو مولع بنقد الشعر ، كثير التجنى على الشعراء ، وأكثرهم مظاهر هذا التجنى إنما ينجم عن تطبيق المقاييس العلمية على الصور الشعرية . وعلى سبيل المثال أذكر ملخص نقده للبيتين الآتيين من قصيدة لى فى جمال الربيع .

قالوا الربيع فقلت العدل شيمته
لا فى النهار ولا فى الليل طغيانُ
تعاذل الليل ميه والنهار معا
كأنما هو للأيام ميسزانُ

يقول سيادته : إن الفكرة فى البيتين

غير صحيحة لسبب علسى هو أن الربيع لا يعتدل فيه الليل والنهار إلا فى أول يوم من أيامه ، وسبب ذلك ميل الأرض على مستوى فلكها بمقدار ٢٣ر٥ درجة تقريبا ، وهذا الميل يجعل أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء . . إلى آخر ما ذكره مما هو إلى المحاضرات العلمية أقرب منه إلى نقد الأبيات الشعرية .

ولم يسعنى إلا التسليم بالحقيقة العلمية التى ذكرها ، ثم أردفت هذا التسليم بأننا حين نتكلم عن الربيع نعنى مقدمه ، فهو الذى يشيع البهجة ، وهز المشاعر ، وفى مقدمة هذا الفصل يتعادل الليل والنهار ثم يكونان أقرب إلى التعادل ، وهذا يكفى لتحقيق سلامة البيتين من الوجهة الشعرية . وينبغى أن يدخل فى الحسبان أن نظرة الشاعر إلى الربيع غير نظرة العالم الفلكى إليه ، بل ينبغى أن يفرق الناقد بين نظرة العالم - بصفة عامة - إلى الشيء ونظرة الشاعر إليه ، فإذا شاء مزيدا من التفصيل فى هذه المسألة الهامة قلنا له ما يلى :

(أ) إن الشعر يتغنى مثلا بجمال الربيع ، ولكن العالم الفلكى قد يجرده من كل جمال ، ويعتبره أقسى فصول العام بالنسبة للأصقاع الواقعة فى منطقة خط الاستواء ، حيث تتعامد الشمس على تلك البقاع عند حلول الربيع ، فتصلبها حرا يذيب دماغ الضب ، فهل من أجل ذلك ينبغى علينا أن نستنهجن كل ما قيل من الشعر العربى والشعر الغربى فى التغنى بجمال الربيع ؟

(ب) إن الشعر يتغنى بجمال الزهر في الربيع نفسه ، ولكن علم التاريخ الطبيعى يحذرك من الزهر كما يحذرك من الأفاعى والصلال ؛ فهو في أثناء الليل يمتص الأكسوجين من الهواء ، وينفث ثاني أوكسيد الكربون الذى يفسده ، ومن هنا كان النوم في الحدائق مظنة الاختناق ، وإلى ذلك يشير شوقي في قصيدة نهج البردة بقوله محدثا نفسه عن الدنيا :

لا تحفلى بجنائها أو جنائنها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

(ج) إن الشعر يتغنى بقبلة من خد الحبيب ، أو رشفة من فيه ، ولكن الطب يحذرك من الأولى لأنها تنقل العدوى ، ويحذرك من الثانية لأن رضاب الحبيب تفرزه غدد خاصة ، لا ليمتص رحيقه ، بل ليسهل عملية ازدراد الطعام ، ويحيل ما فيه من نشويات إلى مواد سكرية . ثم هو لا يفرق بين رضاب الكاعب الحسناء ، ولعاب الحيزبون الشوهاء ، على حين يجد الشاعر الأول سلافا ، والثاني سمازعا .

(د) يتغنى الشعر مثلا بجمال الماس وأشعة القمر على حين أن العلم لا يرى في الأول أكثر من حجر يتكوّن في باطن الأرض بنفس الطريقة التى يتكون بها الفحم ، ولا يرى في الثانى - ولا سيما بعد الوصول إليه - أكثر من جسم معتم يتكون من صحارى شوهاء جرداء لا تنبض بالحياة .

(هـ) يتسع الشعر مثلا لقول الشاعر :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قومٌ لقليل اقلعوا يا آل عبّاس

على حين يقول لك العالم الفلكى : إن بيننا وبين الشمس ٩٣ مليون ميل ، فكيف يتسنى الصعود ؟ ولو تسنى الصعود فكيف يتسنى القعود ؟ إن الشمس كتلة غازية ملتهبة ، يتحول الصاعد إليها قبل أن يصلها إلى كتلة من الفحم ؛ فالشعر يرى هذا البيت من قبيل الإغراق في المديح ، والعلم يرى فيه إلقاء الممدوح بين أحضان الجحيم .

وفي هذا القدر كفاية ، فلنجتزئ به والله أعلم بالصواب ، وهو ولى التوفيق
محمود غنيم

معاجمنا اللغوية بين الإحياء والتجديد

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

مشدوهاً لا يستطيع إلا أن يبحث فيها عن
شيء ، وكأنه أمام الغاز معقدة .

ذلك كان عهداً عرف للغة الفصحى
التي ننتسب إليها قدرها ، ولم يضمن بمال
أو جهد في سبيل نشر المعاجم التي وضعها
علماء اللغة ، وتوزيعها على طالبي العلم
على أوسع مدى .

وكانت لاتخلو مكتبة من مكاتب
الدور الحكومية من نسخة من أكبر
المعاجم الموضوعة في العربية وهو «لسان
العرب» بأجزائه العشرين . ومازلت
أذكر أنني حين التحقت بوظيفة في
وزارة الزراعة وجدت في مكتبة تلك
الوزارة نسخة من «لسان العرب» ،
ونسخة من «المخصص» ، ثم وجدت

أذكر بالتقدير والثناء
تلك اليد الكريمة التي

ومازلت
أذكر

كانت تقدمها إلينا الوزارة المشرفة على
التعليم ونحن في المراحل الأولى من دراساتنا
حين كانت توزع علينا في مدارسنا المعجم
الصغير «مختار الصحاح» ثم من بعده
«المصباح المنير» ، ثم «القاموس المحيط»
لنتعرف منذ نعومة أظفارنا على أصول
هذه اللغة التي نتلقى بها دراساتنا في كل
فروع المعرفة ، ونمارس البحث في هذه
المعاجم على ما نريد . على حين أذكر الآن
بالأسى والرثاء عدول تلك الوزارة منذ
سنوات عن تقديم مثل هذه المعاجم ،
فلا يعرف أبناؤنا شيئاً عنها ، ولا تقع
أبصارهم عليها ؛ حتى إذا قُدِّر لواحد منهم
أن يطلع على معجم منها وقف حائراً

هذين الكتابين في مكتبتى مجلس الشيوخ
ومجلس النواب عندما انتقلت إلى البرلمان.
بل حدثنى صديق أبيبٌ كبير شغل
منصباً في مصلحة البريد فقال إنه عجب
حين وجد في تلك المصلحة نسخة من
لسان العرب .

ثم مضى الزمن ، وانصرفت مدارسنا
ومعاهدنا عن توزيع المعاجم اللغوية على
تلامذتها وطلابها فانقطع طبع هذه المعاجم
الصغيرة وندر وجودها ، وارتفع ثمن لسان
العرب ارتفاعاً فاحشاً تعذر معه على الكثرة
الساحقة من الأدباء أن يقتنوه . وكما
انصرفت المدارس والمعاهد عن تزويد
أبنائها بهذه المعاجم فقد انصرفت أيضاً
دور الحكومة عن تزويد مكاتبها بواحد
منها .

ولأنى لأذكر أنى زرت منذ أعوام مكتبة
إحدى المدارس فلم أجدها إلا نسخة واحدة
من « المنجد » محفوظة في حرز مكين لم
تَمَسَّسْهَا منذ أَقْتُنِيَتْ يدٌ بخيرٍ أو شرٍ ،
لا من دارسٍ . ولا من مدرّس !

* * *

على أن هذا التنكّر لمعاجمنا اللغوية ،
صغيرها وكبيرها ، لم يثنِ عزم القائمين
بالذود عن لغتنا الخالدة - لغة كتابنا
الخالد - عن المضيّ في هذا السبيل على
الرغم من كل مشقة . فنهض فريق
بتحقيق بعضها وإحيائه ، ونهض فريق
آخر بتجديده وإنشائه . وجمع بين هذين
العملين الجليلين : مجمع اللغة العربية
في القاهرة .

فقد حرص هذا المجمع منذ إنشائه على
وضع معجمين : وسيط وكبير إلى جانب
عمله في وضع مصطلحات حديثة في كل
باب من أبواب المعرفة . وأخرج منذ
سنوات « المعجم الوسيط » ليسدّ به
ثلمة كبيرة لأن المعاجم الحديثة التي
سبقته لم تستطع أن تتخلص من قيود
الماضى ، فهو كما يقول الأستاذ الدكتور
إبراهيم مذكور : « أَوْضَحُ ، وَأَدْقُ ،
وَأَضْبَطُ ، وَأَحْكَمُ منهجاً ، وأحدث
طريقةً ، وهو فوق هذا مجددٌ ومُعاصِرٌ ،
يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب
ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ، ويهدم
الحدود الزمانية والمكانية التي أُقيمت
خطأً بين عصور اللغة المختلفة ، ويثبت

أن في العربية وحدة تضم أطرافها ،
وحوية تستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه
في قالبها ؛ فيه ألفاظ حديثة ، ومصطلحات
علمية لم يرخص المجمع الفرنسي أن يدخلها
في معجمه إلا بعد مضي مائة سنة تقريباً
من نشره ، وفي الطبعة الرابعة ؛ . ويقول
إنه « رسم منهجاً جديداً في فنّ المعاجم
العربي » .

ثم أخرج المجمع منذ عام الجزء الأول
من « المعجم الكبير » الذي وقع في ٧٠٠
صفحة وكُسّر على حرف الهمزة . وهو
بحق كما ذكر السيد الدكتور الأمين
العام للمجمع : « لونٌ جديد في عالم
المعجمات العربية ، فيه تأصيل وتحقيق ،
وجمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر
الأولى ، وتعويل ما أمكن على النصوص
الثابتة » .

* * *

ثم ولّى المجمع وجهه شطر التراث العربي
في هذا الباب . فكوّن لجنة لنشر معجم
الصغاني « التكملة والذيل والصلة » لكتاب
تاج اللغة وصحاح العربية « الذي
استدرك فيه ما فات الجوهري في « الصحاح »
وخرج إلى الوجود من هذا المعجم جزءان

لتلحق بهما أجزاءه الأربعة الباقية في
تحقيق دقيق وإخراج أنيق .
وقد علمنا أن في نية المجمع نشر
معجم « الصحاح » للجوهري على النهج
الذي أخرج به تكمته . وهو عمل جليل ،
ويدّ كريمة يُسديها أساتذتنا الأجلّة أعضاء
المجمع الموقر تشكرها لهم الأجيال
المتعاقبة .

* * *

وأمام هذا التفكير العلمي الجليل ،
نرجو مُلحّين - مادام لم تقف ظهور
طبقات سابقة لبعض المعاجم حائلاً بين
نهوض المجمع بإعادة نشرها - أن يُولي هذا
المجمع معجم « تهذيب اللغة » للأزهري
عناية ورعاية ، فيعيد نشره من جديد ،
وأن يقصر أمر تحقيقه على عدد قليل
من العلماء الذين تَمَرَّسوا بالتحقيق
والتدقيق في التراث العربي ، وعُرفوا
بالتقريب والتنقيب في معاجم اللغة ،
وقضوا زهرة شبابه وما زالوا على الرغم
من أكاليل الشيب التي تنوّج رؤوسهم
مكبّين على أمهات الكتب في اللغة والأدب ،
فتعهد إليهم بتحقيق « التهذيب » من
جديد ، فهو أحد مصادر « لسان العرب » .

وأن يوكل إلى هذا العدد القليل من العلماء الذين سيقومون بالتحقيق أمر المشاركة في مراجعة ما يتم تحقيقه ليكون بين الأجزاء جميعها ترابط وألفة ، فتضبط الأعلام التي تتكرر ضبطاً واحداً ، فلقد وجدنا في أحد الأجزاء اسم « ابن شميل » مضبوطاً « ابن شميل » ولا نعلم أن في هذا الاسم قولين على حد هذا التعبير ، ولئن نسب الشواهد إلى أصحابها فلانجدها كما هي في الطبعة الحالية منسوبة في جزء ، وغير منسوبة في آخر ، أو مروية على وجه في موضع ، وعلى رواية أخرى في موضع .

ثم يضع المجمع إلى جانب هؤلاء العلماء طائفة أخرى تقوم بتخريج ما نقل عن الأزهري في المعاجم أو كتب اللغة وأدب والتفسير والحديث لتكون إلى جانب مخطوطات هذا المعجم سنداً يرجع إليه في مقابلة النص .

وليس هذا الرجاء طعناً في كل ماخرج من أجزاء هذا المعجم ، ولكن الحقيقة التي يلمسها كل من يطلع عليه هي أن تحقيق بعض الأجزاء لم يرتفع إلى مستوى بعض أجزائه الأخرى التي حققت بدقة . وقد ظهر لنا خلال الرجوع إليه في بعض

ما نقوم بتحقيقه من دواوين الشعر الجاهلي أن في الطبعة التي بين أيدينا نقصاً تكرر في كثير من المواضع ، بل تبين لنا سقوط مواد بأكملها ، وتحريف في بعض العبارات ، وزاد الطين بلة سوء الطباعة وعدم الدقة في التصحيح .

ونحن نعلم أن ابن منظور كان شديد التوقى فيما ينقل عن المصادر التي بين يديه فهو حين ينقل عن الجوهري في الصحاح ينقل كلام الجوهري بنصه ، وكذلك يفعل حين ينقل عن الأزهري في التهذيب ، وأ ينقل عن ابن الأثير في النهاية ، ويصنع هذا الصنيع في كل ما يعتمد عليه من المصادر ؛ ناسباً كل نص إلى صاحبه في أمانة . والدليل على أمانته وصدقه ودقته أنه في مادة « شقف » قال : « أهمله التهذيب » ، وهذا صحيح .

ومن الأمثلة التي نذكرها على سبيل المثال لا الحصر لتكون حجة تؤيد رجاءنا :

● وجدنا ونحن نحقق «ديوان المتلمس»
الضبي «ابن منظور وهو يروى في اللسان
(٤ : ١٠٤ «جمد») بيت المتلمس :

جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ ! وَلَا تَقُولَنَّ
لَهَا أَبَدًا إِذَا ذُكِرَتْ : حَمَادٍ

يقول : «وفي نسخة من التهذيب :
حَمَادٍ لَهَا حَمَادٍ : وَلَا تَقُولِي
طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرَتْ : جَمَادٍ
وفسر فقال : أحمدناها ولا تدمها» .

فهذا النص لم يرد في طبعة التهذيب
في مادة «جمد» أو في مادة «حمد» .

● وخلال تحقيقنا للديوان الحارث بن
حلزة حيث يقول في إحدى قصائده :

وَتَنَى لَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ يَجْرُهُ
جَرُّ الْمُفَاشِغِ هَمٌّ بِالْإِرَامِ

وجدنا ابن منظور يروى في اللسان
(١٠ - ٣٣١ «فشغ») نصين عن
الأزهرى :

الأول : «وروى ابن برى عن
الأزهرى أن الفُشَاغَ يثْقُلُ وَيُخَفِّفُ» .
الثاني : «المفاشغة : أن يُجَرَّ وَلَدُ
الناقة من تحتها فيُنَحَرَ وتُعْطَفَ على ولد

آخر يُجَرُّ إليها فيُلْقَى تحتها فتَرَأُّهُ .
يقال : فاشغَ بينهما . وقد فُوشِغَ بها .
وقال ابن حلزة :

بَطَلٌ يُجَرُّهُ وَلَا يَرْتِي لَهُ
جَرُّ الْمُفَاشِغِ هَمٌّ بِالْإِرَامِ

وقد نقل الفيروزآبادي في القاموس
المحيط نص عبارة الأزهرى ، ونقلها
الزبيدي مع بيت الحارث في التاج
برواية «بطلا» على النصب نقلاً عن
الأزهرى . فرجعنا إلى التهذيب فلم نجد
فيه مادة «فشغ» ، فأردنا أن نقطع
الشك باليقين فانتقلنا إلى مادة «شغف»
لعلنا نجد هذه المادة فلم نجدها أيضاً ،
على حين وجدنا ابن منظور قد نقل في
اللسان (١١ : ٨٠ «شغف») نصين
كذلك من التهذيب ، ولكنهما ضاعا منه
بضياح المادة من النسخة المطبوعة

الأول : «الشغاف : مَوْلِجُ البلغم .
ويقال بل هو غشاء القلب» .

الثاني : «وروى الأزهرى عن الحسن
في قوله «قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» (الآية ٣٠ يوسف)
قال : الشغف أن يكوى بطنها حبه» .
هذه أمثلة من سقوط مواد بأكملها .

أما الأمثلة على النقص فهي :

● قال ابن منظور في اللسان (٥ : ١٠٦)
« بحر » في السطور ٦ - ٩ : « وحكى
الأزهري عن ابن عرفة : البَحيرة :
الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، والخامس
ذَكَرُ نَحْروه فأكله الرجال والنساء ،
وإن كان الخامس أنثى بَحَروا أذُنْها أي
شَقُّوها فكانت حراماً على النساء لَحْمُها
ولَبَنُها وركوبها ، فإذا ماتت حَلَّت
للنساء » .

وقد سقط ذلك من الجزء الخامس
صفحة ٣٨ من التهذيب .

● وذكر ابن منظور في اللسان (١٠ :
١٣٢ « بصر ») عند الكلام على الآية
الكريمة * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ .
وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ * (١٥ : القيامة) :
« قال الأزهري : يقول بل الإنسان
يوم القيامة على نفسه جوارحه بصيرة بما
جنى عليها وهو قوله * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنَتُهُمْ * (٢٤ : النور) . قال : ومعنى
قوله * بَصِيرَةٌ * عليه بما جنى عليها * وَلَوْ أَلْقَى
مَعَاذِيرَهُ * أي ولو أدلى بكل حجة . وقيل :
ولو ألقى معاذيره : سُتوره والمُعْذَر :
السُّتر » .

وهذه العبارة ساقطة من آخر النهر
الثاني في الصفحة ١٧٤ من التهذيب .
وقد جاء بعد الآية في التهذيب كلام
الفراء ، وكان ابن منظور قد نقل أيضاً
كلام الفراء وذلك بعد العبارة التي أخلت
بها طبعة التهذيب ، وهذه العبارة رواها
أيضاً عن الأزهري أبو عبيد الهروي أحمد
ابن محمد في كتاب « الغريبين » (١ :
١٧٣) .

وأما أمثلة التحريف فعديدة لانستطيع
حصرها . ولكن ظهر لنا كما قلنا ونحن
نحقق ديوان الحارث بن حلزة أن ابن
منظور نقل في اللسان (٧ : ٢٠٤ « حلز »)
كلاماً للجوهري في الصحاح ، وكلاماً
للأزهري في التهذيب فوجدناه ينقل
كلامهما ، ولكنه في عبارة التهذيب حين
عقب الأزهري على قول لقطرب وأنه ليس
من الثقات ، وهو « وله في اشتقاق الأسماء
حروف منكرة » جاءت هذه الكلمة
في التهذيب المطبوع « حروف مفردة »
ونص اللسان هو الأصح .
ونرجو أن توضع له فهارس متعددة
وافية حين يعاد طبعه .

* * *

ولنا لنأمل أن تهَيَّ الأَيام للمعجم العربي الضخم « لسان العرب » نشرة محققة مصححة منسوبة الشواهد ، مختومة بفهارس تكشف عما في هذا المعجم من معارف وتيسر للباحثين الطريق إليها ، وتكشف لنا عن شعراء زخر بهم هذا الكتاب لم يرد لهم ذكر في غيره .

وكان المرحوم العلامة أحمد تيمور قد عني بتصحيح بعض أخطاء وقع بصره عليها في هذا المعجم ، ثم عني أخيراً الأستاذ عبدالسلام محمد هارون بتعقيب أجزائه واحداً بعد آخر فنشر سلسلة من التصويريات لعلها تجمع في كتاب ليكون في متناول المنتفعين بهذا المعجم ، وليكون عوناً للمحققين إذا هيات الظروف لهذا المعجم أن يأخذ حظه من النشر العلمي الجدير به .

ونحب أن نشير هنا إلى أن طبعة حديثة من اللسان ظهرت أخيراً في بيروت في ثلاثة أجزاء قام بإعدادها وتصنيفها الأستاذان يوسف خياط ونديم مرعشلي ؛ أعاد فيها ترتيب مواده على أوائل الحروف لا على أواخرها ، وألحقا به معجماً ضم كل ما أقرته المجامع اللغوية

في القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات . وقد قال عنه العالم الجليل الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أن المصنِّفين لهذا المعجم « بلغ توخيها الكمال في إخراجها للناس حداً يشير الإعجاب الشديد بجُلدهما ، والتقدير الخالص لتضحيتهما ، ويدل على ما بلغه فن إخراج المعجم من إتقان وجمال » .

* * *

وقد نشط أخيراً معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فدفع بالأجزاء الباقية من معجم « المحكم والمحيط الأعظم في اللغة » لابن سيده إلى المطبعة بعد أن توقف نشره منذ سنوات عند الجزء الثالث ، فخرج للناس الجزء الرابع ، وأوشك أن يطلع عليهم الجزء الخامس ، لتلحق بهما بقية أجزائه .

* * *

وكانت حكومة دولة الكويت قد نهضت في السنوات الأخيرة بعناء كبير في نشر معجم الزبيدي « تاج العروس » وعهدت إلى طائفة من الأساتذة المحققين القيام بتحقيق أجزائه ، ونشرت على

الناس ثمانية أجزاء منه ، ونأمل أن
تتقدم خطوات النشر ليكون هذا المعجم
بين أيدي الناس في وقت قريب . وهو
جهد تشكر عليه هذه الدولة العربية
الناهضة ، وعمل من أعمال وزارة الإعلام
هناك يسجل لها بالشكر والتقدير .

* * *

وثمة معجم آخر كان المجمع العلمى
فى العراق قد عاون على إخراجه فصدر
منه الجزء الأول ؛ ذلك هو كتاب
« العين » للخليل بن أحمد بتحقيق
الدكتور عبد الله درويش . وما زلنا
نترقب ظهور بقية الأجزاء .

* * *

وفى القاهرة أعيد نشر معجم «مقاييس
اللغة » لابن فارس الذى حققه الأستاذ
عبد السلام هارون فى طبعة جديدة بعد
أن نفدت طبعته الأولى .

ولعل الأستاذ محمد محي الدين
عبد الحميد يكمل نشر معجم ابن فارس
«المجمل » الذى نشر منه جزءا منذ
سنوات .

* * *

بقى معجمان جديران بإعادة نشرهما
بتحقيق وافٍ : هما « الجمهرة فى
اللغة » لابن دريد ، و « المعيار »
للشيرازى . ولعل مجامعنا اللغوية
الموقرة تتقاسم العمل على إظهارهما مع
غيرهما من المعاجم التى لم يقدر لها حتى
الآن أن تخدم خدمة علمية صحيحة .

* * *

ولنا رجاء أخير يتصل بالمعجم الكبير
الذى يخرج مجمع القاهرة الموقر هو أن
يضم الألفاظ التى وردت فى الشعر
العربى ولم ترد فى المعاجم القديمة . وإلى
لأذكر على سبيل المثال بعض ألفاظ
عرضت لى فى شعر المتلمس عند تحقيق
ديوانه مثل : « جيش طوس » ،
« ملزق » بمعنى ملجأ ، « ترامقه » بمعنى
تغلقه .

وفى شعر المثقب العبدى : « قُشارى »
جمع قِشر ، « المُعين » بمعنى الأجير ،
« لُطم » .

وكان الأستاذان أحمد محمد شاكر
وعبد السلام محمد هارون قد أشارا فى

والمفضليات « وفي « الأصمعيات » إلى طائفة من الألفاظ التي لم ترد في المعاجم .

ونرجو أيضاً أن يضم « المعجم الكبير » المصطلحات الخاصة بعلوم البحار - كما أشرت في مقالتي الذي نشر في الجزء الرابع والعشرين من مجلة المجمع حيث ذكرت طائفة مما جاء في تأليف ابن ماجد . كذلك ماورد في مفاتيح العلوم للخوارزمي .

ومع تقديرنا للجهد الذي بُذل في إخراج « المعجم الكبير » فإن لنا رأياً في بعض ما نشر فيه من خارطات كخريطة أمريكا التي شغلت الصفحة ٤٧٥ ، وخريطة إنجلترا التي شغلت أيضاً الصفحة ٥٣٤ وغيرهما من خارطات لا محل لها في هذا المعجم ، ومن الممكن أن تصغر رسومها ما أمكن لأننا لا نتصور أن أحداً سيرجع إليها في المعجم اللغوي وبين يديه العديد من المصورات الجغرافية قديمها وحديثها .

والذي أراه حرياً بأن يشغل بعض صفحات هذا المعجم هو خرائط يحدد

فيها بقدر الإمكان مواضع البلدان التي ذكرها جغرافيو العرب في مؤلفاتهم ، والتي تردد ذكرها في الشعر وفي كتب التاريخ والفتوح .

* * *

كما نرجو - وقد أخذ المجمع الآن في إعادة طبع « المعجم الوسيط » بعد أن نفذت طبعته الأولى - أن يكون قد أخذ بالآراء التي أبديت من طائفة من مقدرى هذا العمل الجليل ، كما تكون الطبعة الجديدة قد روعي فيها النظرات الصائبة والتعقيبات الموفقة التي نشرها في سلسلة من المقالات في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب .

* * *

أما المعاجم المتخصصة مثل المعاجم الزراعية والنباتية والطبية والفلكية والحيوانية التي نهض بها أفراد من علمائنا الأجلاء ، فإننا لنرجو إحياء هذه المعاجم ، والتوسع في هذه الأبواب .

حسن كامل الصيرفي

النشاط المعجمى العربى :

أصيل أم دخيل؟

للدكتور محمد سالم الجدى

فى اللغة العربية بجامعة الأزهر ، أو
بكلية دار العلوم ، أو بأقسام اللغة
العربية المتعددة ، فيتقدم للعمل به جمع
شغير ، لا تلبث إدارة المجمع حين
تختبرهم أن تكتشف جهلهم الفاضح
بكيفية استعمال أمهات المعاجم العربية
فى الكشف عن ألفاظ لغتهم القومية ،
التي قضوا للتخصص فى دراستها كل
حياتهم الجامعية ، ثم يزيد هذا الجهل
بشاعة عدم إلمام هؤلاء الخريجين بتاريخ
المعجم العربى نفسه ، وهو مجال هام
من مجالات التراث الفكرى والعلمى ،
تعز اللغة العربية بحصيلتها الضخمة
فيه ، وثروتها الوفيرة منه .

والحق أن الذى يقارن الدارس
المتخصص للغة العربية من أبناء الوطن
العربى فى هذا الصدد ، بأشباه المتعلمين

١- جامعاتنا والوعى المعجمى .

٢- دوافع التأليف المعجمى عند
العرب .

٣- ماهو المعجم ؟

٤- النشاط المعجمى عند الأمم
القديمية :

(أ) عند المصريين والساميين .

(ب) عند الصينيين .

(ج) عند الهنود واليونانيين .

٥- مدى تأثير العرب بغيرهم فى
نشاطهم المعجمى .

(١)

كثيراً ما يعلن المجمع اللغوى عن حاجته
إلى محررين يعملون به ممن تخصصوا

وأنصافهم من أبناء اللغات الأوربية يعود بالكثير من الحسرة والألم ، لأن الناشئ من أبناء أى لغة أوربية ذات أدب وحضارة كاللغة الانجليزية مثلا ، يكون ذا وعى معجمى قوى ، لا يسمح له أن يكتفى في فهمه للجديد عليه من ألفاظ لغته بالاستنتاج المتسرع الذى قد يوحي به السياق - ولكنه معرض للخطأ - أو بالمعنى المشوش الذى قد تودى إليه مقارنة الكلمة بأشباهاها في النطق أو الكتابة ، بل إنه لا يثق في حسه اللغوى في ضبط الكيفية التى تنطق بها هذه الكلمة الجديدة عليه . ولهذا كله يرجع إلى المعجم فيحصل منه على الوصف الدقيق لكيفية نطق الكلمة ، والتحديد الواضح لمعناها أو معانيها ، والبيان الوافى لاستعمالاتها ، ولدراسات كثيرة أخرى ذات طبيعة لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية تتصل بهذا اللفظ الجديد عليه . وهكذا تنمو الثروة اللفظية عند الناشئين من أبناء هذه اللغات نمواً سليماً ، خالياً من اللحن أو التحريف في اللفظ ، بريثاً من اللبس والغموض أو الاهتزاز والتشوش في المعنى ، مما يساعد اللغة

على القيام بدورها لأمتها خير قيام .
فاذا قارنا هذا الوضع بما يحدث للمتخصصين من أبناء العرب في اللغة العربية وآدابها - بله غيرهم من ذوى التخصصات الأخرى ، أو صغار الناشئة أو عامة الناس - فإن الحسرة تتعمق في نفوسنا ، لأن هؤلاء يتمون تعليمهم الجامعى دون أن يتعودوا استعمال معجم ، أو يألفوا الرجوع إلى قاموس ، مع أن دواعى ذلك بالنسبة للغة العربية ، أشد منها وأقوى بالنسبة للغة كاللغة الانجليزية ؛ ويرجع ذلك إلى أسباب عدة ، منها :

(أ) أن التفاوت بين لغتي التخاطب والأدب أوسع في العربية منه في الانجليزية .

(ب) أن لأدب اللغة العربية من القداسة التى يضيفها القرآن الكريم ما لا يوجد نظيره في الإنجليزية .

(ج) أن حرص الناطقين بالعربية على وحدتهم الثقافية وتجاذبههم الفكرى يفوق - أو ينبغى أن يفوق - حرص الناطقين بالانجليزية على ذلك .

وعلى الرغم من ذلك كله فإنه يبدو أن شبابنا المثقف يعانى كسلا ذهنيا عجيبا ، بحيث يرضى بالفهم الناقص للنص الأدبي الذى يحتوى مفردات لغوية جديدة عليه ، أو يقنع بما يوحيه السياق من معنى مهتز أو مخطئ لهذه الألفاظ أو- وهذه هى الطامة الكبرى - يردد الألفاظ ترديدا بيبغاويا دون الإحساس بالحاجة إلى فهم ماتعنيه هذه الألفاظ ، بل لعلهم لا يحسنون ترديد هذه الألفاظ فيخطئون حتى فى مجرد نطقها وهم لا يشعرون أنهم مخطئون .

وسبب ذلك فى رأيي ، هو أن وعينا المعجمي - إن كان عند شبابنا المثقف وعي معجمي على الإطلاق - أدنى بكثير من المستوى الذى ينبغى أن يكون عليه الوعي المعجمي لأبناء أمة كالأمة العربية ، تتمتع لغتها بتاريخ أدبي طويل ، وتدخر كنوزا ثقافية ثمينة ، وتتطلع إلى مستقبل مستنير كريم . وإذا كان هذا الانحطاط فى الوعي المعجمي يشين غير المتخصصين من أبناء الأمة العربية ، فإن عاره على المتخصصين فى اللغة العربية أنفسهم يكون أشد وأنكى .

لهذا كله نتحتم علينا العناية بالجانب المعجمي من تراثنا اللغوي ، وفاء لهذا التراث المجيد من ناحية ، وتنمية للوعي المعجمي عند أبناء العربية ومتعلميها من الناحية الأخرى ، فليس هناك شك فى أنه كلما استحكم ربط الاستعمال اللغوي بالمعجم ، كانت اللغة أقل تعرضا للتفتت اللهجي ، والتحريف اللفظي والتفاوت أو الغموض المعنوي ، وبذلك تظل اللغة أكثر ارتباطا بتراثها الأدبي ، وأقدر على التمسك بوحدتها ، ووحدة الناطقين بها ، وعلى الحرص على المستوى المشترك بين مستعمليها . إن ربط اللغة بنشاط معجمي موفق ، وتعميم الوعي المعجمي عند الناطقين بها ، لا يحرم اللغة فى أى مستوى من مستوياتها من التطور الطبيعي ، الهادئ ، المرغوب ، وإنما يعصمها من الفساد السريع ، والتحلل الطفري ، الذى لو تم لجعل من المتعذر على الأجيال اللاحقة الاستفادة من النتاج الأدبي والفكري للأجيال السابقة ، بل إنه ربما جعل من المتعذر على مستعملي اللغة فى بقعة جغرافية أن يفهموا فهما

كاملا سليما ما ينتجه أبناء أمتهم في جيلهم نفسه لكن في بقعة جغرافية أخرى .

وهذا كله يحتم علينا نحن أبناء لغة الضاد إذا كنا حريصين على أن نستعمل في وطننا الفصحى مستوى لغويا مشتركا (Astandard linguistio génre) أن ندرك الدور الخطير الذى يلعبه المعجم اللغوى ، والوعى المعجمى في تحقيق ذلك المستوى المنشود .

وأول خطوة في هذا الإدراك ، أن نتدارس تاريخ المعجم العربى ، وأن نضع النشاط المعجمى العربى في مكانه الصحيح^{١٩} من تاريخ^{٢٠} فن المعجزة العالمى .

(٢)

لم يكد الإسلام ينتشر ، ويدخل فيه أهواج من أمم غير عربية ، حتى اشتدت الحاجة إلى دراسة منظمة للغة العربية لكي يستطيع المسلمون جميعا قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة ، وفهم نصوصه فهما سليما (فقد كان المسلمون - ولا

يزالون - يعتبرون أى لحن في قراءة القرآن إثما عظيما) ، ولكى يتيسر على غير العرب من المسلمين أن يتعلموا اللغة العربية ، ويندمجوا تمام الاندماج في الأمة الإسلامية . وقد ظهر من علماء المسلمين من كرموا جهودهم للوفاء هذه الحاجة فقاموا بملاحظة الظواهر اللغوية في اللغة العربية على مختلف مستوياتها ملاحظة علمية ، كما قاموا بجمع موادها ، وتدوينها في مؤلفات حفظ الزمان لنا منها الكنوز الثمينة ، على الرغم من الكثير الذى أباده منها وأضاعه .

ويقرر العلامة العربى المغربى عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته^(١) ، أن اللغة العربية التى أنزل بها القرآن تعرضت لنوعين من الفساد السريع نتيجة لدخول غير العرب في الإسلام ، ومحاولتهم استعمال اللغة العربية .

١ - فساد في اللفظ ، يتمثل في الخطأ في النطق ، وقد عولج هذا الفساد بظهور علم النحو .

(١) النظر مقدمة ابن خلدون كما ترجمها روزنثال إلى الإنجليزية ج ٢ ص ٣٢٨ ، وأيضا ص ٤٤٦ - وما بعدها .

٢- فساد في معنى اللفظ ، يتمثل في استعمال اللفظ في غير مجاله المعنوي ، وقد عولج هذا الفساد بظهور المعاجم .

وهكذا ظهر الفرعان التوأمان للبحث اللغوي في تاريخ اللغة العربية . والذي يعنينا الآن هو التأريخ لفن تأليف المعاجم (أو فن المَعْجَمَة) العربية الذي قدر له أن ينمو سريعا حتى يصبح عملاقا ، قلما تستطيع أن تباهي بمثله لغة إنسانية أخرى .

ولحسن الحظ أن التاريخ قد حفظ لنا كثيرا من ملامح المعاناة التي صاحبت مولد هذا العملاق ، وهيأت له ، وأتاحت له أن ينمو ويتطور حتى يبلغ الذروة في قاموس جامع شامل أقرب إلى موسوعة لغوية منه إلى معجم ألفاظ ، ذلك هو « لسان العرب » لابن منظور . ولكن ظهور مثل هذا المعجم الموسوع الشامل ، الدقيق الترتيب ، الجامع لصنوف البحث اللغوي المتعلقة بكل لفظ قد جعل اللغة العربية ، مكانة فريدة بين سائر اللغات في ميدان النشاط المعجمي . فلقد ظلت اللغة العربية منفردة بمثل هذا المعجم الضخم بين لغات الإنسان جميعا

في القديم والحديث ، حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين بدأ يظهر على رفوف المكتبات في أوروبا معاجم لبعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية والألمانية تضارع المعجم العربي الأسبق « لسان العرب » في الإحاطة والاتساع .

وهذا التفرد الذي ظلت تتمتع به العربية دون سائر لغات الإنسان في ميدان انشباط المعجمي فترة طويلة ، قد أوحى إلى كثير من الناس :

(أ) بأن هذا النشاط المعجمي الجبار تجربة عربية بحتة ، هيأت الظروف التاريخية المحلية لميلادها واتخذت بعد الميلاد خطها الطبيعي في التطور والنمو ، دون أي مؤثر خارجي ، أو تقليد لأي إنتاج أجنبي^(١) .

(ب) وبأن النشاط المعجمي الذي صاحب النهضة الحديثة في أوروبا متأثر بما سبقه في اللغة العربية في هذا الميدان . فتمد كتب المستشرق الإنجليزي جون هاي وود مقالا

(١) انظر مثلا « المعجم العربي نشأته وتطوره » للدكتور حبيب نصار ج ١ ص ٢٠١ .

في مجلة جامعة دار هام (في ديسمبر
١٩٥٧) قرر فيه تأثير النشاط
المعجمي الأوربي بسابقه العربي .

ونحن لا يعني أن نتتبع مدى تأثير
النشاط المعجمي الحديث في أوربا بالتأليف
المعجمي عند العرب ، ففضل العرب على
النهضة الأدبية الحديثة كلها واضح ،
مقرر يعترف به العلماء في أوربا نفسها ،
وإذا لم يثبت للمعجم العربي تأثير مباشر
على المعجم الأوربي - وهذه نقطة لا تزال
تحتاج بحثا موضوعيا منصفيا - فإن
التأثير غير المباشر لا يمكن أن ينكر !

ولكننا نرى من الإنصاف للبحث العلمي
والحقيقة التاريخية أن نتساءل : هل
سبق العرب إلى ميدان التأليف المعجمي على
الإطلاق ؟ أي هل كانت هناك شعوب وأمم
أخرى قبل الأمة العربية جمعت ألفاظ
لغتها في معجم أو معاجم ، وإن لم تبلغ من
الضخامة والإحاطة ما بلغه معجم عربي كلسان
العرب ؟ وإذا كان الجواب على هذا السؤال
« نعم » ، فإن هذا يقودنا إلى سؤال آخر

هل تأثر العرب قليلا أو كثيرا بما سبق إليه
غيرهم من الأمم في ميدان التأليف المعجمي ؟

(٣)

وللإجابة الواضحة عن السؤال الأول
نجدنا مساقين إلى محاولة تعريف كلمة
« معجم » . والعق أننا هنا نواجه مشكلة
غير بسيرة ، فكلمة معجم (ونظائرها
في اللغات الأوربية كالكلمة الإنجليزية
Dictionary التي تترد إلى أصل لاتيني ،
والكلمة الإنجليزية Lexicon التي تترد
إلى أصل يوناني) مهما صرفنا النظر عن
اشتقاقها ، وظروف استعمالها في اللغة
العربية ، إما أن تعتبر مصطلحا خاصا ،
وعندئذ لتحديد معناها هنا متروك للاصطلاح
ويمكن أن يُوسَّع معناها الاصطلاحي أو
يُضيق طبقا لرغبة المصطلحين ، وإما أن
يُعتمد في تحديد معناها على الاستعمال
اللغوي العام ، حيث لا يضيق المعنى رغبات
خاصة أو اعتبارات اصطلاحية .

أما إذا اتجهنا إلى التعريف الاصطلاحي
فلإننا طبعا - نستطيع أن نصطلح على

(١) عاد هذا المؤلف فقرر في كتابه الذي نشره عام ١٩٦٠ عن المعاجم العربية أنه بالغ في تصويره لهذا التأثير .
أنظر ص ١ من كتابه هذا .

تعريف المعجم تعريفا لا يكاد يصدق إلا على ما ظهر في العربية من نشاط معجمي ، ثم نقول إن المعجم بهذا التحديد لم يعرف عند غير العرب ، ومن ثم فالعرب هم مخترعوه ورواده الأول ، ولكن هذا يكون عنتا لا يفيد منه البحث العلمي قليلا أو كثيرا . ولهذا فإن الأولى بنا أن نحاول تعريف « المعجم » تعريفا عاما ، يصدق على كل محاولة في ميدان البحث اللغوي تهدف إلى ربط اللفظ المنطوق بالمجال المعنوي الذي يستعمل هذا اللفظ للتعبير عنه . وهذا يتفق مع الاشتقاق اللغوي للفظ « معجم » في اللغة العربية ، فهو من « أعجم الشيء » إذا زال غموضه ، وأوضح مدلوله .

المعجم - إذا ودون كثير عنت أو حذقة - كل قائمة تجمع كلمات من لغة ما ، على نسق منطقي ما ، وتهدف إلى ربط كل كلمة منها بمعناها ، وإيضاح علاقتها بمدلولها .

وهذا فهم عام لكلمة معجم يغطي كثيرا من ألوان النشاط المعجمي ، ويصدق عليها ، فالرسائل الصغيرة التي تجمع الألفاظ الغريبة أو النادرة في موضوع ما ، أو في

نص ما ، لتشرحها وتوضح معناها ، تعتبر نشاطا معجميا ، وقوائم الألفاظ التي نعملها للمتأدب ، والناشي ، والأجنبي ، ليستعملها في أداء معنى بعينه تعتبر نشاطا معجميا ، والأب أو المدرس حين يفسر لابنه أو تلميذه ما يستعصى عليه فهمه من الكلمات في أي موقف يقوم من حيث لا يدري بنشاط معجمي .

وقد يكون من الطريف أن ننتبه خطوات اشتقاق هذا اللفظ « معجم » حتى نتبين كيف تطور حتى أصبح يؤدي هذا المعنى ، والحق أن خطواتنا في هذا الصدد ليست يقينية على الإطلاق ، فلسنا نعرف يقينا كيف ولا متى تم استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى - ولا يزال ذلك يحتاج بحثا دقيقا مستقصيا - ولكننا نستطيع من التفسير السريع لبعض مشتقات مادة « ع ج م » أن نستنبط الخطوات التي مر بها هذا اللفظ حتى أصبح يؤدي ذلك المعنى .

فمن المعاني الأساسية لهذه المادة « الغموض والخفاء ، والانبهام ، والعجز عن الإفصاح أو الإبانة » ، ومن مفرداتها في المعنى الأخير « الأعجم والعجماء » للحيوان الذي

لا ينطق، وبه شبه غير العربى - لأنه يُصدر أصواتا غير مفهومة كجعجة الحيتوان ، فسمى أعجميا . وقد تعلم العرب الأميون الكتابة من إخوانهم من أبناء الشعوب السامية ، حيث اقتبسوا حروف الهجاء ، أو الأبجدية ، ولكنهم وجدوا أن عددا من هذه الحروف يلتبس رسمه ، فابتدعوا تمييزه بطريقة النقط ، ولذا فإن الخط العربى يستعمل من النقط عددا لا يستعمله أى خط سامى آخر ، وقد سمي العرب عملية نقط الحروف لإزالة لبسها وإبهامها «إعجاما» من قولهم «أعجمت الشيء» إذا أزلت عجمته أى غموضه وخفاه . وسميت حروف الخط العربى بعد ذلك «حروف المعجم» أى حروف الخط الذى أعجم ونقط فزال منه اللبس والغموض . فقولنا : «حروف المعجم» يجب أن يفهم على تقدير مضاف ، والأصل «حروف الحط المعجم» الذى يطلق على الحط العربى دون سائر الخطوط السامية الأخرى .

ولا شك أن ذلك الاستعمال مستحدث فى العربية ، جاء لاحقا فى الزمن لدخول النقط «على حروف هجاءها»^(١) . ثم سمي ترتيب أى مادة لغوية ترتيبا يراعى حروف الهجاء «معجما» نظرا لخضوعه لترتيب حروف المعجم ، ويقال إن أول كتاب أطلق عليه اسم المعجم، هو «معجم الصحابة» لأحمد بن على بن المثنى التميمى (٢١٠ - ٣٠٧ هـ) كما ألف بعده أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوى المحدث (٣١٤ - ٣١٥) كتابين فى أسماء الصحابة سماهما «المعجم الكبير» و «المعجم الصغير» وعن مثل هؤلاء أخذ اللغويون لفظ «معجم»^(٢) ليطلقوه على ما يؤلفون من كتب تشرح ألفاظ اللغة وتحدد مجالها المعنوى .

وقد يعنى هذا التطور الاشتقاقى ربط المعجم اللغوى بالترتيب الهجائى ، فما سمى «المعجم» معجما إلا لترتيبه على حروف المعجم (أى على الهجائية العربية)

(١) لعل ما يستحق الذكر هنا أن الخليل يقول فى مقدمة كتابه «العين» : «لئن جمعت على حروف ، ألف باء ، قاء ، ... ولو كان مصطلح «حروف المعجم» شائعا فى الاستعمال لكان أخصر وأدق من تمييز الخليل . وهذا نفسه يرجع عدم ظهور استعمال «حروف المعجم» على عهد الخليل . ويجعلنا بالتالى نشك فى القصة التى رويت عن عبد الملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ) أنه سأل جلساءه يوما «أيكم يأتينى بحروف المعجم فى جسده ؟» أنظر جوجى زيدان ج ٣ ص ١١٩

(٢) أنظر أحمد عبد الغفور العطار «الصباح ومدارس المعجمات» ١٢ ص ٥٣ .

ولكن هذا أمر عرضي بحث ، فالصفة
المميزة للمعجم اللغوي هي ربطه الألفاظ
بمعانيها ، وإيضاحُ علاقتها بمدلولاتها ،
كأننا ما كان الترتيب الذي تخضع له هذه
الألفاظ داخل المعجم !

(٤)

فإذا عدنا بهذا الفهم الراسخ العام لكلمة
«معجم» نحاول الإجابة عن تساؤلنا عما
إذا كان هناك شعوب سبقت العرب في
ميدان النشاط المعجمي فإننا سنجد الإجابة
عن ذلك بالإيجاب .

إن النشاط المعجمي بهذا المعنى الواسع
يكاد يكون تلقائيا يمارسه بأي لغة أي أب
يشرح لابنه الكلمات الجديدة عليه ، أو أي
مدرس يفسر لتلاميذه نصا صعبا أو أي
مواطن يرشد أجنبييا إلى معاني ما يطرق أذنه
أثناء سياحته من ألفاظ غريبة . ولكننا
لا نغنى النشاط المعجمي التلقائي ، وإنما
نعنى النشاط المعجمي المنظم . فهل سبق
تأليفُ المعاجم العربية بأي نشاط معجمي
منظم عند غيرهم من الأمم ؟ والجواب هنا
بالإيجاب أيضا .

فلا شك أن الظروف التاريخية التي
اجتمعت للأمة العربية وانتهت إلى دفعها

إلى تأليف معاجم للغتها فد وقعت ، وتكررت
عد أمم أخرى أقدم من العرب . فالبحث
اللغوي عموما ، والتأليف المعجمي بصفة
خاصة ، يقدر له النشوء والازدهار تحت
ظروف تاريخية خاصة ، أفقية ورأسية ،
يمكن أن تتوفر لأي أمة ، ويحدث ذلك
بصفة خاصة :

(١) إذا قدر للهجة أو لغة ما أن تسود
على لهجات أو لغات أخرى ،
بحيث يصبح من المحتم أو المرغوب
فيه على الأقل أن يجيد أبناء
اللهجات أو اللغات الأخرى تلك
اللهجة أو اللغة السائدة ، التي
ليست أصلا لهجتهم أو لغتهم .
فحرصا على اللهجة أو اللغة السائدة
وتيسيرا لمهمة الراغبين في إجادتها
ينشط البحث اللغوي في وصف
ظواهرها ، كما ينشط في جمع ترويتها
اللفظية ، وتحديدتها بالمجالات
المعنوية التي تستعمل للتعبير عنها
(وهذا هو المستوى الأفقي للظروف
التاريخية المواتية) .

(ب) إذا قدر للغة ما أن تحظى في فترة من فترات تاريخها بإنتاج أدبي ممتاز ، يحتل مركز القداسة والإجلال عند أبناء هذه اللغة ، ويصبح بالنسبة إليهم تراثاً عزيزاً ينبغي الاستمسك به ، والرجوع الدائم إليه ، ومقاومة تيار التطور اللغوي ما أمكن حتى لا يصبح هذا التراث العزيز نتاجاً غريباً على الأجيال اللاحقة من أبناء الناطقين بهذه اللغة ، يسيثون فهمه وتذوقه ، أولاً يستطيعون ذلك على الإطلاق . فحينذاك ينشط البحث اللغوي ، والتأليف المعجمي ، ليقيد اللغة ما أمكن عند تلك المرحلة من التطور التي ظهر خلالها هذا التراث الأدبي المقدس ليتيسر فهمه على الأجيال اللاحقة من الناطقين باللغة (وهذا هو المستوى الرأسي للظروف التاريخية المواتية) .

وقد توفر هذان معا للغة العربية بظهور الإسلام ، ونزول القرآن ، وجمع الحديث النبوي ، ودخول الأعراب من غير قريش في الإسلام ، ودخول غير العرب من أمم الأحاجم فيه أيضا ، وتقديسهم

جميعا للقرآن والحديث ، مما جعل اللغة العربية الفصحى لغة سائدة ينبغي على من لا يجيدها من أبناء العرب أن يجيدها وعلى من لا يعرفها من المسلمين أن يتعلمها ، وهكذا توفرت الظروف التاريخية المواتية على المستوى الأفقي لينشط البحث اللغوي والتأليف المعجمي .

ولقد ربطت قداسة القرآن الكريم اللغة العربية عند تلك المرحلة من مراحل تطورها ، التي نزل القرآن بها ، وهكذا صار للغة العربية تراث مقدس ، وحرص العرب والمسلمون على أن يدوم للقرآن يسر تلاوته ، ووضوح معناه عند الأجيال اللاحقة من أبنائهم ، مهما بَعُدَ بهم الزمان ، وتتابعت الأجيال ، فنشط البحث اللغوي والتأليف المعجمي لأن الظروف التاريخية على المستوى الرأسي كانت مواتية أيضا .

وكما توفر الأمران للغة العربية ، فقد توفر ، أو توفر أحدهما ، للغات أخرى قبل توفرهما للغة العربية إذ أن الحضارة التي أنتجتها الأمة العربية في ظلال الإسلام كانت الحضارة الوسيطة تاريخيا ، لأنها تقع بين الحضارات القديمة ، والنهضة الحديثة ، وجغرافياً لأنها تقع في الوسط

تماما بين حضارتى الشرق والغرب . فما توفر للأمة العربية من ظروف تاريخية يمكن أن يكون قد توفر لمن سبقها من الأمم في نفس المنطقة ، ولن سبقها أو عاصرها في مناطق أخرى ، ومن ثم فلا عجب أن نجد في عدد من اللغات الأخرى قبل العربية ومعها نشاطا معجميا مقصودا ، منظما ، وإن لم يبلغ ذلك النشاط نفس الدرجة من الخصوبة والإنتاج التى بلغها فى العربية^(١)

(١) فلقد كشف لنا النشاط الحضرى الجبار الذى تم خلال القرن الماضى عن حضارات أسلافنا الأقدمين فى هذه المنطقة من الدنيا التى كانت مهد الحضارة ، وموطن الثقافات ، ومهبط الوحي ، ومربع الأنبياء ، فعرفنا أن أجدادنا المصريين فى وادى النيل ، وأن أجدادنا الساميين فى وادى دجلة والفرات كانت لهم حضارة ، وثقافة وأدب ، واقتضى ذلك أن يعرفوا البحث اللغوى ، وأن يكون لهم نشاط معجمى ، فالذى

يحاول أن يتعلم الهيروغليفية - وهى اللغة المقدسة عند المصريين القدماء - لا بد أن تُقدّم له ألفاظها مرتبة مترتبا منطقيا على نسق ما ، وتُشرح شرحا ييسر على الناشئ فهم معناها ، وكذلك كان الحال بالنسبة للأكادية ، وربما زاد من النشاط اللغوى والتأليف المعجمى عند الأكاديين ، أنهم - وهم ساميون - قاموا على أنقاض حضارة غير سامية ، هى الحضارة السومرية ، وأنهم اتخذوا للغتهم السامية الأكادية نفس الخط المسارى الذى كان يستعمله أسلافهم السومريون ، فكتبوا به لغتهم غير السامية ، وكان هذا الخط « صوريا » (يرمز بالصورة الواضحة لدلولها كاملا) ، ولم يكن مقطعا كما صارت الأكادية ، ومن ثم فقد وجد الأكاديون أنفسهم مضطرين إلى جمع الرموز السومرية فى قوائم ، وإردافها

(١) أنظر كتاب المستشرق الانجليزى جون هاى ورد عن « فن المعجمة العربية : تاريخه ومكانته فى التاريخ العام لفن المعجمة » اكسفورد ١٩٦٠ الفصل الأول .

بما يوضح قيمتها الصوتية
وبدلولاتها بالأكدية ، وقد عُثر
فعلا في مكتبة الملك الأشوري
(والأشورية فرع من مجموعة
اللهجات السامية الأكدية)
أشوربانيبال (٦٨٨-٦٢٥ ق م)
على عدد من الألواح يضم بعضها
قوائم بالأسماء ، وبعضها الآخر
قوائم بالأفعال التي تدل على المهن
والحرف ، كما وجدت في
بعض الألواح قوائم بتحديد
القربات العائلية ، ... وهكذا ،
أي أنهم كانوا يرتبون «المفردات»
اللغوية حسب الموضوعات التي
ترتبط بها . وإذا عرفنا أن مكتبة
الملك أشوربانيبال كانت تحوى
كثيرا من صنوف الإنتاج اللغوى
والأدبى والقانونى والدينى ، الذى
ألف قبله بمئات السنين ، عرفنا
أن شعبا ساميا قديما (أو قل
شعبا عربيا نازحا - فليس
الأكاديون إلا شقا من العرب
غادر وطنه في الجزيرة العربية إلى

وادي النهرين في منتصف الألف
الرابعة قبل الميلاد) قد عرف النشاط
المعجمى المنظم قبل ميلاد السيد
المسيح عليه السلام بما قد يزيد
على ألف عام^(١) .

ولكن الحضارات القديمة في
وادي النيل ، أو النهرين ، كانت
قد ماتت قبل أن تظهر الحضارة
العربية الإسلامية بقرون ، ومن
ثم فليس هناك أى احتمال أن
يكون للنشاط المعجمى في هذه
الحضارات تأثير مباشر على
النشاط المعجمى عند العرب .

(ب) وهناك شعب آخر قديم كان له
نشاط معجمى ، ولكنه لم يكن
بعيدا عن العرب تاريخيا فحسب ،
ولمّا كان بعيدا عنهم جغرافيا
أيضا ، فليس ثمة أى احتمال
لوجود أى علاقة للنشاط المعجمى
عنده بالنشاط المعجمى عند العرب
ولكننا نشير إليه هنا استكمالا
للفائدة العلمية واستيفاء للمقارنة ،
وذلك هو الشعب الصينى .

(١) أنظر مقالة كتاب فون سودن عن النحو الأكدى .

إن الصينيين أنفسهم يؤمنون
بأن حضارتهم كانت قائمة منذ
الأزل ، ولكننا على أى حال
لا نعثر على معاجم للغتهم تسبق المائة
الثانية قبل الميلاد ، حيث نجد
معجم اره يا (Erh Ya) الذى
يعتبر مجموعة من الألفاظ مقسمة
حسب الموضوعات إلى ثلاثة عشر
بابا - أحدها للعلاقات العائلية ،
والثاني للأدوات والآلات ، والثالث
للطيور ، وهكذا . وخلال القرن
الأول للميلاد نجد معجما صينيا
أكمل وأوفى هو معجم شون
(Shou Wen) الذى يضم من
المفردات ١٠٦٠٠ لفظا ، ومع
ذلك فهو غير مستوعب ، ولا يزال
موجودا فى المكتبات الصينية إلى
الآن . ويقرر مؤلفوه أن هدفهم
هو « شرح مفردات النصوص
المقدسة » ، مما يقرب بين -
الظروف التاريخية لظهوره ،
وظروف ظهور النشاط المعجمي
عند العرب ! وما يذكر أن الكتابة
الصينية كانت - ولا تزال -
صورية ، فكل مفرد فى اللغة

الصينية له جوانب ثلاثة : رمز
مرسوم ، قيمة صوتية منطوقة ،
معنى مدرك . ولأن كتابتنا صوتية
فإننا لا ندرك خلافا كبيرا بين
الرسم والنطق ، أما فى الصينية
- وكل الخطوط الصورية -
فإن الرمز المكتوب الذى هو صورة
أصلا ، قد يعطى العديد من القيم
الصوتية المختلفة . ويدور ترتيب
المعجم الصينى المذكور على الجانب
الأول وهو طبيعة الصورة ، أو الرمز
المكتوب ، فيقسم المفردات التى
يشرحها إلى ما يقرب من ستائة
باب ، يجمع كل باب طائفة
متشابهة من الصور المرسومة التى
تأخذ كل منها من الشرح
ما يوضح كيف تنطق ، وماذا تعنى .
وأول معجم صينى يرتب المفردات
طبقا لنطقها لا لرسمها هم معجم
هوفايين (Hu Fa Yen)
الذى ألف فيما بين عامى ٥٨١ -
٦٠١ ميلادية . ويبدو أن الصين
كانوا قد تأثروا فيه بالدراسة
الصوتية فى اللغة السنسكريتية -
وهى اللغة المقدسة عند الهنود

القدماء - وأن الاهتمام بالجانب
الصوتي كان قد انتقل من الهند
إلى الصين مع الرهبان البوذيين .
وسوف نرى أن هناك قدرا من
الاحتمال أن العرب قد استنشقوا
بعض نسائم البحث اللغوي القادمة
من الهند ، فإذا صح ذلك يكون
كل من الصينيين والعرب -
على الرغم من انقطاع العلاقة
المباشرة بينهما في هذا الأمر -
قد أفاد من مصدر واحد ، ذلك
هو البحث اللغوي في السنسكريتية^(١)
ولا شك أن هناك شبهة بين أمتي
الصين والعرب في اهتمام كل منها
بلغتها ، وبالتراث الديني الذي
كتب بها ، وفي المنهج العلمي
الذي اتبعته كل منهما منذ عهد
بعيد في دراسة لغتها ، وفي المعاجم
العديدة التي ألفتها كل منهما ،
لتجميع ألفاظ لغتها وتشرحها .
ولكن اختلاف طبيعة النظام الكتابي
في اللغتين اختلافا كاملا ، جعل
طبيعة المشاكل التي تعترض

التأليف المعجمي فيهما ، والحلول
التي تقدم لها مختلفة تماما .

(ج) وقبيل مولد المسيح كان الفرعان
التوأمان للبحث اللغوي (التقعيدُ
والمعجمةُ) قد نضجا ، واحتلا
مكانا بارزا ، في كل من -
السنسكريتية واليونانية . وهذا
يعنينا عند التأيخ للتأليف
المعجمي عند العرب ، لأننا نعلم
علم اليقين أن العرب قد تأثروا
بكلتا الحضارتين في مجالات
أخرى من مجالات حضارتهم ،
فقد تأثر العرب باليونان في
الفلسفة والعلوم ، وبالهنود في
القصص والحكايات والموسيقى
 والرياضيات ، ولذلك فإن تأثر
العرب بهما أو باحدهما في ميدان
البحث اللغوي يجب أن يكون
موضع التحري والتساؤل. ولنرجئ
هذا التساؤل الآن لنلقى نظرة عابرة
على البحث اللغوي والنشاط
والمعجمي في اللغتين .

(١) أنظر مقالة (Dictionary) في كل من دائرتي المعارف البريطانية واليهودية ، وراجع أيضا كتاب
جون هاي ود من فن المعجمة العربية ص ٦ ، وكتاب عبد الغفور العطار ص ٥٦ .

أما في السنسكريتية فقد نشط التقعيد فيها قبل المعجمة ، فقد ألف كتاب بابيني (Panini) في قواعد السنسكريتية حوالي عام ٣٠٠ ق م وقد عرف الهنود قبل أرسطو مثلاً أنواع الكلمة ، وإمكان اشتقاق كلمات كثيرة من « جذر » فعلى واحد . الخ ، واندفع الهنود القدماء إلى عمل المعاجم لشرح ألفاظ نصوصهم الدينية والمحافظة على إمكان تلاوتها ، وفهمها ، كما حاولوا أن يجمعوا « غريب » اللغة ليعينوا شعراءهم على استعمال ما يريدون منه ، بل إنهم كى ييسروا حفظ هذا « الغريب » ضمنوه مؤلفات منظومة ! ومن المؤسف أن كثيراً من نتاج النشاط المعجمي القديم في السنسكريتية قد ضاع . وأقدم معجم سنسكريتي موجود هو - الأماراكوسا (The Amarakosa) التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي ، وهو معجم مترادفات ، وله ملحق بالمشارك اللفظي وآخر بالمفردات غير المتصرفة . والحق أن معظم النشاط المعجمي عند الهنود كان

يرتكز على الترتيب المعنوي ، فيرتب الألفاظ طبقاً لمعانيها ، وهو اتجاه يغاير الاتجاه الرئيسي في النشاط المعجمي عند العرب . والحق كذلك أن المعاجم السنسكريتية الضخمة لم تظهر وتنتشر إلا بعد القرن الثاني عشر الميلادي ، حين كان التراث المعجمي للعربية قد اكتمل له إنتاج رائع جبار . ولم تنته المعاجم السنسكريتية حتى الآن إلى نمط مثالي في ترتيب مادتها اللغوية ، كذلك النمط المثالي في الترتيب الهجائي الذي انتهت إليه المعاجم العربية منذ عصر الزمخشري^(١) .

وأما في اليونانية فقد بدأ البحث اللغوي كذلك بالتقعيد ، ثم ثنى بالمعجمة فمئذ القرن الثاني قبل الميلاد عرف نحاة اليونانية كثيراً من فنون البحث اللغوي وقسموا الكلمة مثلاً إلى ثمانية أنواع ، وهو نفس العدد الذي تقسم إليه الكلمة في النحو الإنجليزي المعاصر ، ولكن الفلسفة طغت على البحث اللغوي عند اليونانيين ، وانتقل الصراع بين مذهبي الفلاسفة من قياسيين ،

(١) يعتبر الترتيب الأبجدي لمادة المعجم الذي طبقة الزمخشري في كتابه « أساس البلاغة » أكل ترتيب أبجدي صرفه تاريخ المعاجم حتى عصر الزمخشري في العربية وغيرها ، أنظر بحثنا الذي نشر بالإنجليزية عن : « دور الزمخشري في تطور المعجم العربي » في مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - مجلد ٢٤ جزء أول .

يَحْتُمُونَ فرض القياس على الشواذ ،
واستقراءيين يقرّون كل مثال مهما كان
شاذاً - إلى علماء البحث اللغوى ، ولعل
هذا مما انعكس على البحث اللغوى عند
العرب أيضا ، حيث نجد مدرسة البصرة
أميل إلى احترام القياس ، ومدرسة الكوفة
تصر على احترام الشواذ .

وأقدم معجم يونانى جاءتنا أخباره هو
معجم أبوقراط (Hippocrates Lexikon)
الذى ألفه جلاوكوس Glaucus عام ١٨٠
ق م .

وفى عهد الإمبراطور أغسطس ، الذى
ولد فيه السيد المسيح ، وضع فاليريوس
(Valerius) معجما ترجمة عنوانه
هى : « فى معانى الألفاظ » شبيها بمعجمنا
العصرية تماما . ولكن العصر الذهبى للتأليف
المعجمى عند اليونان كان فى القرون الأولى
بعد ميلاد المسيح ، وبخاصة فى ثغرنا المجيد
الاسكندرية . . ولا يعنينا كثيرا سرد
الأسماء الغريبة للمعجم ومؤلفيها عند
اليونان ، خاصة وأنها كثيرة متعددة ،
وحسبنا أن نؤكد أن اليونانية حظيت
بنشاط معجمى شمل فروع التأليف المعجمى
كلها أو كاد ، فقد عرفوا الترتيب المعنوى

للثروة اللفظية مثلا فى معجم يوليوس -
بولوكس (Yulius Pollux) الذى
ظهر فى القرن الرابع الميلادى ويشبه إلى حد
بعيد مخصص ابن سيده - كما خلّفت
مدرسة الاسكندرية فى القرن الرابع والخامس
عدداً من المؤلفات المعجمية المختلفة منها :
« ما اتفق لفظه . واختلف معناه » لأمونيوس
Ammonius ومعجم « اللهجات والسمات
المحلية » لهزيشيوس Hesychius ومعجم
« الاشتقاق » لأوريون الطيبى (المنسوب
إلى طيبة فى مصر) .

ومن الواضح أنه لم يكن لليونان تأثير
مباشر على العرب فى ميدان التأليف
المعجمى ، وإلا لاهتدى العرب منذ البداية
إلى الترتيب الهجائى الحديث الذى استعمله
اليونانيون منذ عصر ميلاد المسيح عليه
السلام ، دون أن يَمروا بمراحل طويلة
مختلفة من التجارب المضنية .

(٥)

وإذا كنا قد المحنا حتى الآن إلى
الاتجاهات الرئيسية فى التأليف المعجمى

عند عدد من الأمم المتحضرة التي سبقت العرب إلى الظهور على مسرح التاريخ ، فإنه قد حان لنا أن نتساءل : هل كان لهذا النشاط أو بعضه فضل على النشاط المعجمي عند العرب ؟ ولعل القارئ قد أحس أننا ، عن طريق الاستئصال ، قد استبعدنا تأثير العرب المباشر في ميدان التأليف المعجمي بالمصريين القدماء ، أو الأكاديين أو الصينيين ، أو اليونانيين ، ولم يبق أمامنا إلا التساؤل عن احتمال تأثير العرب بالنشاط اللغوي والتأليف المعجمي في اللغة السنسكريتية . وهنا يجد المرء المنصف نفسه في حيرة يدعو إليها اصطدام الشواهد والقرائن .

فمن الواضح أن ظروفًا تاريخية مواتية (أفقية ورأسية^(١)) قد اقتضت ظهور هذا اللون من النشاط المعجمي في العربية ، ومن الواضح كذلك أن التجربة المعجمية قد مرت على التربة العربية بكل مراحل نموها وتطورها ، ولم تُنقل جاهزة ناضجة من أي بيئة أخرى ، فقد بدأت المحاولات

الأولى في النشاط المعجمي بشرح غريب القرآن ، ثم شرح غريب الحديث النبوي ، ثم بدأت الشروح المختلفة للتراث الشعري أيضًا تظهر إلى حيز الوجود . وجمهرة التعريفات التي تضمنتها المعاجم اللغوية فيما بعد مستمدة من هذه الشروح الأولية لغريب القرآن والحديث والشعر ، ثم بدئ التأليف الفعلي للمعاجم برسائل صغيرة تجمع النادر والغريب ، أو تضم الألفاظ التي تتعدى في موضوع واحد ، كل هذا قبل أن يتم التفكير في تأليف معجم شامل مستوعب . وحين اتجه التفكير إلى تأليف مثل هذا المعجم ، فقد مرت مشا كل جمع مادته اللغوية ، وترتيبها ، وطريقة تعريفها بالكثير من التجارب قبل أن تبلغ ذلك المستوى من الكمال الذي بلغته والذي لا يقنعنا ولا يرضينا ، لأننا كنا نرجو لها أن تفوقه ، وما زلنا نتوقع أن تفوقه في جهودها المقبلة في التأليف المعجمي .

كل هذا يؤكد أن التجربة المعجمية في اللغة العربية إنما هي عربية أصيلة من

(١) انظر الفقرة الرابعة من هذا البحث .

بدايتها إلى نهايتها ، وأنها انعكاس صادق
للظروف والملايسات والإمكانات العربية
البحثة .

وكل ما يعكر صفو هذا الاستنتاج
هو ما ينوه إليه المستشرقون^(١) من أننا
نحسن بشئ من الطفرة في ظهور معجم
العين للخليل ، بفكرته المعقدة ، ومنهج
العلمي الدقيق وترتيبه الصوتي ، وهدفه
الطموح إلى الاستيعاب والشمول . فلا
يمكن أن يكون ذلك غموا طبيعيا لرسائل
الغريب والنادر ، أو المفردات الدالة على
الزراع والمطر . وهذه الطفرة في ظهور
العين ، بالإضافة إلى ظروف حياة الرائد
الخليل نفسه - وأنه عاش في خراسان
قريبا من الهند ، وتأثر بالثقافة الهندية
في نواحي أخرى من جهوده العقلية^(٢) -
كل هذا يوحى بالشك في احتمال تأثر
الخليل بالسنسكريتية .

ويتحمس مؤرخو المعاجم العربية من
المعاصرين كالكتور عبد الله درويش ،
والكتور حسين نصار قبله^(٣) ، لدحض
هذه الشبهة ، ويؤكدون أن الخليل قد
« اخترع » هذا النظام بعقليته الفذة ،
دون أي تأثر أجنبي .

والحق أننا لو استبدلنا كلمة « اخترع »
بكلمة « اقتبس » ما نال ذلك من فضل
الخليل ولا من مجد العرب شيئا ، فإن
الإنسان العبقري الفذ - في نظرنا - هو
الذي يتمثل ما حوله من ثقافات ، ويفيد
بها ، ويتفاعل معها ويخرج منها بنمط
جديد يغيرها ، ويضاف إليها ، ويزيد
عليها دون أن يقلدها تقليدا أعمى . ولم
يقل أحد إن العبقرية هي أن يخلق المرء
الفذ على نفسه جدرانا أربعة محكمة ،
يعيش فيها ، لا يدرى ما أنتجت
الإنسانية قبله ، ولا كيف يفكر معاصروه

(١) من أمثال جون هاي ورد : أنظر كتابه من فن المعجمة العربية ص ٨ .

(٢) أنظر : الدكتور عبد الله درويش « المعاجم العربية » .

(٣) اقرأ هذه الفقرة من كتاب الدكتور حسين نصار ج ١ ص ٢٠١ : « ولكننا نرى أن الهنود إذا كانوا
قد توصلوا إلى نظام الخارج بفضل ترتيبهم للفيدا المقدسة كما يقولون ، فليس ما يمنع أن العرب قد وصلوا إليه بفضل
ترتيبهم القرآن الكريم » .

ثم يأتى بعد ذلك من تلافيف مخه وحدها
ما لم يأت بمثله أحد .

فالنظرة الواقعية المنصفة إلى مشكلة
تأثر الخليل - رائد المعجم العربى -
بالسنسكريتية تحتم علينا أن نشير إلى
احتمال قيام هذا التأثير ، دون أن نرتفع
بهذا الاحتمال إلى درجة الثبوت والتأكد ،
أونهيط به إلى مستوى الرفض والاستبعاد .
وحتى لو صدق الشك فى تأثر الخليل

بالهندية ، وثبت هذا الاحتمال ، فان ذلك
لا يُخرج التجربة العربية - التى عانت
فنَّ المعجمة من البداية إلى النهاية معاناة
كاملة ، وأثبتت فيه عبقريتها وثراءها ،
وفضلها على غيرها من الشعوب - عن
مكانة الأصالة ، أو يحرمها من فضل
السبق ، أو ينتقص منها مزية الامتياز !

محمد سالم الجرح



فى الجانب

الإحصائى اللغوى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

قدمت فى مقال سابق^١ (لكتب اللغات^٢) بمدخل تاريخى للعصر وللمؤلفين ، ثم درست هناك هذه المصادر الأولى (للغات) فى ضوء المنهج الوصفى ، مقدما نماذج من نصوصها ، وشواهد من رواياتها وأسانيدها .

وفى هذا المقال أعرض دراسة جديدة حول هذه الآثار فى ضوء المنهج الإحصائى معتمدا على نشر لوحات إحصائية (لأول مرة) فى مؤلفات من عزيت لهم كتب لغات مفقودة ، وهذه المؤلفات الموجودة قد تأثرت إلى حد كبير بكتب (اللغات المفقودة) بعد أن نضح على هذه المؤلفات صور وملامح من كتب (اللغات) فهى تمثلها وتصورها ، بل تعطينا إلى حد ما (عينة) صادقة مما كانت تشتمل عليه هذه الكتب المفقودة من لهجات القبائل العربية كيفاً وكماً . وهذه اللوحات الإحصائية لبعض الآثار التى وصلتنا من مؤلفات يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ ، والفراء ٢٠٧ هـ ، وأبى عبيدة سمر بن المثنى ٢١٠ هـ ، وأبى زيد الأنصارى ٢١٥ هـ ، والأصمعى ٢١٦ هـ ، وابن دريد ٣٢١ هـ ، وجميع هؤلاء الأعلام ألفوا فى (كتب اللغات المفقودة) .

ثم ثنيت بتقديم لوحات إحصائية أخرى في المصادر المختلفة التي يمكن أن تكون قد تأثرت بكتب (اللغات المفقودة) . ثم ثلثت بلوحات إحصائية أيضا عن مدى رواية العلماء - الذين لهم كتب لغات مفقودة - اللهجات القبائل العربية في كتابي (المخصص لابن سيده ، وجمع الهوامع لجلال الدين السيوطي) وذلك لنتقل من المعلوم إلى المجهول الذي نسعى في كشفه وإزاحة الستار عنه . وقدمت تعقيبا ونقدا على هذه اللوحات الإحصائية . ثم تحدثت عن تفرد من ألف في (كتب اللغات) بعزو بعض الصيغ اللهجية ، ثم موقف المصادر الثانوية من الروايات الأولى المسندة إلى من ألف في (كتب اللغات) ، والأحكام التي صدرت على اللهجات مادحة وقادحة ، ثم أخيرا عرضت لروايات مسندة إلى من ألف في (كتب اللغات) المفقودة ظهر منها مدى التناقض والاضطراب .

أولا :

الجانب الإحصائي للهجات القبائل في تأليف من عزيت لهم كتب لغات مفقودة .

(١) كتاب « النوادر » لأبي عبد الرحمن بونس بن حبيب البصري ١٨٢ هـ .

والكتاب مفقود ، وقد سجل السيوطي في مزهره^(١) اقتباسات منه :

لهجة : الحجاز تميم

عدد ورودها : ٢٧ مرة ٢٧ مرة

وأغلب هذه المقاربات بين اللهجتين التميمية والحجازية تدور حول :

(١) المستوى الصوتي . (ب) المستوى الصرفي .

ولم يتعرض بونس للمستوى الدلالي ، كما لم يستشهد على صيغ اللهجات بشواهد شعرية ، ولم يتناول الظواهر اللهجية في القبائل العربية الأخرى في غير تميم والحجاز، ولعل هذا الاختصار كان من عمل السيوطي نفسه لا من بونس بن حبيب .

(١) ٢ - ٢٧٥ فابعدا .

(ب) « ما تفرد به أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصرى » .

وهو النوع الثانى من كتاب (الشوارد فى اللغات ^(١)) .

لهجة : تميم هذيل العالية نجد بنى يربوع

عدد ورودها : ١ ١ ١ ١ ١ ١

(ج) كتاب المذكر والمؤنث ، لأبى زكريا الفراء ٢٧٠ هـ . (المطبعة العلمية بحلب

١٣٤٥ هـ) .

لهجة : الحجاز أسد نجد عكّل قيس اليمن دبّير تميم عامر باهلة

عدد ورودها : ٧ ٦ ٤ ١ ١ ١ ١ ١ ١

(د) كتاب الأيام والليالى والشهور للفراء ^(٢) ط الأميرية .

لهجة : أسد كلب ربيعة

عدد ورودها : ١ ١ ١

(هـ) كتاب مجاز القرآن صنعة أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى ^(٣) ٢١٠ هـ .

وميدان الإحصائية فيه من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الزمر .

لهجة : نجد تميم الحجاز العالية كنانة بعض المكيبين لغة أكلوفى البراغيث

عدد ورودها : ٢ ١ ١ ١ ١ ١ ١

(١) بغية الوعاة : ٢٢٧ والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤١٨ لغة ، ومعنون باسم (ما تفرد به بعض أئمة اللغة) وهو نفسه كتاب (الشوارد فى اللغات) للحسن الصغافى ٦٥٠ هـ . وأنظر أعلام العرب ٧٥ - الفصل الأول . تأليف د . حسين نصار .

(٢) كرر الفراء النقل عن العرب فى هذا الكتاب أكثر من عشرين مرة حيث يقول (ومن العرب) كما استعمل الفراء فى هذا الكتاب ألفاظا عدة فانت المعاجم وكتب العربية : ص ١٠ ، ص ٢٩ ، ص ٥٦ ، ص ٦٣ وأنظر : أبوزكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٤٩٧ د . أحمد مكى الأنصارى .

(٣) حقه د . محمد فؤاد سزكين . ط أول . الخانجى بالقاهرة .

(و) النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ٢١٥ هـ . (ط بيروت ١٨٩٤ م) .

لهجة : طيُّ تميم كلاب قيس عقيل ضبّة عكل بلحارث بن كعب
عدد ورودها : ٥ ٤ ٣ ٣ ٢ ٢ ١
أحمد اليهود حمير بكر بن وائل قشير العالية ثُمير مضر
١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
بنى كعب بن عبد الله بن أبي بكر كُليب بلعنبر قريش .
١ ١ ١ ١

(ز) كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري :

لهجة : كلاب قيس
عدد ورودها : ٢ ١

(ج) كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري^(١) (ط بيروت) .

لهجة : تميم قيس الحجاز الأثشييريين بني الحرّماز
عدد ورودها : ٣ ٣ ١ ١ ١

(ط) كتاب الإبل للأصمعي ٢١٦ هـ .

لهجة : الحجاز تميم قيس
عدد ورودها : ١ ١ ١

(ي) كتاب خلق الإنسان للأصمعي :

لهجة : « لغة » العجاج

عدد ورودها : ١

(١) رواية الشيخ أبي الفضل عمر بن عبيد الله بن الهيثم .

(ك) كتاب النخل للأصمعي : ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة . المطبعة الكا وليكية
ط . بيروت^(١) ١٩٠٨ م .

لهجة : الحجاز نجد المدينة بلعامرث بن كعب اليمامة
عدد ورودها : ٤ ٤ ٢ ٢ ١

(ل) كتاب الكرم* للأصمعي (ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة) .

لهجة : الطائف غير الطائفين آخريين من الطائفين
عدد ورودها : ٢ ١ ١

(م) كتاب الوحوش للأصمعي (نشره الدكتور Rudolf Geyer^(٢))

لهجة : هذيل اليمن الحجاز العالية
عدد ورودها : ٢ ٢ ١ ١

(ز) كتاب** الأضداد للأصمعي (نشره الدكتور أوغست هفتر^(٣))

لهجة : الحجاز هذيل طي العراق نجد نيمر تميم قيس عقيل
عدد ورودها : ٣ ٢ ٢ ١ ١ ١ ١ ١
هلال حمير
١ ١

(١) نشرها د. أوغست هفتر والأب لن اليسوعي . (٢) فينا ١٨٨٨ م .

(٣) مع كتاب الأضداد لابن السكيت والسجستاني والصفاني . ط بيروت ١٩١٢ م .

* حدث شك حول نسبة هذا الكتاب للأصمعي ، ومن المحتمل أن يكون لأبي عبيد معاصر الأصمعي ، أو لأبي حاتم السجستاني تلميذ الأصمعي (مقدمة كتاب النخل والكرم ص ٦٣) .

** رابني في أول الأمر ظل من الشك حول نسبة هذا الكتاب للأصمعي والسبب في ذلك : أن كتاب الأضداد لابن السكيت قد عزافه لعشر قبائل ، وكتاب الأضداد للأصمعي هذا عزافه إلى إحدى عشرة قبيلة فلا تفاق واضح ، كما أن التشابه في مادة الكتابين ملحوظ ، ولفتني إلى هذا الشك أيضا د. رمضان عبد التواب حيث يرى أن الأصمعي في كتابه يروي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وبينهما من العدا والمعاصرة مالا يسمح بالرواية ، كما أنه روى فيه عن (الأثر م) ت ٢٣٢ هـ وهو من تلاميذ الأصمعي فكتاب الأضداد للأصمعي ليس له . وإنما هو رواية أخرى لأضداد ابن السكيت .

(س) كتاب اشتقاق الأسماء للأصمعي^(١) (مخطوط بدار الكتب المصرية ٣٣٢ لغة

تيمور ضمن مجموعة) .

لهجة : الحجاز .

عدد ورودها : ١

(ع) كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي ٣٢١ هـ Göttingen

لهجة : اليمن الحجاز تميم حمير ربيعة نجد طيئ الأزدي

عدد ورودها : ٦ ٣ ٢ ٢ ١ ١ ١ ١

زهران الشري .

١ ١ ١

ثانياً :

الجانب الإحصائي للهجات القبائل في المصادر المختلفة التي تأثرت بكتب اللغات

المفقودة :

وقد اخترت من هذه المصنفات ما يمثل العلوم والفنون المختلفة ، فاخترت من كتب النحو والصرف : كتاب سيبويه ، وتسهيل ابن مالك ، وشرح المفصل لابن يعيش ، وشرح الشافية للمحقق رضي الدين .

من كتب النحو والصرف :

(١) كتاب سيبويه ١٨٨ هـ .

لهجة : تميم الحجاز أسد قيس بكر بن وائل طيئ هذيل ربيعة

عدد ورودها : ٢٧ ٢٦ ٥ ٥ ٣ ٣ ٣ ١

بنو سعد فزارة بنو عدى كعب سليم غني العلويون

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

(١) وأحياناً يعزو الأصمعي في هذا الكتاب إلى (بعض العرب) كقوله : جعاش من المجاشة ، يجاش

الرجل الرجل فيجش وجهه إذا كدحه ، وبعض العرب يقول « جعاش - بالسين » .

وقد عزا فيه إلى خمس عشرة قبيلة ، على حين بلغت لهجات القبائل في شرح
السيرافي على سيبويه خمسا وعشرين ، وقد زاد اللهجات الآتية عن كتاب سيبويه :
لهجة : العراق النضير تغلب البصرة الموصل خثعم المدينة
مكة خيبر بغداد الكوفة أزد السراة

(ب) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (٦٧٢ هـ)^(١) .

لهجة : تميم الحجاز سليم عقيل أسد كنانة قيس هذيل
عدد ورودها : ٢١ ١٨ ٤ ٣ ٣ ٢ ٢ ٢
طبي بلحارث كلاب همدان فقّس خزاعة عكل
٢ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
بلعنبر اليمامة فزارة يتعاقبون نجد قضاة
١ ١ ١ ١ ١ ١
ربيعة لخم بكر كلب
١ ١ ١ ١

(ج) شرح شافية ابن الحاجب للمحقق رضى الدين الاسترأبادى ت ٦٨٨ هـ .

لهجة : تميم الحجاز طبي قيس عامر أسد هذيل غنى
عدد ورودها : ٢٢ ١٥ ٦ ٣ ٢ ٢ ١ ١
كعب بكر بن وائل ربيعة أزد السراة فزارة كلب سليم
١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
بنى عدى نجد مكة حمير
١ ١ ١ ١

(١) تحقيق الدكتور محمد كامل بركات ، ط الكاتب العربى .

(د) شرح المفصل لابن يعيش ت ٦٤٣ هـ

لهجة	:	تميم	الحجاز	طيء	أسد	هذيل	قريش	قيس	سليم	بلحارث	بن كعب
عدد ورودها :	٣١	٢٤	٧	٣	٣	٢	٢	٢	٢	٢	٢
تهامة	حنظلة	بلعنبر	الأنصار	عقيل	اليمن	فزارة					
١	١	١	١	١	١	١					
بنى سعد	قضاة	أزد السراة	بطون من ربيعة								
١	١	١	١								

ومن المعاجم :

(هـ) لسان^(١) العرب لابن منظور ت (٧١١ هـ)

لهجة	:	تميم	الحجاز	هذيل	أسد	طيء	قيس	نجد	حمير	كلاب
عدد ورودها :	١١٨	١١٠	٨٣	٥٣	٤٧	٤١	٢٤	٢٢	١٩	
سليم	عقيل	سعد	العالية	قضاة	المدينة	ربيعة				
١٧	١٦	١٣	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	
قريش	بلحارث	بن كعب	عامر	مكة	كلب	الأزد	هوازن			
٩	٩	٩	٩	٨	٨	٨	٦	٥		
عكل	ضبة	بكر	بن وائل	فزارة	عبد القيس	حنظلة				
٥	٥	٥	٥	٥	٤	٣				
باهلة	أزد شنوءة	الأنصار	بلعنبر	كنانة	العراق					
٣	٣	٣	٣	٣	٣	٢				
فقعس	الغور	خيبر	الشحر	تهامة	أشجع					
٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢				

(١) فاقت لهجة اليمن في اللسان إحصائيا غيرها من اللهجات المرصودة ، ولم أهتم بإحصائها بدقة ؛ لأن ابن منظور خلط بين اللهجة اليمنية والحميرية ، وذلك لا يتفق والبحث العلمى الحديث .

علياء مضر سفلى مضر عوف بن سعد بهراء اليمامة خثعم

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

نمير خزاعة سعد بن بكر بنى عبيد جديلة تغلب

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

وهبيل غنم الطائف الرباب بشينة جهينة

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

تيم بن ثعلبة أزد السراة غنى عجلان بنى عدى تيم الرباب

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

بنى سلامة ثقيف مجاشع معد همدان

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

ومن كتب اللغة العامة :

(و) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ت ٩١١ هـ .

لهجة تيم الحجاز طيء هذيل اليمن قيس نجد حمير أزد شنوءة

عدد ورودها : ٥٨ ٤٩ ٦ ٤ ٤ ٣ ٢ ٢ ٢

قريش أسد عامر سليم البحرين قضاة نزار عبدالقيس

٢ ٢ ٢ ١ ١ ١ ١ ١

كلاب العالية هوازن ضبه الأنصار مكة عقيل

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

ومن كتب اللغة الخاصة :

(ز) الإبدال لأبى الطيب^(١) اللغوى ت ٣٥١ هـ .

لهجة : تيم طيء أسد الحجاز بنى دبير كلاب قريش هذيل

عدد ورودها : ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١ ١ ١

العالية أزد شنوءة

١ ١

(١) ط دمشق ١٩٦٠ - الجزء الأول تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخى ، وكذلك الجزء الثانى : دمشق

(ح) كتاب (ليس في كلام العرب) للحسين بن أحمد بن خالويه ت ٣٧٠ هـ ، ويشمل هذا الإحصاء القسم الأول من الكتاب المطبوع بتحقيق الشنقيطي ، كما يشمل القسم الخامس من الكتاب وهو قرابة ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط والمصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٢٢ ميكروفلم عن نسخة فريدة مخطوطة بالأسنانة بمكتبة شهيد على رقم (٢١٤٣) .

لهجة : تميم أسد عقيل اليمن عبد القيس بلحارث بن كعب
عدد ورودها : ٢ ٢ ٢ ٢ ٢ ٢ ١

مكة شامية أهل البحرين
١ ١ ١

ومن كتب شروح الأشعار :

(ط) ^(١) شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ٤٢١ هـ .

لهجة : طيبي تميم الحجاز هذيل اليمن قيس .
عدد ورودها : ٥ ٤ ٢ ٢ ١ ١

(٢) ومن كتب اللغة : مفردات لغوية خاصة تدور في فلك واحد وهي كتب التضاد الجنسي

(ى) ما يذكر ويؤنث من الإنسان ومن اللباس لأبي موسى ^(٣) الحامض ت ٢٥٢ هـ

لهجة :

عددتها : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

(١) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) يعنى : المذكر والمؤنث

(٣) حققه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب .

(ك) كتاب التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني^(١) ت ٢٥٥ هـ .

لهجة :	تميم	الحجاز	قيس	أسد	نجد
عددها :	٢	٢	١	١	١

(ل) كتاب المذكر والمؤنث^(٢) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ

لهجة : لم يعز فيه المبرد إلى قبيلة ما .

(م) كتاب المذكر^(٣) والمؤنث لابن جني ت ٢٩٢ هـ

لهجة :	أسد	نجد	الحجاز
عددها :	١	١	١

(ن) المذكر والمؤنث^(٤) لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم التستري (أواسط القرن الرابع الهجري) .

لهجة :	الحجاز	أهل نجد	بعض بني أسد	غير الحجاز	أسد	بعض عكل
عددها :	٥	٣	٢	٢	٢	١

غير نجد	بعض قيس
١	١

(١) مخطوط بالتيمورية رقم ٢٦٤ لغة .

(٢) مخطوط بالتيمورية رقم ٤٠١ لغة ، وهو برواية أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار عن أبي بكر محمد بن السري السراج عن المبرد .

(٣) مخطوط بالتيمورية رقم ٣٨٨ لغة .

(٤) مخطوط بدار الكتب ٣٤٣ لغة ويقع الكتاب في ذيل كتاب مجهول المؤلف والاسم جميعا وهو مرتب على نسق حروف المعجم ، والنسخة بها سقط بقية حرف (ص) إلى بقية حرف (ع) .

(س) مختصر في المؤنث^(١) والمذكر لأبي الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ

لهجة : تميم .

عددتها : ١

(ع) البداة في الفرق^(٢) بين المذكر والمؤنث لأبي البركات بن الأنباري (٥١٣ هـ -

٥٧٧ هـ)

لهجة : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

(ف) قصيدة ابن الحاجب^(٣) ت ٦٤٦ هـ في الأسماء المذكرة والمؤنثة .

لهجة : لم يعز فيه المؤلف إلى قبيلة ما .

(ص) عقد الجوهرة في الأسماء المؤنثة والمذكرة ، نظم الإمام عبد الرحمن بن الحسن^(٤)

لهجة : أسد الحجاز نجد

عددتها : ١ ١ ١

(ق) فتح الرحمن^(٥) بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان لأحمد بن أحمد

ابن محمد السجاعي ت (١١٩٧ هـ) .

لهجة : طيء تميم .

عددتها : ١ ١

(١) مخطوط بالتيمورية ٢٦٥ لغة .

(٢) حقيقه وقدم له وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب .

(٣) مخطوط بالتيمورية في مجموعة لغوية ٣٢٧ لغة .

(٤) مخطوط بالتيمورية رقم ٣٢٧ لغة في مجموعة .

(٥) مخطوط رقم ٢٦٩ لغة تيمور ، والكتاب شرح منظومته في الأعضاء التي يجوز التذكير والتأنيث وكتبها

محمد بن إبراهيم ثلاث نخلت من شعبان ١٣٠٥ هـ .

(ر) رسالة في المؤنثات السماعية^(١) لنور الدين الجزائري .

لهجة : لم يعز فيها المؤلف إلى قبيلة ما .

(ش) نبذة في المؤنثات السماعية (لم يعرف مؤلفها^(٢)) .

لهجة : لم يعز فيها المؤلف إلى قبيلة ما .

(ت) الإمتاع^(٣) بما يتوقف تأنيثه على السماع للأستاذ الأكبر محمد الخضر

حسين^(٤) .

لهجة :	تميم	أسد	الحجاز
عددها	٢	٢	٣

ثالثاً

لوحة إحصائية عن مدى رواية العلماء – الذين لهم كتب لغات مفقودة – اللهجات

القبائل العربية في كتابي (المخصص : لابن سيده ، والهمع للسيوطي) :

(١) إحصائية ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في المخصص

ابن دريد (بصري لغوي)	٣٩ مرة
أبو زيد الأنصاري (بصري نحوي)	١٣ مرة
يونس بن حبيب (بصري نحوي)	٦ مرات
الأصمعي (بصري لغوي)	٤ مرات
أبو عبيدة معمر بن المثنى (بصري لغوي)	٣ مرات
الفراء (كوفي نحوي)	٣ مرات

(١) ط بيروت ١٩٠٨ م .

(٢) مخطوط بالتميمورية ٣٢٧ لغة ضمن مجموعة .

(٣) ط مكتبة دار الفتح بدمشق .

(٤) ولد الأستاذ الأكبر في (١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م) وتوفي سنة ١٩٥٨ م وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٢ وكان عضواً في مجمع اللغة العربية .

(ب) إحصائية السيوطي ت ٩١١ هـ في الهمع :

الفراء (كوفي نحوي) ٦ مرات^(١) .
أبوزيد الأنصاري (بصري نحوي) ٢ مرتان^(٢) .
أبو عبيدة معمر بن المثنى (بصري لغوي) ١ واحدة^(٣) .

تعقيب ونقد

أولا : يلاحظ على منهج سيبويه في إيراده لهجات القبائل من خلال كتابه :

أنه تارة يحكي اللهجات عن العرب بواسطة أبي الخطاب^(٤) ، ويونس^(٥) والخليل^(٦) ،
وكثيرا ما يقول (وجميع ما وصفنا من هذه اللغات سمعناه من الخليل ويونس عن العرب^(٧))
وتارة أخرى يسميها بنفسه^(٨) ويحكيها ، أو يوجه السؤال عنها إلى العرب فيقول :
(سألنا العلويين والتميميين . . .)^(٩) كما كان يصدر أحكاما منهجية عن اللهجة
كقوله (استوت اللغتان فسارت على أقيس الوجهين^(١٠)) أو يصف لهجة الحجاز بقوله
(وهي عربية جائزة^(١١)) أو بقوله (وهي اللغة العربية القديمة الجيدة^(١٢)) أو بقوله
«والحجازية هي اللغة الأولى القديمة^(١٣)» .

(١) الهمع ١ - ٢٤٤١ - ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٣٣ ، ١٠٣٤ - ١٣٤

(٢) الهمع ١ - ١١٢ - ٢٤ ، ٣٣ .

(٣) الهمع ٢ - ٣

(٤) الكتاب ٢ - ٢٨٧ ، ٤٠٨

(٥) الكتاب ١ - ٢٤٨ ، ٣١٧ ، ٢ - ١٦٠

(٦) الكتاب ١ - ٣١٧ ، ٢ - ١٦٠ ، ٢٨٧

(٧) الكتاب ١ - ٣١٨

(٨) شرح المفصل لابن يعيش ٩ - ٧٢ ، ٧٧ ، ١١٨ ، ١٠ - ١٤١

(٩) الكتاب ٢ - ٧٤

(١٠) الكتاب ١ - ٢٩ ، ٣٦٢

(١١) ٢ - ٤١٦

(١٢) ٢ - ٤٢٤

(١٣) ٢ - ٤١

وقد يستعمل أسلوب المعلم في عرض اللهجة مثل «إعلم أن بني تميم يقولون في موضع الرفع : ذهب أمس بما فيه»^(١) . . . وقوله (واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحا ، والياء إذا ما كان ما قبلها مكسورا ، والواو إذا كان ما قبلها مضموما وليس ذا بقياس^(٢) » وقوله «واعلم أن قوما من ربيعة . . .»^(٣) وأحيانا أخرى يؤكد الخبر كقوله في إجراء القول مجرى الظن مطلقا عند بني سليم «وسألت أبا الخطاب عنه غير مرة»^(٤) أو يحدد معالم اللهجة اتساعا وانكماشاً كقوله «وزعم لي بعض العرب أن ياهذا زيد كثير في كلام طيء»^(٥) وكقوله «فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد»^(٦) . . . أو «سمعنا بعض بني تميم من بني عدي . . .»^(٧) .

وأحيانا تضطرب عنده الحدود بين الضرورة واللهجة فيجئ إلى القول بالضرورة ، فقد رأى في تسكين الياء في المنصوب الناقص ضرورة ، على حين أجاز ذلك أبو حاتم السجستاني في الاختيار ، وقال إنه لغة فصيحة ، وخرج عليه قوله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهاليكم) بسكون الياء^(٨) ، كما حكم المبرد بجواز ذلك في سعة الكلام^(٩) .

أما منهج سيبويه في سند اللهجة : فكان لا يلتزم طريقا واحدا كقوله «وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون : نبيء وبريئة وذلك قليل رديء»^(١٠) أو يقول «سمعنا ناسا من العرب كثيرا يقولون»^(١١) . . . أو «وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع»^(١٢) . . . أو «سمعنا ذلك من تميم وأسد»^(١٣) أو «وسمعنا عربيا وثوقا بعربيته يقول . . .»^(١٤) أو يروي اللهجة عن سمعها من العرب كقوله «حدثنا

(١) ٤٣ - ٢	(٢) ١٦٩ - ٢
(٢) ٢٩٤ - ٢	(٤) ١٦٣ - ١
(٥) ٣٠٨ - ١	(٦) ٢٩٩ ، ٢٩٥ - ٢
(٧) ٢٨٧ - ٢	(٨) الجمع ٥٣ - ١
(٩) شرح ابن عقيل ١ - ٧٣ حاشية	(١٠) الكتاب ٢ - ١٧٠
(١١) الكتاب ١ - ١٦٦	(١٢) المصدر السابق ١ - ٤٥٠
(١٢) السابق ٢ - ٢٨٥	(١٤) السابق ١ - ٤١٥

يونس. أن بعض العرب .. (١) «أو» حدثنا البخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس (٢) «وأحيانا يأتي بالسمع عاما فلا يحدد قبيلة من العرب كقوله «وسمعناهم» يقولون: هو يضرها» (٣) «ولما استعمل سيبويه سلاسل الإسناد ليحيط اللهجة بالثبوت والضبط ، وذلك أقرب إلى منهج المحدثين .

وسقنا هذا الحديث عن كتاب سيبويه ، لأنه كثيرا ما يروى اللهجات عن أستاذه . يونس البصري كما سبق ، ويونس صاحب «كتاب اللغات» المفقود ، وما في كتاب سيبويه من إشارات لهجية عن يونس تعطي صورة ما عن مؤلفه المفقود في اللغات – عن طريق غير مباشر – والذي نحاول أن نتلمس شبحه من المصادر التي تكون ربما نقلت عنه .

ثانيا : بمقارنة كتب المذكر والمؤنث السابقة بكتاب الفراء في المذكر والمؤنث – نرى أن كتاب الفراء يفوقهم جميعا في العزو إلى لهجات القبائل ، وذلك يرجع فيها أظن إلى أن الفراء – وقد ألف كتابا – لا يزال مفقودا – في اللغات – استفاد منه ، ونقل عنه فيما يختص بلهجات القبائل ، بل ربما استفاد منه غيره أيضا من ألف في هذا الفن كابي الحسين سعيد بن إبراهيم التستري في كتابه المذكر والمؤنث حيث كان أكثر ما ينقله من لهجات معزوة إلى القبائل العربية في ظاهرة التذكير والتأنيث – كان مردها إلى الفراء (٤) .

ثالثا : كشفت لنا اللوحات الإحصائية عن تفاوت العلماء في العزو إلى القبائل قلة وكثرة مع اتحادهم في نوع التأليف . قارن اللوحتين الإحصائيتين لكتابي الاشتقاق للأصمعي وابن دريد ..

رابعا : كما أبرزت لوحة إحصائية عن كتاب «ليس في كلام العرب» لابن خالويه ؛ لأنه نقل فيه نصوصا من كتاب اللغات لأبي زيد من ذلك قوله «ليس في كلام العرب نسوة» بمعنى النسيان إلا في كتاب اللغات : نسيت الشيء أنساه نسيانا ونسيانا

(١) السابق ١-٣١٧ (٢) السابق ٢-٢٨٧ (٣) السابق ٢-٢٨٥

(٤) ص ٢٠٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ من المخطوطة ٣٤٣ لبة بدار الكتب .

وَنَسَاوَةٌ وَنِسْوَةٌ . قال : وكتبت امرأة إلى زوجها : فوالله ما أدري أصرمت أم ملكت أم نسيت ؟ فكتب لها .

فلستُ بصراً ولا ذى ملالة ولا نِسْوَةٌ للعهد يا أم جعفر^(١)

وأرجح أن ابن خالويه كان يعبّ من كتاب اللغات لأبي زيد مباشرة ، أو أنه نقل عنه بواسطة أبي بكر بن دريد ، يؤكد ذلك أنه ورد في كتب الطبقات أن ابن خالويه أخذ عن ابن دريد^(٢) وابن دريد نقل في جمهرته من كتاب اللغات لأبي زيد^(٣) . وكان ابن خالويه كما جاء عن ابن الأثير^(٤) يميل إلى تسجيل اللغات المختلفة .

خامساً : كما أشارت اللوحات الإحصائية إلى ارتفاع تسجيل اللهجات في الجانب الشرقى عنه في الجانب الغربى في الجزيرة العربية ، ولعل السرّ في ذلك يرجع إلى أن الجانب الشرقى كان على صلة دائمة بالآراميين والفرس والأشواق الأدبية الشرقية فتأثر بها ، وسجل حياته اللغوية ، ونشاطه الشعرى ، حتى إذا أشرق فجر الإسلام وضحاها رحل إليهم الرواة واللغويون فسجلوا ، اسمعوه منهم ، بعكس الجانب الغربى حيث ضنّ البيزنطيون بتشجيع عرب الغرب على تسجيل تراثه وأدبه ، إذ كانت سياستهم مادية نفعية^(٥) .

سادساً : أن المفردات اللغوية الخاصة التى تدور فى فلك واحد ككتب التضاد الجنسى تصور منهجا للتفكير اللغوى ، وذلك من خلال الأحكام التى كان يصدرها الرواة كقول أنى الحسين معيد التسترى فى كتابه المذكر والمؤنث فى تعليقه على بعض الصيغ المذكرة والمؤنثة « وهو شاذ غير مختار ولا معمول عليه البتة^(٦) » وقوله « وأهل نجد يقولون زوجة

(١) فى كتاب « ليس فى كلام العرب » ١١٠ دار مصر . أو ملكت - وصحبت كما فى الجمهرة ٣ - ٤٨٥
« أم ملكت » ولقارة النص أنظر : الجمهرة ٣ - ٤٨٥ « ليس فى كلام العرب » ١٠٩ - ١١٠ والسان : نسا
١٩٣ - ٢٠

(٢) نزهة الألباء ٣١١ نهضة مصر

(٣) الجمهرة ٣ - ٤٧٢ ، ٤٨٤

(٤) نزهة الألباء ٣١٢

(٥) الأمثال فى النثر العربى القديم د . د . عبد المجيد هايدى

(٦) ص ٩

لأنثى وهو أكثر من زوج ، وزوج أفصح من زوجة^(١) ، كما أنه يحدد أبعاد اللهجة كما وكيفاً مثل «وبعض أسد وبعض عكل وبعض قيس» ، كما ترى هذه المفردات تصور ضيق الأصمعي في تقبل اللهجات ومثاله ما جاء في البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري «وأنكر الأصمعي فيها التذكير^(٢)» أي القفا. وقول الأصمعي عن العنق «لا أعرف فيه التأنيث^(٣)» . كما تتكرر عبارة «ولم يعرفه الأصمعي^(٤)» في كتب التذكير والتأنيث كثيراً.

سابعاً : في إحصاء المزه للسيوطي - يلاحظ أنه نقل ٢٧ لهجة لكل من الحجاز وتميم وذلك عن يونس بن حبيب في كتابه النوادر ، كما نقل ١٦ لهجة لكل من الحجاز وتميم أيضاً عن اليزيدي في كتابه النوادر ، ومعنى هذا أن كتب «النوادر» وكتب «اللغات» كانت تدور في فلك واحد تقريباً ، يؤكد ذلك أن كتب النوادر تكثر فيها لهجات القبائل ، وذلك يقوى التقارب بينهما شكلاً وموضوعاً .

ثامناً : إن المصنفات السابقة عزت لهجات القبائل إلى بيئات جغرافية شاسعة : كاليمن والحجاز واليمامة ونجد والعالية ، وأحياناً كانت تنكش الرقعة الجغرافية حتى تبرز معالمها : كالعزو إلى عالية تميم^(٥) ، وسفلى قيس^(٦) ، أو عليا مضر^(٧) وسفلاها ، أو لغة أهل النور^(٨) ، أو لغة أهل الجوف^(٩) . كما تعزوها حيناً إلى مجموعات قبلية وأحلاف مثل : الرباب - فقد كونوا حلفاً اشتمل على خمس قبائل وهي : ضبة وثور وعكل وتميم

(٣) ص ٧٢

(٢) ص ٧٢

(١) ص ٧

(٤) أنظر فتح الرحمن بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان : لأحمد السجاعي مخطوط رقم ٢٦٩ لغة تيمور ، والمذكر والمؤنث للتستري : ص ٢ ، ١١ مخطوط بدار الكتب ٣٤٣ لغة ، وكتاب التذكير والتأنيث للسجستاني ص ٢ ، ١٨ مخطوط بالتيمورية ٢٦٤ لغة

(٥) هو بنو عمرو بن نعيم ، وهم بنو الهجيم والمخير ومازن : السان ١٩ - ٢٢٦

(٦) هم بطونها المتفرعة منها والتي تسكن نجداً مجاورة تميم كمثيل وبغني.

(٧) عليا مضر - هي القبائل التي تقارب المدينة وما حولها ودناها ، وسفلاها : هي القبائل التي تقارب

نجداً .

(٩) الجهرة ٢ - ٣٠٢

(٨) الفائق للزغشري ٣ - ١٩٨ فاهلها .

وعبدى - وسموا جميعا باسم الرباب^(١) ؛ لأنهم أدخلوا أيديهم في ربّ وتحالفوا عليه^(٢) ،
ومثل الرباب - هوازن^(٣) التي يرجح أنها كانت في الأصل خلفا ضم جملة قبائل ، ومثلهما
في ذلك خثعم* - وقد ذهب (ليني ديلا فيدا) في المعلقة الإسلامية إلى أن خثعما ليست
قبيلة في الأصل ، وإنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تجمعها مصالح مشتركة^(٤) .
كما كان العزو يشمل حيناً آخر أكبر وحدة سياسية في اصطلاح النسابين كالعزو إلى
إلى مضر وعدنان ، أو يشمل أصغر وحدة سياسية كالعزو إلى لهجات البطون والفروع
والأحياء : كلهجات بني الهُجيم^(٥) ، وزبيد^(٦) . وحيدان ، وكتب^(٧) وهما بطنان
من قضاة ، ونبهان وهي بطن من طيء ، وكعب بن ربيعة وهي بطن من عامر بن صعصعة .
كما وجدتُ بعض مصادر الإحصاء تعزو لهجات القبائل إلى الحواضر : كلهجة مكة
والمدينة والطائف وخيبر والعراق . كما يلاحظ أن عدد اللهجات تكثر كثرة غامرة - إذا
عزيت إلى القبائل المشهورة : كتميم والحجاز على حين تخبو وتضعف إذا عزيت إلى
القبائل المغمورة . على أن الرقعة الجغرافية والمناخ الفكري كثيراً ما يحددان اللهجات كما
وكيفا ، ومن ذلك أن بعض أجزاء الجزيرة العربية كان مستودعاً لنشر لهجات من نوع
خاص ، ويظهر ذلك في كثرة ما جاء عن أهل المدينة والطائف من مفردات لهجية وافرة
اختصت بها النخل والكرم ؛ لاشتهار هذين المكانين بهذين النوعين ، ومن هنا يمكن أن
نعلل وجود صورة النخلة على عملتهم النقدية^(٨) ، كما سجل القرآن الكريم ذلك في قوله

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ١٢٣ ومعجم كماله ٢ - ٤١٥ وفي نسب عدنان وقحطان ص ٦ أنها أربع قبائل .

(٢) اللسان ٣٨٨/١

(٣) تاريخ العرب : ٤ - ٣٢١ جواد على * وهي بطن من أراش من القحطانية : نهاية الأرب ٢٤٣ .

(٤) تاريخ العرب ٤ - ٢٦٣ جواد على .

(٥) بطن من تميم من العدنانية . نهاية الأرب للقلقشندي ٧٨ .

(٦) بطن من سعد العشيرة من القحطانية . نهاية الأرب ٢٦٨

(٧) وكانت ديارها تتاخم ديار جذام من الشمال ، وتذهب إلى كتب بن زهرة ، وكانت تنزل ديار الشام عند ظهور الإسلام .

(٨) تاريخ العرب ٨ - ١٦٥ د. جواد على

« ما قطعتم من لينة : الحشر آية ٥ » وهي النخلة بلغة الأوس^(١) ، كما لوحظ أيضا أن هذه المفردات القبلية لما هاجرت من أماكنها الأصلية - أصابها في تظوافها وهجراتها انحراف صوتي ودلالي ؛ لأنها انتقلت إلى بيئة جديدة^(٢) .

كما يلاحظ على اللوحة الإحصائية لديوان الحماسة شرح المرزوقي أن لهجات طيء قد زادت عن غيرها من اللهجات ، بل فاقت لهجة تميم والحجاز ، وهما يتصدران ذروة الإحصاء بين القبائل ، وعلمت تفوق طيء عليهما في هذه اللوحة بأن أباتمام قد اختار أكثر شعراء الحماسة من قبيلة طيء . وما قيل عن أبي تمام يمكن أن يقال عن ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) حيث برزت في المقدمة - لهجة اليمن ، وذلك في اللوحة الإحصائية السابقة ، وتعليل ذلك يسير ؛ إذ أن ابن دريد يمني^(٣) ، فهو متأثر بالعاطفة القبلية .

رابعاً

تفرد بعض من ألف في « كتب اللغات » بعزو بعض الصيغ .

تفرد المؤلفون في كتب (لغات القبائل) المفقودة - بعزو سجلته لهم المصادر الثانوية ولم نسمعه من غيرهم .

(١) فالفراء ٢٠٧ هـ يذكر أن « الهون^(٣) في لغة قريش : الهوان ، وبعض تميم يجعل الهون مصدرا للشيء الهين . . . إلى أن قال : سمعت الهوان في مثل هذا المعنى من بني إنسان^(٤) . قال (الفراء) قال (العربي) ليعير له : ما به بأس غير هواه^(٥) . كما يتفرد الفراء بحكاية لهجة (القناني) . جاء في إصلاح المنطق^(٦) « ويقال : مخ رير ورار ، وهو الرقيق يدق عند الهزال كالماء . وزعم الفراء قال : لغة القناني^(٧) رير بفتح الراء وأنشد : « والساق منى بارادات الرير »

(١) كتاب اللغات في القرآن ٤٨ .

(٢) أنظر كتاب النخل للأصمعي ٦٥ - ٧١ وكتاب الكرم له أيضا ٧٥ - ٧٦ وأنظر اللسان ١٩ - ٩٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ - ١٠٦ فابعدا .

(٤) هي اسم قبيلة عربية : أنظر نهاية الأرب للقلقشندي ٨٨ .

(٥) يعني : أنه هين خفيف الثمن . (٦) ص ٨٩

(٧) ينسب إلى قنان بطن من بلحارث بن كعب : اللسان ١٧ - ٢٢٩ . . .

وفي لهجة القناني هذه كما رواها القراء تحولت الحركة البسيطة *i* أو *e* إلى أخرى مركبة *ai* وهي التي تسمى بـ *Diphthong* . وأرجح أن لهجة القناني أعرق في القدم من غيرها . . .

(ب) وأبو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ يتفرد بعزو ورد في تركيب غريب ، فقد جاء في الخزانة^(١) عن عمر بن الخطاب « كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العبرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم » كما ورد شاهد شعري لهذا التركيب في قول الشاعر :

وذبيانية أوصت بنيتها بأن كذب القراطف والقروف^(٢)

وقد وردت الروايات برفع الاسم تارة ، وبنصبه أخرى أي : الحج والحج ، وفي المسائل القصريات « كذب عليكم الحج - أنه كلامان كأنه قال : كذب يعني رجلا ذم إليه الحج ، ثم هيج المخاطب على الحج ، فقال : عليك الحج^(٣) » وفي حجة الفارسي^(٤) ، ومخصص ابن سيدة^(٥) : أن مضر تنصب به ، وأن اليمن ترفع به . لكن وردت رواية في كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي^(٦) عن أبي عبيدة معمر بن المثنى في حديث عمر السابق « كذب عليكم الحج . . . أنه سمعها من العرب يرفعون بها^(٧) في معنى الإغراء ، قال أبو عبيدة : ما خلا

(١) خزانة الأدب ٣ - ٩ لما بعدها

(٢) الخزانة ٢ - ٢٨٩ والقراطف جمع قرطف وهو القطيفة . والقروف : وعاء من الجلد يدينغ بالقرفة ويحصل فيه الخلج ويطلق بتوابل .

(٣) الفائق في غريب الحديث ٢ - ٤٠٢ للزغشري .

(٤) ١ - ٢١٠ مخطوط بدار الكتب

(٥) ٣ - ٨٦

(٦) ١ - ١١٤ لما بعدها ط دمشق تحقيق د : هرة حسن .

(٧) أي يقرءون الاسم الواقع به كذب مرفوعا على أنه فاعل كذب .

أعرابيا من غنى^(١) - وكان فصيحاً - فإنه نصب^(٢) ، وذلك أنه دخل منزلي
فرأى شويهة مضرورة فقال : ما بال هذه على ما أرى ؟ فقلت : إنا لنعلقها .
قال : كذب عليك البزّر والنوى . فأتيت به يونس بن حبيب فكتبها عنه .

ويستنتج من النص السابق أن أبا عبيدة - وقد ألف كتاباً في اللغات ،
ولا يزال مفقوداً - أتى بجديد حيث أضاف (غنياً) إلى قائمة القبائل الناطقة
بالنصب ، ثم وثق هذه اللهجة بأن ساقها في جوهاً وبيئتها ، فهي ملاحظة
مباشرة ، كما أنه أتى بالراوى إلى يونس بن حبيب - وهو من ألف في كتب
اللغات أيضاً ولا يزال كتابه مفقوداً - ليلاحظ هذا الأعرابي في لهجته ويسمع
منه ؛ ولهذا تلقف يونس اللهجة وسجلها إيماناً بأن اللهجات المخالفة يجب
أن تعيش وتبقى ، ويظهر أن أصحاب كتب اللغات المفقودة - كانوا يسجلون
موادهم عن القبائل تسجيلاً موثقاً مباشراً كما رأيت .

(ج) كما تفرد أبو زيد في نوادره^(٣) بصيغة عزاها لغة لبني كعب بن عبد الله بن أبي
بكر حيث يقولون على التحويل « رَفَيْتُ الثوبَ أَرْفِيهِ رَفِيّاً ، والعرب تقول
« رَفَأَتِ الثوبَ أَرْفَوَهُ رَفْأً »

(د) وتفرد ابن دريد بذكر لغة زهران^(٤) ، ولغة الشَّرى^(٥) .

ويظهر أن غيرهم من العلماء الذين لم يؤلفوا في لغات القبائل - كانوا يتفردون
أحياناً بعزو بعض الصيغ القبلية كالخليل : حيث ذكر لهجة الخفاجيين^(٦) ، والليث :
فقد تفرد بذكر لهجة أهل بشنة^(٧) .

(١) قبيلة من قيس عيلان وديارها بنجد بجوار طيء وعند حمى ضرية .

(٢) أي نصب الاسم الواقع بعد كذب على الإغراء . (٣) ١٩٣

(٤) وهم بطن من شنوءة : الاشتقاق ٢٩٧ وستنقله .

(٥) الاشتقاق ٢٩٩ وهم بطن من زهران بن كعب .

(٦) اللسان ١٨ - ٣١٨

(٧) العين ١١٦ ط بغداد

ويمكن أن نبير هنا سؤالا مؤداه هل كانت (كتب اللغات) تعالج وضع اللهجة في مستويات اجتماعية خاصة ؟ لا نستطيع الإجابة الآن لفقد (كتب اللغات) إلا أنني أستطيع أن أذكر أن المصادر الثانوية ورد بها عزو لطبقة اجتماعية خاصة ، ففي اللسان ج ٨ ص ٢٥٩ قال أبو عدنان : سمعت التميميات يقلن : الهوثن والبوثن كثرة الناس والدواب . ولا أستطيع الحزم إن كان اللسان نقل لهجة نساء تميم عن كتب اللغات أو عن غيرها لاسيما أن الذي رواها أبو عدنان ، وليس هو ممن ألف في (كتب اللغات) .

خامسا

موقف المصادر الثانوية من بعض الروايات اللهجية المسندة إلى من ألف في كتب اللغات :

كثيرا ما تنقل لنا بعض المصادر الثانوية لهجات مصدرها بعض العلماء الذين ألفوا في (كتب اللغات) ، إلا أن هذه اللهجات نقلت مبتورة أو ناقصة ، ويظن الباحث أن هذا النقص كان من المصدر الأصلي ، وبالبحث وجدت أن هذا التشويه والمسح كان غالبا من المصادر الثانوية التي نقلت عن المصادر الأولى ، ولناخذ أمثلة يسيرة توضح هذا الجانب :

(١) فقد نقل اللسان^(١) حكاية عن الفراء (وله كتاب لغات مفقود) مفادها : أن قوما من العرب يخفضون (بلعل) . فالفراء في هذه الرواية لم يحدد أي هذه القبائل التي تخفض بلعل ، وكأن إهمال العزو من الفراء نفسه ، ولكن الهمع^(٢) ينقل أن الجر بها لغة عقيلية - حكاها الفراء وأبو زيد والأخفش . فالفراء وأبو زيد - وكلاهما ألف في لغات القبائل - لم يهمل العزو كماتشير إليه رواية اللسان السابقة .

(ب) وحكى ابن يعيش^(٣) عن الفراء أن بعض العرب يفتح لام الأمر ، فالرواية لم تحدد من بعض العرب ؟ وتوهم أن الفراء كان مقصرا في هذا ، ولكن السيوطي يبدد هذا الوهم حيث حكى عن الفراء أن فتح لام الأمر لغة سليم^(٤) إن لم تقع بعد الواو أو الفاء أو ثم .

(١) ٢٤ - ١٦ (٢) ٣٢ - ٢ (٣) ٢٤ - ٩ (٤) المبع : ٢ - ٥٥

(ج) كما نقل ابن دريد عن أبي زيد - وله مؤلف في اللغات مفقود - «هداوى وهدايا»^(١) ، مهمة الغزو كماترى ، لكن رواية اللسان عن أبي زيد هي «الهدية جمعها هدايا ، وهداوى» - وهى لغة أهل المدينة ، وعن أبي زيد : الهداوى لغة عليا معدّ ، وسفلاها : الهدايا»^(٢) . وأرجح أن ابن دريد هو الذى اختصر الغزو السابق وحذف منه النسبة إلى القبائل ؛ بدليل أن اللسان قد ساق الغزو كاملا عن أبي زيد ، مشيرا إلى عزوه للقبائل .

سادسا

أحكام صدرت على لهجات القبائل مادحة حيناً ، وقادحة أخرى .

من العجيب عندما نتصفح أحد المعاجم الكبرى للغتنا العربية ، نصطدم بأوصاف وأحكام مختلفة لللهجات قبلية ونعرض الآن نموذجاً من هذه الأوصاف وتلك الأحكام .

١ - صفات للهجات غير منسوبة ولا تأثير لها : كقولهم : هي لغة^(٣) ، أو لغة معروفة^(٤) مشهورة ، أو فى بعض اللغات^(٥) ، أو لغة قوم^(٦) ، أو لغة بعضهم^(٧) ، أو لغة قليلة^(٨) .

٢ - أحكام تتضمن خلع صفات لها تأثير على لهجات غير منسوبة : كقولهم - لغة رديئة^(٩) أو رديّة ، أو ضعيفة ورديئة^(١٠) أو شنعاء^(١١) أو لغة علياء^(١٢) أو اللغة العالية^(١٣)

(١) الجهرة ٣ - ٤٧٢ (٢) اللسان ٢٠ - ٢٣٣

(٣) حاسة المرزوقى ٣ - ١٣٥٩ ، ١٤٣٨ ، المخصص ٤ - ١٣٣

(٤) المخصص ١٧ - ١٩ (٥) الجهرة ٣ - ١٩

(٦) نوادر اللغة لأبي زيد ٤٠ ، الكامل للمبرد ١ - ١٨٦ ط التجارية

(٧) أمالى الشجرى ٢ - ٣٤ والمخصص ١٤ - ١٤ (٨) منبويه ٢ - ٢٩٦

(٩) أمالى الشجرى ٢ - ٣٤ ، ١ - ٣٨١

(١٠) اللسان ٢٠ - ١٣٩ (١١) اللسان ٣ - ١٤٩ ، ٤ - ٢٢٧

(١٢) أمالى الشجرى ٢ - ٧٩ (١٣) المصباح ٥٧١

أو خبيثة^(١٣) أو شرّ اللغات^(١٤) أو لغة سوء^(١٥) أو لغة لا خير فيها^(١٦) أو لا يعجبها^(١٧) ، أو لغة الخطيئة من أحياء العرب^(١٧) .

٣ - أحكام منهجية تتضمن مدحا للهجات قبلية منسوبة :

(١) كقولهم عن لهجة الحجاز : والإدغام أحسن ، والبيان عربى حجازى^(١٨) أو عربى حسن^(١٩) ، أو (وهى الحجازية الجيدة)^(٢٠) أو (اللغة الحجازية هى اللغة الأولى القدى^(٢١)) كما نسمع مدحا وإطراء لل لهجة الحجاز ولكن من نوع آخر مثل (العرب الذين ترضى عربيتهم ، أو : الموثوق بعربيتهم ، أو فصحاء العرب^(٢٢) .

(ب) كما نسمع مدحا لمسكر آخر يمثل الكتلة التميمية ، ومن ذلك : ما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه ورد عليه الوفود ، فأقرأ الأخصام^(٢٣) كل خمس على لفته فكان أعرب القوم تميم . ويقول أبو عمرو بن العلاء - أفصح الناس عليا تميم . . . وفى رواية سقى تميم^(٢٤) .

(ج) بعض القبائل الأخرى : كقبيلة (جرم) قال الأصمعى : وجرم فصحاء العرب^(٢٥) ، وقال الخليل : أفصح العرب : نصر قعين ، أو قعين نصر^(٢٦) .

(١٤) الخزائن ١ - ٢٢٥

(١٣) الشافية ٢ - ٢٤٧

(١٦) المرجع السابق

(١٥) المزهر ١ - ٢٢٥

(١٨) الكتاب ٢ - ٤٠٧

(١٧) اللسان ٥ - ٤٧

(٢٠) السابق ٢ - ٤٢٩

(١٩) المرجع السابق ٢ - ٤١٢

(٢٢) العربية يوهان فلك ٥١

(٢١) اللسان ٥ - ٢٧٦

(٢٣) القافى للبرد ١١٣ ، والمراد بالأخماس : أخماس البصرة وهى : العالية . بكر بن وائل . تميم . عبد القيس . الأزدي .

(٢٤) المزهر ٢ - ٤٨٣ والصاحبي ٢٨ وعليها تميم هو : بنو عمرو بن تميم - وهم بنو المهجم والعنبر ومازن .

(٢٥) القافى للزغشوى ٢ - ٤٥٩ ، وجرم : بطن من طيء من القحطانية ٢٠٩ نهاية الأرب للقلقشندي

(٢٦) كتاب العين ٨٨ فصلة مطبوعة فى بغداد ، ١٩٣ تحقيق الدكتور عبد الله عبد الفتاح دويش ،

وهم بنو نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان من أسد . نهاية الأرب للقلقشندي ٤٣٠

ويرى المقدسى^(١) أن أفصح لغات العرب هذيل ، كما يصف ابن منظور في
اللسان^(٢) الخزاعيين بأنهم من (من أعرب الناس) ، وأن ثقيفا أفصح
العرب . كما روى : أفصح العرب أبرهم^(٣)

وهذه الأحكام التي صدرت على لهجات القبائل أقف منها موقف الشك ؛ لأن
الدافع لها إما : دبنى أو سياسى أو قبلى ، فمثلا (جَرَم) والحكم عليها بأنها أفصح
أو من فصحاء العرب ، جاءت في حوار لمعاوية يوما عندما سأل عن أفصح الناس ؟
فقام رجل من السُّباط^(٤) فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق ، وتيامنوا عن كشكشة
نميم وتياسروا عن كسكسة بكر فقال له معاوية : من أولئك ؟ فقال :
قومي يا أمير المؤمنين : فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : أنا رجل من (جَرَم)^(٥) .
وبما يدعو إلى العجب أن رواية أخرى جاءت في خزانة البعدادى^(٦) والدرّة^(٧) وفيها
بعد بيان ما سبق : مَنْ أولئك ؟ (أى : أفصح الناس) فقال : قومك يا أمير
المؤمنين .

والسؤال لا تعدو في نظرى لتخريج هاتين الروایتين المتضاربتين أن معاوية إن منح
برّه ، فأضعف الطعام ، وأنفق الأموال فأفصح القبائل : قبيلة أمير المؤمنين . وإن
بخل الأمير ، فمَنع برّه ، أو ضعفت سطوته (فجرم) أفصح العرب . هذا عن
جرم ! ! أما أن (ثقيفا) هي الأخرى أفصح العرب ، فلا بأس من أن تكون كذلك ،
ولكن يجب أن يكون ذلك في عهد الحجاج الثقفى وحده ، صاحب السيف المبلل
بالدم القانى ، الذى أذل به الأمة العربية ، وحطم عزبتها به وكرامتها ، فإذا بها تقر له
ولقبيلته (ثقيف) بكل ما يهوى ويثمنى ، ومن السهل أن ننقد كثيرا من الروايات
في ضوء السياسة حينئذ ، والدين والعصبية حينئذ آخر .

(١) أحسن التقاسيم ١ - ٩٧ ط ٢ نشره Degoeje (٢) ١٢ - ١٠٤

(٣) معناه أيدهم في البر والبلد دارا (مقلدة معجم فيشر ص ١٢) .

(٤) وزان كتاب وهو الجانب أو الصف من الناس . (٥) الكامل ١ - ٣٧١ والمفصل للمغشى ٣٣٣

(٦) ٤ - ٩٥ ط ١ بولاق . (٧) ١١٤ ط أولى

على أن الكمال اللغوي في الفصاحة في ضوء ما طالعنا به الرواية السابقة - أمر يسيطر عليه الذوق الشخصي وتنقصه البراهين العلمية الأضيلة ، إذ لم تحدد هذه الروايات نوع الفصاحة أو الأصوات أو التراكيب النحوية أو النظام الصرفي أو الدلالي ، ثم إننا لا نعلم شيئاً ذا بال عن مستوى بعض هذه القبائل في مجتمعاتها مثل : جرم أو نصر قعين . وقعين نصر ؛ لأن اللغة في مراحل حياتها لا تنفصل عن النفس البشرية والمجتمع والتاريخ ، فإذا أضفت إلى ذلك أن ما جمعته من اللوحات الإحصائية لجميع لهجات القبائل ، لا ترى في (جرم) ولا في (نصر قعين) ما يراه الخليل من أنهم يمثلون الفصاحة فضلاً عن أنهم « أفصح العرب » .

٤ - أحكام منهجية تتضمن قدحا للهجات قبلية منسوبة :

: عرضنا فيما تقدم أحكاماً منهجية تتضمن قوافل المادحين للهجات بعض القبائل وعقبت على ذلك بما أراه ، وسنعرض الآن مواكب القادحين كذلك ، معقبا في ذلك كله بما أراد أيضا . فقد عثرت على أحكام من نوع آخر غير ما سبق تتشمل في مصادرة اللهجة ومقاومتها أو معارضتها من ذلك مثلا :

(١) موقف الأنخس ٢٢١ هـ حين عقب على قراءة قرآنية صورت لهجة عربية وهي لهجة بني يربوع بقوله « ما سمعت هذا من أحد من العرب »^(١) ولا من النحويين ، وأنكرها كذلك أبو حاتم ت ٢٥٥ هـ^(٢) : وأما موقف أبي العباس المبرد ت ٢٨٥ هـ منها فكان صارما عنيفا صارخا ، يصور غضبه هذا وثورته ما جاء في تفسير القرطبي^(٣) على لسان المبرد من قوله « لو صليت خلف إمام يقرأ (بمضرخي) »^(٤) بالكسر لأنخذت نعلي وهضيت « فانظر كيف يحتج الرجل على سماعه لهجة عربية تواكبها قراءة قرآنية - بخروجه عن جماعة المسلمين وإمامتهم ! ، وقد نعتها الزجاج ت ٣١١ هـ بأنها « عند جميع النحويين رديئة »

(١) البحر المحيط ٥ - ٤١٩ ، وأنظر الخزانة ٢ - ٢٥٨

(٢) الدر اللقيط ٥ - ٤١٩ (٣) ٥ - ٣

(٤) سورة إبراهيم من الآية ٢٢

مرذولة^(١) !! أما الزمخشري ت ٥٣٨ هـ فاكتفى بأن رماها بالضعف^(٢)

أما المعري ت ٤٤٩ هـ فيرى (إجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة^(٣)) كما يرى أن أبا عمرو ما أجاز هذه القراءة إلا متهزنا^(٤) .

وإذا كان جميع ما تقدم من العلماء - القادحين من البصريين ، فإننا لا نعجب لموقفهم وإنكارهم لهجة عربية صحت سماعا ، كما أنها صحت قياسا ؛ إذ الياء كسرت اتباعا للكسرة التي بعدها في (بمصرخى إني) واللسان فيها يعمل من موضع واحد ، ووجه واحد ، ففيها الانسجام وتقريب الأصوات بعضها من بعض ، وتلك شريعة العربية وسنة فيها متبعة ، وإنما العجيب أن ينكرها شيخ من علماء الكوفة ، ويرمى قارئها بالوهم^(٥) ذلكم هو أبو زكريا الفراء .

(ب) وفي شرح التصريح^(٦) في مبحث ما لا ينصرف « وأما ما نقل عن بني أسد أنهم يقولون : « سكرانة » ويصرفون « سكران » فقال الزبيدي : « ذكر يعقوب أن ذلك ضعيف ردى » . ثم قال : وقال أبو حاتم : لبني أسد مناكير لا يؤخذ بها » وكتب الشيخ « يس » على قوله : وقال أبو حاتم : « لبني أسد مناكير . . . » قال : وجه كونها مناكير أنها مخالفة للغات الفصيحة^(٧) .

(ج) فإذا أسرع بنا عجلة التاريخ وجدنا الهمداني ت ٣٣٤ هـ يصف بعض اللهجات - عند حديثه عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية -

(١) إبراز المأني ٣٦٩ لأبي شامة . (٢) خزائن الأدب البغدادي ٢ / ٢٥٩

(٣) التصريح ٢ / ٦٠ (٤) الفجران المعري ٢٣٩ فا بعدها .

(٥) قرأ بها الأعمش ويحيى بن وثاب ، كما قرأ بها حمزة أحد القراء السبعة .

(٦) ٢ / ٢١٣ وأنظر النص في كتاب لحن العوام للزبيدي ص ١٦٢ تحقيق د . رمضان عبد التواب وفيه (ولبنى أسد لغات يرغب عنها) .

(٧) حاشية « يس » على التصريح ٢ / ٢١٣

كلهجة عدن - بأنّها « مولدة رديئة » وفي بعضهم « نوك وحماقة »^(١)
 وبعضهم « غتم »^(٢) كما يصف بعض لهجاتهم بأن فيها « قحّة
 متعقدة »^(٣) كما أنكر الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) لهجة هذلية معتمدا
 في ذلك على الطعن في نصر بن سيار^(٤) ، ووسمه بأنّه ليس بحجة
 لأنّه رواها^(٥) ، وهنا يعتمد الأزهرى في غمز اللهجة على الطعن في
 سندها .

ويصف المقدسى ٣٧٥ هـ لسان الأحقاف بأنّه « وحش »^(٦) أو أن لسان
 هراة - لا يصلح إلا للكنيف^(٧) . ويصف اللهجة بأن فيها « انغلاقا »^(٨)
 أو لسانهم فيه حلاوة أو عجلة^(٩) ، أو في كلامهم طنين^(١٠) ، وأخيرا
 يسم عربية العراق بأنّها « حسنة فاسدة »^(١١) ويرى الدكتور إبراهيم أنيس :
 أن المقدسى لم يكن فيما يبدو أكثر من رحالة أو عابر سبيل يصف ما يقع
 له وصفا سريعا دون دراسة قائمة على أسس علمية فلم يكن متخصصا
 في دراسة اللهجات^(١٢) .

ويصف ابن جني (٣٩٢ هـ) لهجة عربية بأنّها لغة مرذولة^(١٣) . كما ترى

(١) صفة جزيرة العرب : ١٣٤ للهداني تحقيق بليهد النجدي .

(٢) السابق ١٣٥ (٣) السابق ١٣٥

(٤) اللسان ١ - ٤٠٠ (٥) السماع والقياس ٤٣ تيمور

(٦) أحسن التقاسيم ٩٧ .

(٧) السابق ٢ - ٢٢٥ والكنيف في الأصل : السائر ، وقيل للمرحاض كنيف ؛ لأنه يستر قاضي الحاجة .

(٨) السابق (٩) السابق ٣٦٨

(١٠) السابق ٢ - ٤١٨ (١١) السابق ١٢٨

(١٢) مستقبل اللغة العربية المشتركة ٣٥ لما بعدها للدكتور إبراهيم أنيس .

(١٣) المحتسب ١ - ١١٠ مخطوط بالتيمورية .

أحمد بن فارس ت (٣٩٥ هـ) وهو كوفي ^(١) أو ممن خلط المذهبين ^(٢) -

قد ظهرت معارضته للهجات القبائل في صور منها :

(أ) الشك في كثير منها ^(٣)

(ب) ربه ابن دريد بالتدليس عندما يعزو لليمن ^(٤)

(ج) غمزه لبعض اللهجات ^(٥) ، وصخريته منها ^(٦) .

وكذلك الحريري (٥١٦ هـ) يعم أسلوبا يمثل لهجة عربية بقوله « وهو
ملا يعبأ ولا يقاس عليه » ^(٧) ، كما حكم على صيغة (أرياح) بالخطأ ،
وصوابها عنده « هبت الأرواح » . مع أنها لغة لبني أمية ^(٨) . وعلى سنته
نسمع أبا شامة (٦٦٥ هـ) يعقب على إحدى اللهجات بقوله « ولا تعجبني
تلك اللغة » لأنها ليست لغة أهل الحجاز ^(٩) ، كما يصف بعض العلماء
لهجة يمنية بقوله « وهذه لغة لا ينبغي أن يلتفت إليها ، فإن اللغة اليمنية
فيها أتياء منكرة خارجة عن المقاييس » ^(١٠) .

ويمكن أن نلمح أوصافا عدة ، وأحكاما كثيرة على لغات : أهل مكة والمدينة
وبصرة والكوفة وغيرها ^(١١) .

ولعل سبب هذه الأحكام القاسية التي رأينا طرفا يسيرا منها أنها صدرت عن دوائر
المنحاة : كالأنخضر والفراء والمبرد والزجاج والمعري والزمخشري وأحزابهم ، أو من
لغويين متزمتين كتاب حاتم والحريري والأزهري وابن فارس ، وهؤلاء جميعا أصحاب

(١) إنباء الرواة ١ - ٩٤ والبغية ١ - ٣٥٢

(٢) الفهرست ١٢٥ (٣) المقاييس ٢ - ٢٨٥

(٤) المقاييس ٤ - ٣٠٧ (٥) المقاييس ٤ - ٢٩

(٦) المقاييس ٤ - ٣٧٨ (٧) الدرة : ٣٥

(٨) شرح الدرة ٦٦ ونحاها الحياني (٩) إيراد المعاني لأبي شامة ٤٨٨

(١٠) ما تلحن فيه العامة للكسائي : ٣٥ هامش

(١١) البيان والتبيين الجاحظ : ١ - ١٨ فما بعدها ، ص ٤٦ .

معايير موضوعية ، ومقاييس مصنوعة ، ونظم ضاعطة آسرة ^(١) ، فحاولوا إخضاع اللهجات لها مع اختلاف مشاربها ومنازعها ، ولما فلتت هذه اللهجات من أحكامهم وموازينهم وتقنينهم رموها بما سبق من : رداثة وسوء ، وقحة وشناعة ، وخبث وشر ! وخطيئة وحماقة ، وفساد وانغلاق .

والمفروض أن أصحاب كل لهجة عربية كانوا يراعون مستوى صوابيا اجتماعيا عندما يتكلمون وعلى أساس هذا المستوى يكون الحكم بالصحة والخطأ ، والمجتمع وحده - لا النحاة ولا اللغويون - هو الذى يصدر مثل هذه الأحكام ، أو يخلق هذه الصفات ، وهذا المستوى الصوابي كما يراه الدكتور تمام ^(٢) : فكرة لا تتصل باللغة فحسب ، وإنما تتناول كل ناحية من نواحي النشاط الاجتماعي ، وتوجد في كل شئون الثقافة بالمعنى الأعم ، أى بالمعنى الأنثروبولوجي الذى يشمل العادات والتقاليد واللغة والدين وغيرها .

سابعاً

مدى التناقض في الروايات الممندة إلى من ألف في « كتب اللغات » :

ورد في المصادر العربية روايات كثيرة حملت بذورا للهجات القبائل ، رواها أو سمعها من العرب العلماء الذين ألفوا (كتب اللغات) التى تحدثنا عنها ، وقد اشتملت هذه الروايات على اضطراب وتناقض في عزو لهجات القبائل العربية ، وهذه نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر لاحظت أن يكون الراوى لها أو أحد روايتها من الذين ألفوا في (كتب اللغات) المفقودة :

(أ) عن ابن دريد (وقد ألف كتاباً في اللغات) : الرُمخة : والجمع الرُمخ

(١) انظر مثلاً من دوائر النحاة قول ابن مالك في (اشتغال العامل عن المعبول)
(فما أبيع أفل ودع مالم يبع) . وتستطيع أن تسع في هذا الشطر دكتاتورية النحاة الصارمة ، وكأنهم قادة حرب في ميدان حرب يأمرون وينهون .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية ٥٧ ، ٦٧ دكتور تمام حسبان ١٩٥٨ م .

وقالوا : الرِّمَج وهو البلح لغة يمانية ^(١) ، وفي نسخة أخرى من الجُمهرة قال : بأنّها لغة طائية ^(٢) .

كما ورد في الجُمهرة عن ابن دريد مادة (جَبَى) : الجَبَى : ما حول البشر لغة يمانية ، وفي نسخة أخرى من الجُمهرة لغة تميمية ^(٣) .

وفي الجُمهرة عن ابن دريد مادة (حَفَو) والحوَف : في لغة مهرة بن حيدان : الثوب ، وفي نسخة أخرى من الجُمهرة في : لغة هذيل ^(٤) .

كما روى عن ابن دريد أيضا في مادة (السرح) وأهل الحجاز يسمون الأسد : سرحانا ، وفي نسخة أخرى من الجُمهرة : وأهل اليمن ^(٥) .

(ب) استشهد اللغويون بقول أبي ذؤيب الهذلي :

على أطـرِقا بالياتُ الخيا م إلا الثمامُ وإلا العصى ^(٦)

ويروى : (علا أطرقا) من العلو - فعلا ماضيا . وأطرقا - بضم الراء - جمع طريق في لغة هذيل ، فمن أنث الطريق جمعه على أطرق مثل : عناق وأعناق ، ومن ذكر جمعه على أطرقاء : كصديق وأصدقاء فيكون قد قصره ضرورة ^(٧) . وأرجح أن (أطرقا) ليس جمع طريق على لغة هذيل ، لأنني وجدت هذليا آخر استعمل (أطرقة ^(٨)) و (أطرق ^(٩)) فهي اسم مكان أو موضع بالحجاز بدليل تغيير صيغته ، وكثيرا ما تخضع أسماء المكان والبلدان لمثل هذا التحريف . والذي دفعني إلى الحديث عن ذلك أن الأصمعي وهو من ألف في اللغات - لم يسر في ركاب من جعله جمع طريق على لغة هذيل بل ذهب في هذا : أن ثلاثة نفر

(١) الجُمهرة ٢ / ٢١٤ (٢) المرجع السابق .

(٣) الجُمهرة ٣ / ٢٠٠ (٤) السابق ٢ / ١٧٩

(٥) السابق ٢ / ١٣٢ : (٦) ديوان الهذليين ١ / ٦٥

(٧) معجم البلدان ١ / ٢٨٦ ط السعادة (٨) معجم ما استعجم ١ / ١٦٧ لما يمدّها تحقيق السقا

(٩) رواية أخرى لشاهد أبي ذؤيب : معجم البلدان ١ / ٢٨٦

كانوا بهذا المكان فسمعوا أصواتا فقال أحدهم لصاحبيه (أطرقا) فسئى بذلك.
وبما يؤكد ذلك ما جاء في معجم البلدان^(١) من قول عبد الله بن أمية المخزومي :

إني زعيم أن تسيروا وتهربوا وأن تتركوا الزهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا وأن تسلكوا أي الأراك أطايبه
فالظهران والأراك : اسم مكان ، واقتران (أطرقا) بهما يؤكد أنها اسم مكان أيضا .

كما ورد في اللسان شاهد منسوب إلى قيس بن اليزار الهذلي :
بما هي مقناة أنيق ثباتها مريب فتهاوا المخاض النوازع^(٢)

فمقناة - بالقاف معناها موافقة لكل من نزلها من قومه ، مقناة البياض بصفرة ؛
أي يوافق بياضها صفرتها . لكن ورد عن الأصمعي : أن (مقناة) بالفاء
لغة هذيل^(٣) فما ورد عن الأصمعي مقناة - بالفاء وهي لهجة هذيل يعارضه ما عزي
إلى قيس بن عيزارة - وهو من هذيل ، وجاء بها بالقاف في ديوان قبيلته^(٤) ، ولهذا
أرجح أن التصحيف لعب دوره في هذه الكلمة ، فجاءت على هذين الشكلين ،
وما أكثر ما يفعل التصحيف ! والدليل على أن الكلمة مصحفة - أننا لم نجد
إلا شاهدا (لمقناة) بالقاف دون الفاء .

وإذا كان الأصمعي قد خافه التوفيق في هذه المرة ، فقد واتاه وواكبته عندما ساق
السيوطي أمثلة لتعاقب الفاء مع القاف في قولهم : العقار - بالقاف : إصلاح النخل
وتلقيحها ، كما أوردها (العفار) بالفاء - بهذا المعنى^(٥) وأرى أنه تصحيف من
السيوطي بدليل ما جاء في كتاب (النخل) للأصمعي من قول أهل المدينة « كنا في العفار -
بالفاء : أي إصلاح النخل وتأبيره^(٦) » كما أن السيوطي قد خافه التوفيق حين ساق

(١) ٢٨٦ / ١ (٢) اللسان ٢٠ / ٢٦ وفي ديوان الهذليين : ٧٩ / ٣ قيس بن عيزارة .

(٣) اللسان ٢٠ / ٢٦ (٤) ديوان الهذليين ٧٩ / ٣ (٥) المزهر ١ / ٥٥٥ .

(٦) كتاب النخل للأصمعي ٦٩ ضمن مجموعة باسم (البلغة في شذور اللغة) ط الكاثوليكية .

هذا على سبيل الإبدال والتعاقب بين الحرفين . ولا أرى ذلك ؛ إلا إذا كانت هناك علاقة مخرجية أو وصفية بين البديل والمبدل منه تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر ، ولا علاقة بين القاف والفاء .

(ج) ورد في ديوان الهذليين^(١) قول أبي دويب :

تدلى عليها بين سبّ وخيطة بجرءاء مثل الوكف يكبو غرابها

يشير إلى أن الخيطة : التود بلغة هذيل ، والسبّ بلغة هذيل : الحبل .

لكن ذكر أبو عبيدة (وهو من ألف كتابا في اللغات) ما يخالف هذا في بيت الهذلي ، وفسر الخيطة بالحبل ، والسبّ بالتود^(٢) .

(د) روى أبو عبيد في الغريب المصنف^(٣) أنه سمع من أبي زيد الأنصاري (وهو من

ألف كتابا في اللغات) قوله : السدفة في لغة تميم : الظلمة ، والسدفة في لغة

قيس : الضوء . وقد وردت روايتان مماثلتان لما تقدم عن أبي زيد ، أولاهما

في كتاب الأضداد للأصمعي^(٤) وثانيتها في اللسان^(٥) . لكن العجيب أن ترد رواية

رابعة في مخصص بن سيده^(٦) تفيد عكس ما تقدم حيث أن : السدفة في لغة تميم :

الضوء ، وعند قيس : الظلمة^(٧)

(هـ) ورد في لسان العرب^(٨) : الوذيلة - هي المرأة : طائفة . قال أبو عمرو

الشيباني ، وهو من ألف (في كتب اللغات) قال الهذلي : الوذيلة : المرأة

(٢) الجمهرة ١ / ٣٢

(١) ٧٩ / ١

(٤) ص ٣٥

(٣) أنظر المزهر ١ / ٣٩٠ ، ٤٠١

(٦) ٤١ / ٩

(٥) ٤٧ / ١١ فابعدا

(٧) لعل اختصاص كل قبيلة بمعنى جاء متأخرا ، والمعنى العام : أن السدفة كانت تعبر عن حالة بين الظلمة والضوء ، ثم تحدد معناها عند القبائل فأدى إلى التضاد (في اللهجات العربية ٢١٢ ط ٢ دكتور أليس) . وذلك معنى ما جاء في المخصص ٩ / ٤١ : وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة جميعا كقوت ما بين صلاة الفجر إلى الإسفار .

(٨) ٢٤٩ / ١٤

في لغتنا ، ثم ساق ابن منظور شاهدا على ذلك من قول أبي كبير الهللي :

وبياض وجه لم تحل أسرارُه مثل الوديلة أو كَشَنَف الأَنْصُر^(١)

كما فسّر الزمخشري (الوذائل) في شعر الطرمّاح بأنّها جمع وذيلة وهي المرأة بلغة هذيل^(٢).

فالوذيلة - كما ترى مرة : هي المرأة في لغة طيء ، ومرة أخرى هي المرأة في لغة هذيل ١ ١ والعجيب أنها فسّرت في شعر الطرمّاح على أنها لغة هذيل ، والطرمّاح من طيء ١ ١

(و) ولنستمع إلى جحفة من الروايات المختلفة المتناقضة في مادة واحدة حيث شارك في روايتها ابن دريد وغيره .

١ - يقول الخليل في العين بتحقيق الكرمل : تقول هذيل : عَنَج على شَنَج . « بفتح النون فيهما » أي رجل على جمل^(٣) ، وفي تحقيق الدكتور عبد الله درويش * « عَنَج على شَنَج » . بسكون النون فيهما .

٢ - الشنَج والغنَج : الشيخ الكبير . فأما العنَج - بالعين غير المعجمة : البعير لغة هذلية . يقال : رأيت شيخا على عنَج أي شيخا مسنّا على بعير^(٤) .

٣ - تقول هذيل : شَنَج على عنَج . أي : شيخ على بعير ثقیل^(٥) .

٤ - الشَّنَج : الشيخ في بعض اللغات . ومن أمثالهم : شَنَج على عنَج : أي شيخ على بعير ثقیل ، والعنَج : الشيخ في بعض اللغات^(٦) .

(١) وفي ديوان الهذليين ١٠٢/٢ « كسيف » . (٢) السان (وذل) .

(٣) كتاب العين ١٣٦ ط بغداد تحقيق الكرمل .

* كتاب العين لل خليل : ١ / ٢٦٦ تحقيق الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش . « ويقال بالعين » .

(٤) إبدال أبي الطيب ٢ / ٢٢٦ فاهها ط دمشق .

(٥) الجهرة ٢ / ٩٧ (٦) المحسن ١ / ٤٤

- ٥ - هذيل تقول : غنج على شنج . الغنج : الشيخ . والشنج : الجمل^(١) .
- ٦ - الشنج : الشيخ هذلية . يقولون : شنج على غنج . أى شيخ على جمل^(٢)
- ٧ - الغنج : الشيخ . وهذيل تقول : غنج على شنج . يريدون بالغنج :
الشيخ ، وبالشنج : الجمل^(٣) .
- ٨ - الغنج - محرقة : الشيخ هذلية لغة فى المهملة ، والشنج محرقة -
الجمل^(٤) .
- ٩ - هذيل تقول : غنج على شنج . الغنج : الرجل ، وقيل : الغنج - الشيخ
فى لغة هذيل ، والشنج : الجمل الثقيل^(٥) .
- ١٠ - هذيل تقول : غنج على شنج . أى : رجل على جمل . فالغنج هو
الرجل ، والشنج هو الجمل^(٦) .
- ١١ - شيخ على غنج : أى شيخ هرم على جمل ثقيل ، والغنج بلغة هذيل : الرجل ،
وقيل ، هو بالغين معجمة . قال الأزهري : ولم أسمعه بالعين^(٧) من
أحد يُرجع إلى علمه ، ولا أدرى ما صحته^(٨) ؟

فانظر إلى التشويش والخلط ، والتصحيف والتحريف ، حيث جعلوا
(العنج) بالغين مرة ، وبالعين أخرى ثم هما بفتح النون (عنج ، شنج)
فى رواية وبسكونهما فى أخرى ، كما اختلفوا فى دلالة (عنج) فجعلوه مرة

(١) المحكم : الفين المعجمة والجم والنون . نقلا من إبدال أبي الطيب ٢ - ٢٢٧ بحث .

(٢) المحكم حرف الشين والجم والنون نقلا من إبدال أبي الطيب ٢ - ٢٢٧

(٣) جامع القزاز : أنظر إبدال أبي الطيب ٢ - ٢٢٧

(٤) القاموس : (الغنج ، والشنج) (٥) لسان العرب ٣ - ١٦٢

(٦) لسان العرب ٣ - ١٣٤ (٧) صحتها (بالعين) المعجمة كما فى التاج (عنج) .

(٨) اللسان ٣ - ١٥٤ .

• قارن كتاب العين للخليل ١٣٦ تحقيق الكرمل ، بالكتاب نفسه ١ - ٢٦٦ تحقيق الدكتور عبد الله عبدالفتاح
درويش .

(الشيخ) ومرة (الرجل) ، ثم نرى : الفنج أو العنج مكان الشيخ ، أو بمعنى الجمل والبعر ، ثم أخيراً نرى (الشنج) بمعنى الشيخ ، أو الشنج بمعنى الجمل - كل هذا عند قبيلة واحدة في مكان واحد ، وزمان واحد !
وقد طلبتُ استشارة واحد من هذيل وهو ساعدة بن جويّة فأجابني من شعره المسجل في ديوان قبيلته^(١) .

فناشوا بأرسان الجياد وقربوا عَناجِيَجَهُمْ مَجْنُوبَةً بِالرَّوَاهِلِ

(فالعناجيج) كما ترى : بالعين المهملة لا المعجمة ، ومعناها : الإبل الطويلة الأعناق ، وهذا وحده ينكشف النقاب عن وجه الصواب . وربما يرجع هذا الخلط إلى أن المادة اللهجية للقبيلة - حين عبرت التاريخ الطويل على أيدي الرواة - لم يكن السبيل إلى نقلها التلقّي والمشافهة ، بل كان السبيل وحده هو التخمين والاجتهاد وتفاوت الذوق بين الرواة في فهم المادة اللهجية ؛ ولهذا أُصيبَت بالمسح والخلط ، كما أُصيبَت الدلالة بما هو أفسى ، حتى أن ديوان القبيلة - وهو الأثر الباقي من دواوين القبائل - لم يسلم من هذا العبث . يوضح هذا المعنى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه^(٢) حيث يرى : « أن شراح ديوان هذيل حين كان يعيهم تفسير كلمة من الكلمات أو تبرير صهيغتها كانوا يعمدون إلى القول بأنها لهجة هذيل ، فليس ما ورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعاً من محاكات المفسرين والشراح » بل إن أكثر هؤلاء الرواة كانوا لا صلة لهم بهذيل ؛ ولهذا لم يستشيروا الهذليين في معنى أشعارهم وألفاظهم ، ومن هنا يجب أن نتقبل نقل هؤلاء الرواة بحذر شديد ، وحيطة بالغة . وروية وأناة .

(ز) روايات متضاربة في مادة واحدة شارك في روايتها عن العرب : الفراء ، وأبو عبيدة ، وأبوزيد ، والأصمعي . وجميعهم ألفوا كتباً في (اللغات) .

(١) ديوان الهذليين ٢ - ٢١٩ وانظر شرح أشعار الهذليين ٣ - ١٠٢٥ ، ١١٨٣ .

(٢) في اللهجات العربية ٤٤ ط ٣ وانظر نماذج نقدية أخرى في لغة الديوان ص ٤٤ - ٤٥ .

١ - رواية أبي زيد الأنصاري ورد في نوادر اللغة لأبي زيد^(١) « ويقال : فاضت نفسه : لغة ضبة ، قال دكين « فُقيئت عين وفاضت نفس^(٢) » .

وفي الجمهرة^(٣) عن أبي حاتم قال : « سمعت أبا زيد يقول : بنو ضبة وحدهم يقولون : فاظت نفسه » وفي اللسان^(٤) عن أبي حاتم : سمعت أبا زيد يقول : « بنو ضبة وحدهم يقولون : فاضت نفسه » وكذلك حكى المازني عن أبي زيد . وفي كامل المبرد^(٥) عن أبي زيد قال : « كل العرب يقولون : فاضت نفسه إلا بني ضبة ، فإنهم يقولون : فاظت نفسه » .

٢ - رواية أبي عبيدة . قال المبرد : أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال : كل العرب تقول : فاضت نفسه بالضاد - إلا بني ضبة^(٦) فإنهم يقولون : فاظت نفسه بالظاء^(٧) . وفي اللسان^(٨) عن أبي عبيدة قال : فاظت نفسه بالظاء لغة قيس ، وبالضاد لغة تميم .

٣ - رواية الفراء . ورد في اللسان^(٩) عن الفراء : أهل الحجاز وطيء يقولون : فاظت نفسه ، وقضاة و تميم و قيس يقولون : فاضت نفسه . وفي مكان آخر من اللسان^(١٠) عند الفراء أيضا أنه عزا صيغة الضاد إلى تميم و كلب .

٤ - رواية الأصمعي . روى عنه أبو القاسم الزجاجي أنه : كان لا يجمع بين الظاء والنفس^(١١) - أي أن الأصمعي لا يجيز : فاظت نفسه - بل يقول : فاضت نفسه . على حين أجاز ذلك أبو زيد « فاضت نفسه وفاظت نفسه^(١٢) » كما وردت الشواهد على ذلك من لغة العرب مما يقف في وجه الأصمعي^(١٣) . ويظهر أن الأصمعي وقع في حيرة من أمر

(١) ٢٤٠ (٢) الصواب : فقيئت : أنظر إصلاح المنطق ٢٨٦ .
(٣) ١٢٣ - ٣ (٤) ٧٧ - ٩ (٥) ١٥٧ - ١
(٦) وهي من طائفة من العدنالية - أخت تميم : نهاية الأرب للقلقشندي ٣١٨ ، قبائل العرب ٢ - ٦٦١ كعالة .
(٧) المزهر ١ - ٥٦٢ (٨) ٧٧ - ٩
(٩) ٣٣٤ - ٩ (١٠) ٣٢٣ - ٩
(١١) اللسان ٩ - ٣٣٤ (١٢) الجمهرة ٣ - ١٢٢
(١٣) شرح ابن عقيل ١ - ٢٨٣ والسان ٩ - ٣٣٤

هذين الحرفين حين قال : تتبعت لغات العرب كلها فلم أجدها فيها أشكل من الفرق بين الضاد والظاء^(١) . والصاحب بن عباد ت ٣٨٥ هـ يرى أن هذين الحرفين « قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، واشكال أصل تأسيس كل واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما »^(٢) والقاضي محمد بن نشوان الحميري ت ٦١٠ هـ يرى أن الذي لا يستطيع أن يفرق بين هذين الحرفين : « هو في هوى المهالك ويكتب الضاد بصورة الظاء والظاء بصورة الضاد ، ويكون إصلاحه كالإفساد ، وعلى هذا أكثر كتاب هذا الزمن »^(٣) .

والذي يهمني أن أقرر أن هذه الروايات السابقة ، وجميعها لعلماء ألفوا في (كتب اللغات) - تتناكر ولا تتلاقى حتى عند الراوى الواحد ، وهي في النهاية تؤكد صلتها بـ (كتب اللغات) بل هي لحمتها وسداها . وما عبر عنه الأصمعي : بأنه لم يجد أشكل من الفرق بين الضاد والظاء ، يؤكد ما روى من أن رجلاً قال لعمر « يا أمير المؤمنين : أيطحن بضبي ؟ قال وما عليك وقلت : أبيضحى بضبي ؟ قال إنها لغة . قال : انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش »^(٤) ، وفي رواية أخرى أنه كسر لام لغة ، فكان عجبهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء ، والظاء ضادا^(٥) . ولهذا حذر ابن الجزري في النشر^(٦) من الخلط بينهما لاسيما في القرآن ، لأنه قد يؤدي إلى حرج ديني ولبس في المعنى يقول : « فليحذر من قلبه » أي صوت الضاد إلى الظاء لاسيما فيما يشتبه بلفظه نحو : ضل من تدعون إلا إياه « يشتبه بقوله « ظل » أي : بقي من تدعون ، وشتان بين المعنيين .

ويظهر أن الضاد التي وصفت في كتب القدماء قد مرت بأطوار تاريخية حتى وصلت إلى ما هي عليه في لهجاتنا الحديثة ، وكانت في تطورها تنطق أحيانا : كالظاء وأحيانا : كالزاي وأخرى : كالصاد - ولهذا كانت الضاد العربية تقابل صادًا في اللغات الأكادية

(١) البيان والتبيين ٢ - ٢١٥

(٢) الفرق بين الضاد والظاء : ص ٣ للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد . بغداد ١٣٨٠ - ١٩٦١ م .

(٣) مختصر في الفرق بين الضاد والظاء : ص ٤ للقاضي محمد بن نشوان . بغداد ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

(٤) السابق ١ - ٥٦٣

(٥) المزهر ١ - ٥٦٣

(٦) ١ - ٢١٩ فابعدا

والعبرية ، كما تقابل ظاءاً أو صاداً في اللغة الأوجريتيية ، كما كانت تكتب صاداً في الكتابات النبطية وتنطق صاداً ، وهذا مهد للخلط. الذي ذاع وانتشر في العصور المتأخرة في العراق والأردن وليبيا والمغرب وغيرها ، كما وجد هذا الخلط بينهما في بقاع بعيدة كصقلية^(١) والأندلس^(٢) .

وفي النهاية : لقد اغتالت يد الضياع ثروة لغوية عزيزة ، حين فقدت الكتب التي ألفت في (اللغات) إذ كانت تصور جانباً لغوياً شعبياً بعد أن انقطع دورانه على الألسنة فشمرت لجمعها بآسانيتها على طريقة المحدثين من خلال المصادر العربية على اختلاف نحلها ، وتعقباتها جرداً وبحثاً فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبتوثة في كتب علوم القرآن واللغة والشعر والنحو والأمثال والغريب والنوادر والمفردات التي سبقت المعاجم ، والتي كان مصدرها هؤلاء الأعلام الذين ألفوا (كتب اللغات) .

ولقد لمحت في هذا العمل بذورا هامة للعربية في تاريخها الطويل على المستويات الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية - بعد أن ضمنَّ التاريخ في فجره وضحاها بتسجيله فلم يفتح قلبه ليسطر لهجات هذه القبائل ؛ لأنه رأى في بعثها قطع روابط شعوب الأمة العربية ، وتأكيدا لظهور العصبية ، ولو كان قد سجلها التاريخ - حفاظا على مجد أمة ، وتاريخ شعب ، ومستودع حضارة - لا يمكننا قبل الآن أن نكتب مولفا في تاريخ لهجات القبائل العربية وأدوارها الاجتماعية ، وأن نسد رقعة في هذا العمل قد اتسعت اليوم على الراقع .

(١) يؤيد هذا ما يقوله ابن مكي الصقلي ت ٥٠١ هـ فأما العامة وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينهما في كتاب ولا قرآن ه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٩١ تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر .
(٢) يؤكد هذا أن أبا بكر الزبيدي الأندلسي ت ٣٧١ هـ - ورد له خطاب من الوزير أبي الحسن المصمعي جاءت فيه كلمة (فاضت نفسه) بالفساد فجأوه الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح :
قل للوزير السني محنته لي ذمة منك أنت حافظها

لا قدح حاجتي مطرحة فإن نفسي قد فاظ فائظها

معجم الأدباء ١٨٢ - ١٨٢

كما قدمت في هذا العمل لغة إحصائية^(١) شاملة (لأول مرة) - ولغة الإحصاء - هي المنهج العمل الذي يعتمد عليه في إظهار الحقائق وتقويمها ، وحسبى أن مثل هذا العمل بعث إلى الحياة تراثاً عزيزاً قد اختفى ، ونورا وهاجاً قد خبا ، وأثارة من علم الأولين كانت مطويةً فنُشرت ، ومخبوءة في ضمير النسيان فكُشفت .

أحمد علم الدين الجندي

== ففطن المصحف إلى خطئه ، وطلب الإيضاح بالشاهد في قوله :
فقد أتتني فديت شاعلةً لنفس أن قلت فاظ فائظها - فأجابه الزبيدي شعراً - محتجاً لما يقول :
أتاني كتاب من كريم مكرم فنفس عن نفس تكاد تفيظ
رباحت من (فائظت) وقيل قالها رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذلك عن كيسان سهل وأنشدوا مقال أبي الفياض وهو مفيظ
إلى أن قال :

فلا حظ الرحمن روحك حية ولا هي في الأرواح حين تفيظ
مجم الأدباء ١٨ - ١٨٣ وانظر : مقدمة كتاب لحن العوام ص ٢٠ للزبيدي ، تحقيق د. رمضان عبد التواب
(دار المروبة) وانظر : بحثاً مبتكراً للدكتور إبراهيم أنيس (معنى القول المأثور « لغة الضاد ») دورة ٣٣
للمجمع النوى بالقاهرة وانظر كذلك بحثاً قيماً للدكتور خليل ناي مجلة كلية الآداب ج ٢١ العدد الأول مايو ١٩٥٩
(١) انظر اللوحات الإحصائية السابقة في هذا المقال ، وكذلك في مقالين سابقين لنا بمجلة مجمع اللغة العربية
بالقاهرة عدد ٢٥ ، ٢٦

المثل

بين القصص والعامة

للأستاذ محمد قنديل البقلى

فيما نعرف هو خلاصة تجربة من التجارب يعبر به الإنسان عن تلك التجربة وما أفاد منها وما قرى نفسه من حكم عليها .

والتجارب تعرض للناس كافة يستوى في ذلك عالمهم وجاهلهم ، ونتيجة لتلك المشاركة الواسعة في التجارب تختلف الأحكام أو تختلف الكلمات المعبرة عن تلك التجارب ، فالحكم على التجربة لاشك متأثر متأثراً خاصاً بالحاكم عليها ، فما تشير التجربة في نفس إنسان يختلف شيئاً عما تشير في نفس إنسان آخر ، ثم إن صاحب التجربة الذى هو بصدد الحكم عليها يختلف قدرة وأداءً وشعوراً وإحساساً .

وما من شك في أن أحكاماً كثيرة صدرت عن أناس كثيرين كانت لهم تجارب كثيرة ، ولكن هذه الأحكام منها ما يبلغ أن يؤثر ، ومنها ما لا يبلغ أن يؤثر ، فكان ثمة أحكام مأثورة لها قوتها في الدلالة ولها قوتها في الشمول ، ولها عمقها ، ولها أثرها في النفوس . وهذه الأحكام التى توفرت لها هذه الصفات وغيرها أقبل الناس عليها حفظاً ، وأقبلوا عليها تمثلاً بها ، وهى التى أصبحنا نسميها الأمثال ، وجمعناها وشرحنا ملامساتها ليعيش عليها الناس يتمثلونها فيما يعنى لهم من تجارب مشابهة .

أما تلك الأحكام التي لم ترزق قوة تعبير ولا سعة شمول ولا عمق تفكير فأهملت ، ولم تجد من يعنى بها حفظا ، ولا من يعنى بها تدوينها .

فالإنسان ما يفرغ حياته يجرب ، وما يفرغ حياته كلها يحكم على تجاربه ، ولكن هذه الأحكام ما يبلغ أن يروى ، كما قدمنا ، ومنها ما لا يبلغ أن يروى ، وهذا القسم الذى حظى بأن يروى هو ما نأثره عن السلف نحتذيه ونمعن النظر فيه . أما ذلك القسم الآخر فهو على الرغم من وجوده زمنا ما إلا أنه سرعان ما فنى وذهب ، ولم يعد من مرويَّات الناس .

وها أنت ترى أن المثل فى مقدور صاحب التجربة ما دام يملك قدرة التعبير ، وما دام يملك نفسا متأثرة بالتجربة متأثرا يخرجها من الصمت إلى الكلام . وحين كانت اللغة العربية تسود الناس سيادة كاملة أو شبه كاملة ، أعنى فى عصرها الأول ، كانت الأمثال كلها تكاد تنبع من معين واحد هو الفصحى ، أما حين أخذت اللغة الفصحى تتقلص سيادتها شيئا ونشأت إلى جانب اللغة الفصحى لهجات عامية ، أخذ معين الأمثال يختلف شيئا ، فكان ثمة أمثال تؤدى فصيحة ، وأمثال تؤدى عامية . والعامية ، كما نعرف ، تختلف فى بيئة عنها فى بيئة أخرى . من أجل ذلك ، كان ذلك الاختلاف فى لفظ ذلك المثل الواحد الذى يرد فى العامية .

ونحن بين تراث من الأمثال الفصيحة يكاد يرتد إلى عصور بذاتها لا يعدوها إلى تلك العصور التى انتهى عندها المثل الفصيح ، ولم نعد نظفر بأمثلة أخرى لغير تلك العصور ، وما نظن أن العلة فى ذلك أن تجارب الناس انتهت عند تلك العصور أو أن الناس فقدوا الحكم على ما يعن لهم من تجارب ، أو أنهم فقدوا القدرة على التعبير عما يحسون ، وأرجح الظن فى تعليل ذلك أن وسائل الرواية التى تهيأت للأقدمين لم تعد مهيأة لمن جاء بعدهم . وقد كان من الممكن أن تقوم الكتابة مكان الرواية ، ولكن الذى نظنه أن الناس لم تعد لهم العناية بالمثل قولا وحفظا كما كانت تلك العناية للأقدمين .

والغريب أن هذا الركن الذى فقدناه فى الفصحى لم نفقده فى العامية . ونحن لم نفقد العناية بالمثل وحده فى الفصحى ، بل فقدنا العناية بالخطبة أيضا ، وغيرها من أساليب القول النثرية كالأوامر والتوقيعات ، وما إلى ذلك مما جرى هذا المجرى ، فلم تعد لنا عناية بتدوين هذا أو روايته إلا فى القليل ، مع أن الأزمان المختلفة لم تحرم مثل هذا ، وما نشك أن ثمة أفرادا جائعوا على توالى الأزمان ، وكانت لهم فى تلك الميادين من القول جولات .

وهكذا نرى أنفسنا فى ميدان الأمثلة التى جاءت فى الفصحى بين يدي جملة خاصة بقرون سلفت ووقفت عندها . أما عن الأمثال التى جاءت فى العامية فما نظنها وقفت عند عصر بعينه ، بل سائرت الأزمان المختلفة ، ونكاد نخالها على لسان كل عصر ، بل منها ما يكاد يولد إلى اليوم .

والعلة فى تجدد المثل العامى وبقائه حيا دون المثل الفصيح هى فيما نظن أن المثل العامى لاسيا فى تلك العصور التى انزوت فيها الفصحى وأصبحت فيها اللغة الرسمية له وجوده على ألسنة الكثرة ، فهو أدبهم الذى لا أدب لهم غيره ، فما هم برواة شعروا برواة نشر ، ولكنهم على الأمثال يحيون أولا ، إذ فيها نوادرهم وطرائفهم ، وهذه النوادر والطرائف بعيد أن تجمد ، وبعيد على أذهان العامة أن تخمد هى الأخرى . من أجل ذلك كان المثل حيا متجددا على ألسنة العامة ، على حين انقطع على ألسنة الخاصة أو قل لم يجد من ينقله من لسان الخواص ، على حين وجد من ينقله من لسان العوام .

والمتتبع للأمثلة العربية فى العصور المختلفة للغة العربية يجد أن ثمة ظواهر ثلاث :

١ - ظاهرة تشير إلى سيادة المثل الفصيح سيادة كاملة وذلك إبان كانت الفصحى هى اللغة التى لا تزاحمها لهجات عامية .

٢ - ظاهرة شاركت العامية فيها الفصحى ، وذلك خلال تلك العصور التى لم تكن للفصحى السيادة الكاملة .

٣ - ظاهرة اختفى فيها المثل الفصيح وانتعش فيها المثل العامى ، وذلك فى العصور التى تخلفت فيها اللغة الفصحى .

أما عن الظاهرة الأولى وهي تلك التي ساد فيها المثل العربي أيام سيادة الفصحى فحسبنا تلك الجهود التي بدأت فيما نظن مع منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا ، وكان أول من وضع فيها كتابا هو الضبي المفضل بن محمد بن يعلى المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، ثم تلاه فيما نعلم يونس النحوي المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، ثم تتالت الجهود من بعد يونس تباعا فرأينا مثل ذلك الجهد لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، ثم لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، ثم لابن الأعرابي محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، ثم لابن حبيب أبي محمد جعفر بن محمد المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، ثم لشعيب أبي العباس أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، ثم لابن الأنباري أبي بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، ثم للخال الحسين بن محمد المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ، ثم للعسكري أبي هلال الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

وكان ثمة نفر غير هؤلاء كانت لهم أيضا جهود في الأمثال منهم الأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد وحمزة بن حسن إلى كثير غيرهم بلغت مؤلفاتهم الخمسين ، وظلت هذه الجهود الكثيرة مفرقة تترقب من يتصدى لها جمعا وتبويبها إلى أن أتبع لها الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، فجمع فيها كتابا تربى أمثاله على ستة آلاف ، وكان ذلك فيما يقول الميداني في مقدمته بتكليف من ضياء الدولة صفي الملك أبي على محمد بن أرسلان .

وهذا الجمع الواسع الذي كان منهج الميداني حمله على ألا يفرق بين الغث والسمين ولكنه على كل حال جاء كتابا مجزئا في بابه ، لم يفت الميداني فيه الرجوع إلى جميع المؤلفات التي سبقته وقد عقب على الأمثال بشروح كثيرة وقصص طويل نقله عن سبقوه في ذلك الميدان من الذين ألفوا في الأمثال أو من الذين كانت لهم تواليف في القصص والأمثال من أمثال عبيد بن شريح وعطاء بن مصعب والشرقي بن القطامي .

وقد أفادنا الميداني في كتابه فائدة فهو قد يكون المؤرخ الأول لظهور المثل المولد ، فقد أعقب كل باب من أبواب الأمثال الصحيحة بباب يجمع أمثال المولدين . والميداني كما نعلم من تاريخ وفاته كان يعاصر تلك الحقبة الزمنية التي كانت اللغة قد تخلفت فيها شيئا وظهرت اللغة المولدة ، وبالتالي المثل المولد .

ومن بعد الميداني جاء الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، فألف كتابه المستقصى في الأمثال ، ولم يكن قد وقع له كتاب مجمع الأمثال للميداني قبل شروعه في مؤلفه هذا ، ويقال إنه بعد أن أطل النظر في كتاب الأمثال ندم على تأليفه كتابه المستقصى لأنه جاء دون جهد سابقه .

* * *

هذا من الظاهرة الأولى ظاهرة شيوع المثل الفصيح لشيوخ العربية الفصحى ، وقد رأينا أن الأمثال كانت عربية فصيحة حين كانت اللغة العربية لم يعتورها وهن ، ثم لم يكن بد من أن تكون تلك الأمثال فصيحة إذ هي كانت تحكى جاهلية الناطق فيها عربى فصح ، ثم تحكى حقبة إسلامية لم تتخلف فيها العربية ، فكان من المستبعد أو من المستحيل أن تكون ثمة أمثال بغير العربية .

^١ ولقد ترجم العرب لاشك عن الفارسية وعن غيرها من اليونانية ، وهم لاشك أيضا أنهم قد ترجموا بعض الحكم التي هي تجرى مجرى الأمثال من الآداب الفارسية ومن الآداب اليونانية ، وعصر الترجمة ، هذا كما نعلم ، يكاد يكون ساير عصور ازدهار اللغة وقوتها من أجل ذلك كان التعبير المترجم لتلك الحكم المنقولة عن الفارسية واليونانية هو الآخر عربيا فصيحاً ، وكان من مجموع ما دون من أمثال العرب جاهلية وإسلاماً ، ومن ذلك الذى ترجم عن الفارسية واليونانية ما يمثل تلك الظاهرة الأولى ، وهى ظاهرة شيوع المثل الفصيح لشيوخ العربية الفصحى وتمكنها على الألسنة .

* * *

أما عن الظاهرة الثانية وهى تلك الظاهرة التى يساير فيها المثل العربى مثل عامى ، فتلك ظاهرة تحليلها يسير ، وقد يكون الأمر فى ذلك مرده إلى أمور منها :

(١) تناول المثل العربى بشئ من التعبير العامى يختلف باختلاف المتحدث ، وهذا المتحدث يختلف أيضا باختلاف البيئات ، وهذا النوع من التحريف الذى

دخل على المثل العربي ونتج عنه تلك الأمثلة التي تبدو عربية في مبنائها وفي الكثير من مظاهرها كتب لأمثاله البقاء إلى جانب تلك الأمثال العربية المناظرة ، فاذا ما روى المثل العربي في بيئة من البيئات العربية ، روى إلى جانبه ذلك المثل الذي دخله شيء من التحوير . والشئ الملاحظ أن هذا التحوير لم يتكرر ، واكتفت تلك البيئات الشعبية بالتحوير الأول وعدته من موروثها الذي لا تبديل فيه تماما ، كما عد المثل العربي المناظر له ، وأصبح لذلك المثل العامي المحوّر قدسية ذلك المثل العربي الأصلي . وكما يرد المخطئ في هذا كذلك يرد في ذاك ، وعلى الرغم من أنه ليس ثمة كثرة كثيرة من تلك الأمثال العربية المحوّرة ، وأعني الأمثال ذات المظهر العامي والدلالة العربية ، فما نشك في أن تلك الأمثال العربية كلها يسرت وسهلت وتناولها العامة بالسنتهم فحرفوا فيها وبدلوا ، اللهم إلا ما كان منها سهلا ، فلم يجد العامة فيه مدخلا يدخلون منه إليه تبديلا أو تحوير .

ومن أمثلة تلك الطائفة :

- ١ - يقول المثل العربي : إن للحيطان آذانا .
ويقول المثل العامي المصري : الحيطان لها ودان^(١) .
ويقول المثل العامي الموصلی : الحائط لو آذان .
- ٢ - يقول المثل العربي : أحب أهل الكلب إليه خانقه .
ويقول المثل العامي المصري : القط ما يحب إلا خانقه^(٢) ويقول المثل العامي الجزائري : الكلب ما يحب إلا خانقه .

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ١٤٨ - الأنجلو ١٩٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٧١ .

٣ - يقول المثل العربى : الشعير يؤكل ويلذم .

ويقول المثل العامى : ديش الشعير يتاكل وينزىم^(١) والمثل فى نجد :
الشعير المأكول المذموم .

٤ - يقول المثل العربى : الشبعان يفت للجوعان فتا بطيئا .

ويقول المثل العامى المصرى : الشبعان يفت للجيعان فت بَظي^(٢) ويقول
أهل الموصل : الشبعان ما يعرف يلدرد الجوعان .

(ب) ثم لاذ بعض الأمثال تحيىء فى العامية بمشابة الشرح للمثل العربى ، ناذا هذا
المثل العامى هو هو فى العربية غير أنه فى العامية يكاد يكون شرحا
لنظيره فى العربية ومن أمثلة تلك الطائفة :

١ - يقول المثل العربى : إذا ضربت فأوجع فإن الملامة واحدة .

ويقول المثل العامى فى مصر : إن طعمت أشبع وإذا ضربت أوجع^(٣) .
وهذا المثل فى الجزائر : إذا ضربت أوجع وإذا أطعمت شبع .
وفى الموصل : إذا أطعمت أشبع وإذا ضربت أوجع .

٢ - يقول المثل العربى : شبر فى ألية خير من ذراع فى رية .

ويقول المثل العامى المصرى : قيراط فى اللية ولا فدان فى الكروش^(٤) .
والمثل العامى فى نجد : شبر من ذنب الخروف ولا بوع من ذنب البقره .

٣ - يقول المثل العربى : شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه .

ويقول المثل العامى المصرى : الشهر اللى ما هو لك ما تعد أيامه^(٥) .
ويقول المثل العامى الشامى : الشهر اللى ما بيعجيك منه ماهيه ماتعد أيامه .

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ٥٥

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٦

(٣) المصدر السابق ص ٥٩

(٤) المصدر السابق ص ٢٤١

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

ويقول المثل العامى السودانى : شهرأ مالك فيه نفقه ما تعد أيامه .
ويقول المثل العامى فى الجزائر والمغرب : الشهر إلى ما يدخلك كراه
ما تحسه شئ .

- ٤ - يقول المثل العربى : صاحت عصافير بطنه .
ويقول المثل العامى : عصافير بطنه زقزقت .
٥ - يقول المثل العربى : إن الحديد بالحديد يفلح .
ويقول المثل العامى : زى الحديد يقطع بعضه^(١) .
٦ - يقول المثل العربى : إبنك إبن بوحك .
ويقول المثل العامى : إبنك إلى من صلبك .

(ج) ونحن لا ننسى أن الفكر الذى يملكه الرجل الفصيح قد لا يبعد كثيرا عن الفكر
الذى يملكه الرجل العامى ، وأن ذلك الحدث الذى أملى ذلك المثل العربى على
عربى فصيح من الممكن أن يوجد مثله فىملى مثلا على لسان رجل عامى ، وإذا
حقيقة المثلين واحدة وإذا أداؤهما يكاد يكون واحدا لا يختلفان إلا فى أن
أولهما يؤدى بعبارة عربية فصيحة ، وثانيهما مؤدى بعبارة عامية شعبية ،
وهذا أمر تقع أشباهه لنا فى حياتنا عامة فقد يجتمع اثنان على منظر واحد ويكون
تأثرهما واحدا ، كما يكون تعبيرهما عن ذلك التأثر واحدا أيضا فى مبناد
لا يختلف إلا فى الأداء ، فما من شك أن من الأمثال العامية التى سائرت الأمثال
الدرية طائفة لم تنشأ عن تحريف وتبديل ، وإنما نشأت عن اتحاد فى
الحديث والتفكير والتأثر .

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية فى البلاد العربية ص ٢٦٧

ومن أمثلة هذا :

- ١ - يقول المثل العربي : إذا ذكرت الذئب فأعد له العصا .
ويقول المثل العامي المصري : أذكر الديب وهي له القضيب^(١) .
ويقول المثل العامي الموصل : تذكر الكلب فحضر العصا .
ويقول المثل العامي في نجد : إلى أطريت الكلب فولم العصا .
- ٢ - يقول المثل العربي : أبرد من عضرس (عضرس : الماء الجامد) .
ويقول المثل العامي المصري : أبرد من مية طوبة^(٢) .
ويقول المثل العامي في العراق : أبرد من هوا عنتر .
ويقول المثل العامي الجزائري : أبرد من الثلج .
ويقول المثل العامي المغربي : أبرد من سيكوك في الليالي (وسيكوك هو طعام الكسكسي حينما يضاف إليه المخيض الحامض من اللبن وهو من أطعمة فصل الصيف لبرودته ولا يؤكل في الشتاء) .
- ٣ - يقول المثل العربي : تغذ بالجدى قبل أن يتعشى بك .
ويقول المثل العامي المصري : اتغذى بالديب قبل ما يتعشى بك^(٣) .
ويقول المثل العامي الموصل : تغذى بينو قبل ما يتعشى بيبك .
- ٤ - يقول المثل العربي : الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة .
ويقول المثل العامي المصري : القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود^(٤) .
ويقول المثل العامي في الموصل : اغفع القرش الابيض لليوم الاسود .
ويقول المثل العامي الشامي : القرش الابيض لليوم الاسود .

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ١٠٣ (٢) المصدر السابق ص ١٠٣

(٣) المصدر السابق ص ١٠٠ (٤) المصدر السابق ص ٢٤٠

ويقول المثل العامي في بغداد : قرش الابيض ينفع بيوم الأسود أيضا المثل :
احفظ الفلس يحفظك الدينار .

٥ - يقول المثل العربي : السلف تلف .

ويقول المثل العامي المصري : السلف تلف والرد خسارة^(١) .

ويقول المثل العامي في نجد وفي حاضرة العرب : السلف تلف .

ويقول المثل العامي في الجزائر وفي المغرب : السلف يربي العداوة .

٦ - يقول المثل العربي : بيتي أستر لعورائي .

ويقول المثل العامي المصري : ياداري يا ستر عاري^(٢) .

ويقول المثل العامي في الموصل : بيتي يستر عيبي .

هذه طائفة من أمثال تلك الظاهرة الثانية وهي كما ترى تنحصر تحت أسباب ثلاثة ،
هي كما قلنا :

(أ) إما تحريف المثل العربي على ألوان من التحريف يختلف باختلاف المتحدث
وباختلاف البيئة .

(ب) وإما مجيء المثل العامي شرحا للمثل العربي وهذا أيضا يختلف باختلاف
الشارح وباختلاف البيئة .

(ج) وإما أمثلة مبتدعة في العامية كما ابتدعت في العربية أملتها الظروف والأحداث
متفقة في الحالين . والملاحظ أن الكثير من الأمثلة التي اتفقت عربية وعامية
كثرتها من الضربين الأولين ، أعني من الضرب الذي جاء محرفا ومن الضرب
الذي جاء شارحا وقلتها من الضرب الذي جاء ابتداعا . وليس معنى هذا أن
العوام لم يقولوا ابتداعا كما قال النصحاء بل إن مرجع تلك القلة فيما يبدو

(١) كتابنا : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٢٦ (٢) المصدر السابق ص ١٩٤

إلى أن القلة في الأمثلة العامية المبتدعة لم تقف للأمثلة العربية التي من بابيتها وكانت الغلبة للمثل العربي ، من أجل ذلك لم يعيش منها إلا القليل على حين عاشت من الأمثلة المحرفة والشارحة كثرة كثيرة لأنها هي في الواقع ترديد للمثل العربي على صورة غير عربية .

* * *

أما عن الظاهرة الثالثة وهي تلك الأمثال العامية التي وردت على غير غرار لها في العربية ، أعني تلك الأمثال التي جاءت مبالغة للأمثال العربية ، وهذا التباعد :

١ - إما تباعد في اللفظ مع اتفاق في المعنى .

٢ - وإما تباعد لفظا ومعنى .

وهذه الظاهرة بشقيها تكاد تنصل بالضرب الثالث من الظاهرة الثانية ، أعني ذلك الضرب الذي جاء نتيجة اتفاق الفكرة ، غير أن الأمر هناك مقصور على تلك الأمثال العامية التي جاءت موافقة للأمثال العربية في مساقها ، والفرق بين الأمرين هنا وهناك أنها هناك مايرت المثل العربي أو قاربت أن تسايره حتى أنك لتكاد تحس أن المثل العامي صورة من المثل العربي تكاد تحمل على التحريف أو الشرح ، أعني الضربين الأول والثاني من تلك الظاهرة الثانية لولا أن ثمة ملامح من الفكر المستقل تشير إلى أن المثل العامي وإن بدا قريبا من المثل العربي إلا أنه يحمل طابع الإبداع في الفكرة . والأمر هنا في تلك الظاهرة الثالثة وإن كان متصلا بما سبق لسبب ما غير أنه قوى الانفصال ، فالمثل العامي هنا بضربيه في هذه الظاهرة مستقل تماما يشعرنا بأنه جاء إبداعا لا اتباعا ، وهذا ما يؤكد ما قلنا من قبل أن الفكر الموحى بالمثل ليس مقصورا على الرجل الفصيح وحده بل يشاركه الرجل العامي ، وأنه ما دامت هناك عامية فثمة أمثال عامية ، منها تلك التي جاءت تحريفا أو شرحا للأمثلة العربية ، ومنها التي جاءت إبداعا ، وقد قلنا إن هذه التي جاءت إبداعا في العامية لاسيما حين تنتعش العربية وتنقشع العامية ، فالمثل العامي لا ينفك للمثل العربي

إلا في ظروف محددة وبيئات بعينها ، تكون العربية قد أصيبت هنا وهناك بالوهن ، وهذا ما كان من تلك الأمثال العامية التي ضربنا بها المثل عند الحديث عن الضرب الثالث من الظاهرة الثانية .

ولكن تلك الأمثال العامية التي تجيء ابتداءا أيضا ولا تساير المثل العربي ولا تكون صورة منه لفظا ، أو تلك التي تغاير المثل العربي معنى ولفظا وهما هذان الشقان من تلك الظاهرة ، فهذه الأمثال العامية لا شك قوية على أن تصمد ، تختلف درجة صمودها بانتعاش العربية وهمودها ، ولكنها لا شك باقية بقاء ثابتا غير بقاء أمثلة الضرب الثالث من الظاهرة الثانية ، إذ هي فيها إبداع وفيها فكرة مستقلة إلى جانب ذلك الإبداع ، ولكنها على ذلك تختلف ، فما كان منها متفقا مع المثل العربي في معناه دون لفظه كان موضع موازنة ، فإن كان أداؤه أيسر وأسلس وألصق بالنفوس كان أقوى على مغالبة ومقارعة المثل العربي يؤخذ بهذا حيننا ويؤخذ بذلك حيننا وقد يؤخذ بهما معا .

أما تلك الأمثال العامية التي جاءت ولا وجود لها في العربية لفظا ولا معنى فهي لا شك أخلد وأبقي من أمثلة الضرب الأول من هذه الظاهرة .

وما من شك أن انكماش العربية في عصورها وانحصارها في بيئات محدودة ضيقة كان له أثران :

الأثر الأول : فقداننا ذلك الرجل الناطق بالفصحى يعطينا المثل ويعطينا الحكمة ، فلم نعد نظفر بنظرَاء هؤلَاء السلف الذين تركوا لنا تلك الأمثلة العربية الفصيحة ، يستملونها من الأحداث والوقائع .

الأثر الثاني : نهوض رجال من الشعب لغتهم العامية مقام هؤلَاء الرجال الذين فقدناهم يستلهمون الأحداث والوقائع يعطوننا أمثلة تعوضنا عن تلك الأمثلة العربية وتكاد تكون في قوتها فكرة وإيجازا ورمزا وإشارة ودلالة على حوادث مفصلة تنطوي تحت أجنتها .

وأمثلة هذه الظاهرة بشقيها من القوة بمكان لأنها ليست اتباعا بل هي إبداعا تحوى
الفكرة الأصيلة وتحوى الاستقراء العميق وتدلل على مكانة مبدعيها .

وإليك أمثلة من الشق الأول ، أعنى من تلك التى اتفقت معنى ولم تتفق لفظا وستحسن
معنى فيها جوانب القوة والعمق اللذين ضمنا لهما البقاء على الرغم من أنه ليس ثمة تدوين
يحفظ لها بقاءها وهى على الرغم من فقدانها ذلك التدوين فهى تعيش على الألسنة يتناقلها
جيل بعد جيل ، ولكنها لاشك بعد أن يكتب للفصحى أن تسود سيكتب لها ما كتب
للأمثلة العربية من تحول على ألسنة العوام ، وما نستبعد أن تصبح تلك الأمثلة العامية
أمثلة فصحية بعد أن تتناولها ألسنة الفصحاء بالصقل والإعراب .

وما سيحدث لهذا الضرب الأول سيحدث للضرب الثانى أيضا من تلك الظاهرة ،
أعنى تلك الأمثلة العامية التى لا وجود لها فى العربية لفظا ومعنى . وما هى ذى أمثلة ذلك
الشق الأول :

المثل العربى

– إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

– إذا ترابك الشر فاقعد به

– إن البغاث بأرضنا يستنسر

– إن الحماة أولعت بالكنة

– إذا جاء الحين حارت العين

– أنفك منك وإن كان أذن

– آكل لحمى ولا أدعه لآكل

المثل العامى

– الغنى عَنُوا له والفقير إيه يعملوا له

– أبعد عن الشر وعَنَى له

– القَوَالِبُ نَامَتْ والانصاض قَامَتْ

– قالوا يا سَمَا ما كُنْتِيش كُنْه قالت

كنت ونسييت

– إذا وقع القدر عمى البصر

– مَحَدِّش يقطع مناخيرُه من وُثْمه

– أنا واخويا على ابن عمى وانا وابن عمى

على الغريب

المثل العامى

المثل العربى

- قَابِلُوهم بالصُّوتِ لَيَغْلِبُوكم
- لا جُلُّ الورد ينسقى العُلَيْق
- مال الكُنْزى للنُّزهى
- ضَرْبٌ وبكى وسَبَقٌ واشتكى
- اللى فى الدُّسْت نَطَلَّه المَغْرَفَه
- إن كان لك صاحب لا تَعَامِلْهُ وَلَا تُنَاسِبْهُ
- خُذْ من دَقْنِ القِرْدِ شَعْرَه
- أبو جُعْران فى بَيْتِه سُلْطان
- اللى أوْلُه شَرَط آخِرُه نُور
- صَامٌ صَامٌ وفِطْرٌ على بَصَلَه
- لِسَانُكَ حُصَانُكَ إن صُنْتُه صَانُكَ
- الإيْدُ البَطَالَة نَجِيسَة
- إبدأهم بالصراخ يفروا
- بعله الزرع يسقى القرع
- بشر مال الشحيح بحادث أو وارث
- تلدغ العقرب وتصيب
- تخرج المقدحة ما فى قعر البرمة
- تعاشرُوا كالأخوان وتعاملُوا كالأجانب
- دمة من عوراء غنيمه
- اللدبخ فى خلوته مثل الأسد
- الشرط أملك عليك أم لك
- صام حولا ثم شرب بولا
- عشرة القدم أسلم من عشرة اللسان
- غبار العمل خير من زعفران العطلة

وبعد أمثلة هذا الشق الأول نسوق إليك جملة من أمثلة الشق الثانى التى انفردت بها العامية لفظاً ومعنى ، ولم نجد لها مع طول الاستقصاء نظائر فى العربية فيما نعلم :

أمثلة عامية :

- ابن امم الله أَخَذَهُ الله وابن الكبّه طلع القُبّه
- اجا للعميان ولد قَلَعُوا عَيْنُه من التَّحْسِيس
- اضرف ما فى الجيب يا تيك ما فى الغيب

- الطَّحَّانُ يَأْخُذُ حِفَّانَ بَخْفَانٍ وَرَبِنَا يَأْخُذُ حَصَانًا بِحَصَانٍ
- تَجْرِي يَا ابْنَ آدَمَ جَرَى الْوُحُوشِ وَغَيْرَ رِزْقِكَ مَا تُحُوشُ
- يُرْزَقُ الْهَاجِعُ وَالنَّاجِعُ وَاللِّي نَائِمٌ عَلَى سِنَاخٍ وَذَنُ
- ابْنِ آدَمَ يَتَرَبِّطُ مِنْ لِسَانِهِ وَالْبَيْهِيمُ مِنْ وَدَانِهِ
- اقْطَعْ وَدْنَ الْكَلْبِ وَذَلِّيْهَا وَاللِّي فِيهِ خَصْلُهُ مَا يَخْلِيْهَا
- اللِّي يَغْمِلُ ضَهْرُهُ قَنْطَرَةً يَسْتَحْمِلُ الدُّوْشَ
- حِيلَةُ الْعَاجِزِ دُمُوعُهُ
- زَيْ الْإِبْرَةِ تَكْسِي النَّاسَ وَهِيَ عَرِيَانُهُ
- زَيْ الْقُرَاذِ مَا يَرْكَبُ إِلَّا الْجِثَّةَ الضَّعِيفَةَ
- الضُّحْكَ عِ الشُّفَاتِيْرَ وَالْقَلْبَ يَنْسُبُ مَنَادِيلَ
- الْعَاقِلُ مِنْ غَمَزِهِ وَالْجَاهِلُ مِنْ رَفْصِهِ
- عَيْبَتُ الْقِدْرَةِ عِ الْمَغْرَفَةِ قَالَتْ لَهَا يَا سُودَهُ وَمَحْرَفَهُ
- الْفَشْرُ وَالنَّشْرُ وَالْعَشَا خُبَيْرُهُ
- فِي الْوِشِّ مَرَايُهُ وَفِي الْقَفَا سِلَاقُهُ
- كُبْرُ الْبَصْلِ وَادْوَرُّ وَنِسَى حَالُهُ الْأَوَّلُ
- كَثُرَ مِنَ الْفَضَائِحِ اللَّا أَنَا رَاحٍ
- كُلُّ رَأْسٍ مِطَاطِيٍّ تَحْتِهَا أَلْفُ بَلِيٍّ
- الْكَلْبُ مَا يُعْضُشُ فِي وَدْنِ أَخُوهِ
- كُلُّوا الْهَلْدِيَّةَ وَكَسَرُوا الزُّبْدِيَّةَ
- لَوْلَاكَ يَا لِسَانِي مَا انْسَكَّيْتُ يَا قَفَايَهُ
- لَوْ بَصَّ الْجَمْلُ لِحَنِمَهُ لَقَطَمَهُ

- ما تَقِرُّ بخيرى الا لما تُشوفْ غيرى
– واحد شايِلْ دَقْنُه والثَّانِى تَعْبَان ليه
– جُرْحُ السِّلَاحِ يَبْرَا وَجُرْحُ اللِّسَانِ مَا يَبْرَا

هذه كلمة موجزة عن الصلة بين الأمثلة العربية والأمثلة العامية ، وما نعلم أن المثل العامى انطلقت الألسنة بالتعبير به إلا حين فقدت التعبير عنه بالفصحى ، وكما وجد المثل العامى على أنقاض المثل العربى فسوف يعود الأمر إلى المثل العربى ليعيش على أنقاض المثل العامى ، وهذا رهن بانتعاش الفصحى وسيادتها ، فما أحرص كل متكلم بالفصحى على أن يجرى لسانه بالفصيح ، وعهدنا بالناس حين تفصح ألسنتهم أن يتجنبوا أن ترد على ألسنتهم أمثلة عامية ، وذلك أملنا فى أن تتطور تلك الأمثلة العامية إلى أخرى فصيحة وأن نجد بيننا من الفصحاء من يصلوا : إبداع الأمثال فلا ينقطع هذا الخلق حتى يستمر حبل الأمثال موصولا ولا تنفرد العامية دون العربية .

محمد قنديل البقل

